مقدمة

بين الامس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا، او افول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا. فما يالفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مالوفا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبيبته فكرا وذوقا ورغبة في شيء او رغبة عنه؛وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول في الحياة الاجتماعية في غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء : حتى لا يكاد يفطن له الا الامعيون ؛ حتى جاء هـذا العصر ؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين، خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتا؛ فاذا به بين عشية وضحاها كانما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة باي لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم.

امس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ فى النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منـذ عرف المغرب الاسلام فى القرن الاول الهجرى الى أن ادركنا نحن ذلك فى أوائل القرن الرابع عشر .

امس كانت الحضارة الشرقية هى المعروفة وحدهـا عندنا باذواقها وادابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهى التى استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت فى دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا ممن له من ارث هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذى لم يعرف الا الاستقلال منذ عرفالاسلام الى الان. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من الوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

امس كانت عندنا تقاليد محترمـة فى اللباس وفى اختيـار التأثيث وفى هيأة الجلوس وفى اقامة الحفلات وفى مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هياة اجتماعية توافقنا لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير فى كل جيل، وان كانت فى الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما فى كـل جيل ـ فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز فى أعماق النفوس لا مسطر فى الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما فى قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عينا، ونرضى عنها كل الرضا، لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هنـاك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التى نحياها فى أمسنا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا فى عزلة عن العالم، فى قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذى لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التى سدت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذا هـو محيطنا الذى لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشـا فى محل خـاص فى عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه .

اليوم

وفى هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعـا الى كـل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كـل ما فى هـذه الحضارة الغربية العجيبة. التى تغير على جميع نواحى الحياة. فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول فى عهد قصير الى مغرب آخر يغاير كل ما كا نعروفا منه فى الامس. فاذا بامثالنا نحن الذين كنانعيش فى شرخ شبابنا فى المغرب المستقل قبل 1330 هد قد كدنا نكون غرباء فى طور شيخوختنا فىالمغرب المستقل من جديد 1375هـ. فقد حرصنا ان لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من اساليب الحضارة ونظمها وعلومها ـ لان الحكمة ضالة المومن يلتقطها انى وجدها ـ ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا فى التحول السريع الذى لم يراع فيه ـ حسب انظارنا نحن المسنين ـ حكمة ما بين التفريط والافـراط؛ فنحاول ان نجمع بين محاسن أمس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التى اندفـع اليهـا هـؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقـلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفريط فى المثل العليا التى لا ترسخ فى الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتـى اجتثت مـن اى شعب بمثل هـذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم فى الحياة. وثانيهمـا التفريط فى المحافظة على اللغة العربيـة وآدابها التى هى شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلفة ورسميةحتى يوم عممت تركيا لغتها فى جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجرى. وليت شعرى لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن اهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة فى اسس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التى استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم فى جعلها هى اللغة الوحيدة فى البلاد .

ومعلـوم مـا للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين مـن تمجيد هذه اللغة وهى دول بربريـــة صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعى.

لانّ الجالسين منهم على العرش عرب الحاج. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من تراثنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله ان لا يطول .

الغـــــد

نحن نوقن انه سياتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من ابناء اليوم ان يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان نهم من سياتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغازي هذا الكتاب الذي بين يدى القارىء .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام؟ فلم اقع على اى اثر . فاغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قراته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها. فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقـــلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس التي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كادوزو تيمكيدشت واكشتيم وطاطة وتاتلت والمعدر وتادرارت واسرير وتاكوشت وتيفيراسين واغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لايزال فيها رمق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو أجد فراغا لمايختمر في نفسي حتى أؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ اليونعماني ابى هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي حيث الزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ). وحين لم اجد من اخالط الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رآني مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيـه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بـد كاتبـا؛ فهيىء لنا كتابـا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكيدشت الذى الفه العربى المشرفى الفاسي؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشترطت انني كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 في الالغيين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيميين والادوزيـين والتيمكدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتيين والاقاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والساليين والحضيكيين والتادرارتيين والناصريين والوعداويين الاساويين .

6 فـي الاخذين عن زاويتهم كالاكراريـين والمحجوبيين والكرسيفيـين والمعدريين والركنيين والتاتلتيين .

3 في اصدقائهم السوسيين منهـم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين والقائد المدنـي والقائـد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعلماء سوس، وآخر في رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارىء من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لاينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافـات

ولكن لا ينسين انني مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقذى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القاتمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التضليل والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعته الى الذي يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضلل القارىء عن الحقائق فذلـك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن أذكر كل شيء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكري واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فها انذا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذي هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شيء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حواليها. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا أزعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهياة لمن سيستقي منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافي وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية في الادب؛ كما لا ادعى انني بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمي فى الدقة. وانما ادعى انني حرصت على امانة النقل عن المصادر – وغالبها من افواه رجالات الاسر – واجتهدت على ان اتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدي ما استطعت – لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحيين البلدويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفي الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هنالك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم انني ابن زاوية وابن بيئة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى ديني .

نحن بما عندنا وانت بمـا ـ عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال البادية وسيكون كالداخل الى السوق التى تجمع كل شيء. فلياخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئا تافها؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون ازاء قارىء آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقيه لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالمة) امام القارىء. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثاني الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر بفضله؛ فان لم يخرج القارىء بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. تطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع • او يصحح الاغلاط • وما ذلك على شبابنا الذى نراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد .

م خ س

بيــان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر فى مطابعنا العربية المغربيــة سلكت الطريقة التى تعتاد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية : فأجعل الالــف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة : وكل حرف ليس أمامه الف او واو او ياء فانه مسكن : فمثلا : تجد (تمنرت) فى اقــلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ، ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانــك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء : فاذا بــك نطقت بها نطقا صحيحا : وكذلك (ايديكل) و(ءازاريف) و (ءاكجكال) و (تيغمي) و (ءاقا) و(تامادولت) و (تيفنوت) و (تاكانزا) و (ايسى) و (تالبرجت) و (تيفرميت) و (تاكموت) و (أيليغ) و (الــغ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنهــا : وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لهــا : فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره ؛ فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل : فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم : فلم يبق الا الكــاف المشددة : وكــذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشــددة : وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان : كما يبقى لنا أيضــا مــا يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق. وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا ان الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعنا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجتهد ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لـم يعلم؛ فتح العيـون؛ وارهف الاذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الالسن باللغات؛ وخص كتابـه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة اخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها السن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القـرآن بالمثـل العليا. فاستحقت ان تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من اقصى المشرق الى اقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا حتى صرنا ـ نحن ابناء الغ العجم ـ نذوق حلاوتها؛ وندرك طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونخوض امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من ابناء يعرب وان لم نكن الا ابناء (امازيغ). فالانسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى امهاته، واللسان بما تتفتح له به المعاني الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبـع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا ـ معشر الالغيين ـ هى لغتنا حقا التى نعتز بها، لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد ان نرتفع بانفسنا عن مستوى جيراننا، وابناء جلدتنا من الحربيليين والوفقاويين والمجاطيين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه؛ حتى اننا لنرى انفسنا من ورثة الادب العربى؛ فنغار ان يمسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان احسسنا بمن يريـد ان يمسه باهانـة؛ فنحن عرب اقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيبين للشيح والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاوروننا من ابناء الشلحيين الاماجد .

(1) النبع: كفلس والغرب : كالقرح من شجر الباديـة تصنع منـها السهام. قال أبو تمام :

تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغـرب

[illegible]
الا صحراء قاحلة! فكان للانسانية جمعاء قبل ان يكون مخصوصا في مبادئه الحق للعرب الخلص! رفع راية الحرية والمساواة والاخاء! فاوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فالدولسية الى هذا القطر المغربي الذي نكون نحن - ابناء الغ - في اقصى ذنبه الذي هو ذنب الطاووس - فيما نرى - ورضي الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الرايـة المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى تركيزا! ثم لم تقـدر اربعة عشر قرنا ان تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه في القلوب لا يمكن ان يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلي من دبيري؛ وميزت يميني من شمالي، بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا اظل ولا ابيت منذ كحلتني العربية بإثمدها، واذاقتني حلاوة معانيها الطلية فانتشتني بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانـا ابن نحو عشر سنين؛ فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدنية العرب في بغداد ومصر وما اليهما من الاناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الغ وما الى الغ من اقران واغشان - ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد اى كتاب سنح؛ ولسان حال ينشد قول ابن المعتز :

قلبـــي وثاب الى ذا وذا ... ليس يـــرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ... ويرحم القبح فيهـــواه

ثم لما حللت بفاس اتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقـا غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا ... حتى يكيل تراب الارض بالقدم
(2) مثل عربي، القرى كغني: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء: اذا غمره .

[illegible]
ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي همـــة عاليـــة فذة ... طموحها ليس له منتهـــى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت ... الى امتـــلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فاعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولامتي التي هي امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به ان الذي كنت اسبح فيه منذ صغري ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يشفي غلة ؛ ولا يقضي على لهفة .

ثم لما ابت من فاس، وقد الممت بالرباط، حيث احتقبت ايضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم اقع عليهـا الا في الرباط وفي مشايخ الرباط، حللت بالحمراء وقـد القيت فيها مرساتي، وانـوي ان اقضي الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا في جانب ذلك اناغي اليراع فيما عسى ان يرفع من شان هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراهـا اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت ازمانا؛ تكشفت عن اعمال كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، اعددت له من المراجع ما لو تم بها لكان - فيما كنت اقدر - صنو (عصر المامون) حجما واسلوبا وافادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انفى الى الغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتني فجاة امام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هنـاك بهـذه القصيدة التي الممت فيها ببعض لعب الولـدان الالغيين؛ وبذكريـات اول شبابي ؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بني امي - اليب ركائبي ... فياليت شعري هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طـوالا وذا انـــا ... اعود كان لم اغد - قط - بغائب

(1) آئيب؛ تقـرأ الهمزة الثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير ارض وان لم تكن الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء قبل ان يكون مخصوصا في مهاداة الحق للعرب الخلص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فاوى الى ظلها كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فاندونيسية الى هذا القطر المغربي الذي نكون نحن ـ أبناء المغ ـ في اقصى ذنبه الذي هو ذنب الطاووس ـ فيما نرى ـ ورضي الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرقوا وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى تركيزا؛ ثم لم تقدر اربعة عشر قرنا ان تزعزعها عن محلها ؛ لان ما مراكزه في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛ وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيل من دبيري؛ وميزت يميني من شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلتني العربية بإثمدها، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية فانتشتني بخمرتها؛ الا بين كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة) في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛ فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدنية العرب في بغداد ومصر وما اليهما من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل: المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة ـ وهي الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في المغ وما الى المغ من اقران واغشان ـ ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب الكبرى؛ اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنح؛ ولسان حالي ينشد قول ابن المعتز :

قلبي وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حللت بفاس اتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراكش واحواز مراكش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم
(2) مثل عربي، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء: اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة؛ ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي همة عالية فذة طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتلاك سدرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة، وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية؛ فاعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولامتي التي هي امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نثر المنفلوطي وفريد وجدي ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت به أن الذي كنت اسبح فيه منذ صغري ليس الا ضحضاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛ ولا يطفئ غلة ؛ ولا يقضي على لهفة .

ثم لما ابت من فاس. وقد الممت بالرباط. حيث احتقبت ايضا علوما وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط. حللت بالحمراء وقد القيت فيها مرساتي، وانوي أن اقضي الواجب على لديني ولوطني ولشعبي؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا في جانب ذلك اناغي اليراع فيما عسى ان يرفع من شان هذه الامة؛ من احياء ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراها اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عن اعمال كان فضل الله علي فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، اعددت له من المراجع ما لو تم بها لكان ـ فيما كنت أقدر ـ صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا والمادة وروعة، لانني وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انفى الى المغ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل بالناس؛ فوجدتني فجاة امام بيئة كنت نسيتها، فخاطبت من هناك بهذه القصيدة التي الممت فيها ببعض لعب الولدان الالغيين؛ وبذكريات اول شبابي ؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم ـ بني امي ـ الييب ركائبي فياليت شعري هل انا خير آئب(1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انا اعود كان لم اغد ـ قط ـ بغالب

(1) الييب: تقرا الهمزة الثانية بالياء تسهيلا على ما عرف من القاعدة اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكم ... ورجعاي هذا اليوم احدى العجائب(1)
كان لم يكن الغ بلادى التى بها ... سموت به فوق الذرى والمناكب
كان لم يكن اصلى ومنبت نبعتى ... ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبي
كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى ... سربت صغيرا بين شتى المسارب
وروض وصال قد تمتعت برهة ... بازهاره بين اللمى والذوائب
اذ الدهر بشر والحياة مسرة ... وروض الامانى مستهل المعاشب
ويوم الصبا يوم ضحوك كانما ... تغازل صبا سافرات الكواعب
نهارى حبور ثم ان زرت مضجعي ... فاطيب بحلم مستلذ المشارب
فليل هناء والنهار سعادة ... وعيشى طليق الوجه عذب المشارب
تناغينى الآمال من كل وجهة ، ... مناغاة أم الطفل مهما تلاعب
فامى واختى لا تريدان غير ما ... أريد جناه من جميع المراغب
اشير فيوتى لى بكل الذى اشا ... وان كان مجناه مناط الكواكب
واحسبنى بالامر والنهى اننى ؛ ... امير على اهلى وكل صواحبي
تطارحنى نفسى المنى فاظل فى ... خمائلها اجنى ثمار رغائبي
فلم ادر الا ان انال المراد كى ... اساجل اقرانى بكل الملاعب ؛
فاسدر فى ميدان لهوى واننى ... ساخال ذكاء قد علت كل ثاقب(2)
اجول كما اشهى واجرى كما اشا ... واسحب ذيلى سحب سكران شارب
الاعب اترابى فنغدو الى المسا ... وما ان درينا كيف مس المتاعب
نقل على فر وكر كانما ؛ ... تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
على قصبات شققت جنباتها ... ولكنها من تحتنا كالشوازب (3)
نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا ... عصيا نرى منهن امضى القواضب
فنصهد والنقع المثار مطنب ... كما اعترضت فى الجو سود السحائب(4)
فنجرى ولا تدرى المجلى بيننا ؛ ... واى نظام بين خيل الملاعب ؟
نحاول تنظيما وسرعان ما ترى انـ ... ـتثارا كوهى العقد فوق الترائب
والفصل يوم عندنا يوم نغتدى ، ... حفاة بجرى المذكيات السراحب(5)

---

(1) صدف عن الشيء: مال عنه .

(2) السادر: الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء بضم الذال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس

(3) الفرس الشازب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم التى يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها .

(4) طنب بالمكان: اقام فيه .

(5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛ وفرس سرحوب: طويلة.

وقد اعصرت ريح التظالم بيننا ... واقبلت الصبيان من كل جانب
وصرح بين القريتين تضارب ... فدارت رحى الهيجاء بين المقانب(1)
وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت ... «تزبا» وخاض الحرب كل محارب(2)
وقد جالت الاحجار فوق كانها ... عصائب طير صادمات عصائب
وقد زجلت اصداء سرعتها كما ... تصل قطا عطشى سرت للمشارب(3)
وقد علت الاصوات منا ومنهم ... فكل يعانى ان يرى جد غالب
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد ... تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
ونابت ايادينا عن «الد» واختها ... وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
يلز قرين قرنه حين يبتدى ... تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
يغالب كل قرنه فمجندل ... على الارض. او جلد امام المغالب
اذا بعضنا صرعى . وبعض ازاءهم ... وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب(6)
فيحتدم الخصمان حينا فينتحى ... ذوو الرأى منا نحو صلح مقارب
فيأتمر الجمعان ان يجعلوا الذى ... مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
فتراب بالصلح القلوب اذا بهم؛ ... عناق كان لم يلتقوا فى المعاطب ؛
كان لم تلطخ بالدماء رؤوسهم ... فسالت على اعناقهم والمناكب
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم ... باحجار «الد» الجائيات النواهب(7)

---

(1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة .

(2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا ـ بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع التضارب بين الصبيان .

(3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظما. فكان لها صليل أى صوت.

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها ... تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

(4) الذمر بالكسر: الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحاريب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحاريب قياسى؛ فتقول: المحارب .

(5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

(6) اصله التلابيب. ولببه: اخذه بثيابه من فوق صدره.

(7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امراة عربية تسمى منشم تبيعه؛ وهو تعبير جاهلى. ومن معلقة زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

لروح جميعا بالوئام الاربـــا ،   وان لم نكن في اهلنـــا بالاقارب
الى لعبــة اخرى فنفتح بابهـــا   جديدا بشوق الصب نحو الحبائب
فجيئا الى (الاسداء) نمضى وتارة   لنحو «ضما» نثنى زمام الركائب(1)
وطورا الى (شلوك) افضل لعبـــة   لنا حيث يدمي القرص كف اللاعب(2)
وآونة نغــدو الى الاختبــا فــان   نفتش نفزع فى المخابى بضاغب (3)

* * *

كذلك نمضى يومنا مرحـــا فلا   نصيخ لجوع لافح النـــار ناصب
فلا نتقى بـــردا ولا نتــقى حفـا   ولا نتقى ليلا بطىء الكواكب (4)
ولا نتقى الإكمام والحجر لا و ـ لا   (اقلمون) فى جمع الثرى للالاعب(5)
نجىء بقمـص كالزهــور وننثنـى   بدكن كاسمال الثكال السلائب (6)
فان غمغم الاهلون فالامهات فى ؛   مناغاتنـــا او ضمنـــا للترائب ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلن من   نضار اليرنا بين سود الذوائب(7)
ونصبح ايضا عــود بــدء وهكـذا   قضينـــا عويمات بغير مراقب ،

---

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه اللعب بالحصى؛ وهى المسماة: («اكنترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.

(2) شلـوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصا يقرص على ظهر كف من غلب فيها .

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء وفتح الواو المشددة وسكـون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبـة يختبىء فيها الصبيان؛ فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدالمختبئين فيفزعه؛ وهو الضاغب، ولهذه اللفظة الغريبة تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما يأتى .

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلينى لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(5) أقلمـون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو مـا يسمى بالقب للجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما .

(6) السلائب والثكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال الثياب الخلقة .

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الفية. وهو احمر اللون كالنضار: الذهب .

وليس لدينـا من لغاتهـم سوى !   ليوث اطلـوا من صدور الكتائب
اذا ماسمعنا الهمس من صوتهم فلا   تسل عن قلوب فى الضلوع ذوائب
مساورة مـن مشبل وسط خيسه   اخف علينا من ملاقاة طالب (1)
عبـوس المحيا قمطرير كانمـــا   تجهمت السعلاة فى وجـه هارب
فلم يدر الا البطح فالهشم ان تصل   عصاه بنا كالنمر بين الثعالب !
او اللكم والركـل الممض اذا ونت   يداه بعبل من حبال ازاغب (2)
تسر الرشاكى تستدر ليونـة   لو ان الصخور الصم درت لحالب
فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا   الــذ زمـــان لم يمس بشائب
ولكنـــه ادى الثقـاف صلابـة ؛   مؤيـــدة بالقرص من كل جانب
فتبصرنا تحت الذقون كانما   يحاول ضـار خنقنـــا بالمخالب
فرضنا على رغم الانوف ومن يجل   بقوائه سوى جميع المصاعب (3)
فمر بنا عام فعـام فبدلت   ضرائب منا سذج بضرائب (4)
وطـاف بنا عقـل جديـد فحلقت   امانى اخــرى لاغتنام مـــآرب
بدت من سماوات المعـارف برقـة   الرنا لها ـنرتادـ فود النجائب
راينا المعالى كلهـا فى مرادها ؛   فطرنا اليها بالنفــوس الرواغب
فغادرت الـغا والشبيبـة غضة ،   ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
اريغ العلا بالنص فـى كل فدفـد   تضل به الخريت شتى المشاعب(5)
اعرض حر الوجه نحو سمومـــه؛   فيكسوه من اثواب سود غرابب(6)
وجبت الجبال الشامخات؛وخضخضت   سراب البطاح الفيح هوج ركائبى
فخيمت بالحمراء حينـــا وسابقت   من ابناء فاس آونات سلاهبى (7)
وطورا اراني فى الرباط وقد طمت   عـــلى غيوث الهامعات السواكب
فاارغت فى هاتى وتلك وتلكـم   جهـــود مجد فى التفوق راغب !

---

(1) اسم الطالب يطلق فى الغ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.

(2) العبل: الغليظ. وحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب الفاسي من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن .

(3) ريض الفرس: اذا وطىء للركوب. ورضنا بكسر الراء.

(4) الضرائب: الاخلاق.

(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشىء: طلبه .

(6) غرابب: اصله غرابيب؛ ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.

(7) الافراس السلاهب: الطويلات .

وشغل الوجد الدرس في كل محفل   درور بصدر خالص للمواظب ،
فاجثم فوق الركبتين كأنني   ربيئة قوم جاثم في المراقب (1)
البد عن ذاك الشوارد تارة   والقى لنا طورا ببحث مجاذب ؛
فيوردني الاشياخ بحرا غطمطما   اغوص به حتى تغشى ذوائبي
ويجلسون ابصاري بفكر كأنه   صباح تجلى من سجوف الغياهب(2)
فابصرت نورا مشرقا متلالئا   تنظم منه جزعها يد ثاقب (3)
فابت بحمد الله في حالة ـ اذا؛   تنقصتها أثنت عليها حقائبي (4)
عرفت قبيل من دبيرى بها ومن   درى حالتيه لا يحر في المذاهب
وصممت ان اقضى الحياة جميعها   واني بعيد عن دنايا المشاغب (5)
لعلمي ان المرء حيث توقفت ؛   به النفس في آرائه والمذاهب
وان نفيس العمر خير ذخيرة ،   نصان عن اطماع الحياة التواهب؛
فملت الى درس المعارف معرضا   عن العرض الفاني المر العواقب(6)
فالسر همي كله حول نشرها   اصيره غايات كل مطالبي
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا ـ   يحس بأن قد حل بين الاجانب
كأن كان عن جداته وصحابه ؛   واترابه في مهده غير عازب ؛
ينال من التبجيل ذكرا كأنه   زهور نمت بين الصبا والمذانب(7)
ويصفون اثواب التجلات فوقه   الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويوثر بالشيء النفيس لديهم   ويشكر أن يقبله من يد واهب
فمن تره منهم تر البشر نيرا   عليه. كأنوار النجوم الثواقب
كأن قطوب الوجه لا يعرفونه   فلست ترى من بينهم اي قاطب

(1) المرقبة المحل الذي يراقب منه العدو ومثله. والربيئة: الطليعة للجيش او للرفقة .

(2) السجف: الستار .

(3) تلميح لقول ابن الطمحان :
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم   دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

(4) تلميح لقول الشاعر :
يمرون بالدهنا خفافا عيابهم   ويرجعن من دارين بجر الحقائب

(5) يعني بالمشاغب: مشاغب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم في العرض الفاني لا في المعارف. وامر الشيء ومر ، اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول .

اذا اوقدوا نارا وشبوا وقودها   فما هي للعاشي سوى نار غالب(1)
يجلونني في حضرتي. لم انا غب!   فليس الثناء الرطب عني بغائب
امن بعد ذا يااهل (الغ) الاهان؛   نسيت بهم اهلي وكل أقاربي ؟
فها اننا في اليوم غادرت قطرهم   ودارت ببيني دائرات الدوالب
فهل اجد المألوف منهم لديكم،   فاحسبني لم اغد عنهم بعازب ؟
فاني انفت العيش يومي بالفكم   والفى أنا ايضا زمان الملاعب
وقد انكرت عيناي منه وانكرت؛   رباه سبالي واستطالة شاربي ؛
فقد غيرت مني ومن جنباته   نوائبه تترى تاليات نوائب ،
لقد عهدت مني رباه غليما ؛   نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
فعاد اليها اليوم كهل تعرقت ؛   جوانبه مستأسدات المصائب
كأن خطاه في المسير خطا الذي   تمشى بكبل في شفير السرادب(2)
ربوض بمثواه فليس بناهض   لغير ديون تقتضى في المحارب(3)
كأن عاد في الرهبان يقفو قفاهم   ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
كذلك انا انكرت (الغ) وارضها   وحال رباها والبطاح الاجادب
نكبتها حتى تنكر جوها   على واعلام الصوى والملاهب (4)
ارى جوها في بهرة الصحو باهتا   كأن جللته قاتمات الغياهب (5)
اذلكم (بردى) الذي كان حقبة   اذا احتفل النوار مغنى الكواعب(6)
وهذا (أمقسو) شامخا فكأنه   مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

(1) فيه تلميح لقول الفرزدق في جده غالب من قطعة:
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها   وقد خصرت ايديهم نار غالب

(2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:
اذا ما علت منا ذؤابة شارب   تمشت به مشي المقيد في الوحل

(3) يعني الصلوات .

(4) الصوة: ما يجعل من الاحجار في الفيافي لتعلم به الطرق؛ وفي الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق .

(5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى في القاموس .

(6) بردى بفتح فسكون فدال بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ .

(7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقي .

وهذى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا ... كذروة فحل اشرفت فوق غارب(1)
فاين (فهى) و(العنصر)العذب ارشدوا ... اخاكم وقودوه لتلك المتاعب (2)
لا نفع من تلك المشارب غلتـــى ... فعهدى بها من قبل احلى مشارب
معالم كانت فى زمـــان طفولتى؛ ... مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
وعهدى بها مسكية الترب، والصبا ... شذا. ونثير الدر بين المحاصب(3)
اذا وجهها فى اليوم اجـرد كالح ... تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
فلله الـــغ يوم ذاك فانهـــا ، ... حدائق رفت بالحقـــول المعاشب
اجر بهـــا شرخ الشباب واننى ... خلى رخى البـــال بين اصاحبى
واما انا فى اليوم فالطرف شاهد ... بحاضر حالى مستشف لغائبـــى
فمن كان فى سنى يرى مثل ماأرى ... وطاف به ما طاف بى من غرائب
وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس ... مكللـــة بالمجـد تحت العراقب
فاجـــدر به ألا يهـــز فؤاده ... جاّذر ان عنت بزى الاعارب (4)
فما ابعد الكهل الكئيب عن الهوى ... وعن ذكريات قبـــل عنه ذواهب
ففى همه المشبوب اشغل شاغل ... له عن مناغاة الدمى فى المسارب
اذا غمر الهم الفؤاد فهل تـــرى ... له لفتة للرائعات الرعابب؟ (5)
اشغل الا بى لا أبالك فى الهوى ... وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
فلا كان حـــر تطبيه سوالف ، ... وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
وا ولم يحل دون القريض الجريض ما ... كففت يراعى عن قواف صواخب

بنى الغ هذا صنوكم وعشيركم؛ ... يؤوب، ايغدو بينكـــم خير آئب
فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛ ... غريب المبادى والحجـــا والجلابب
فان تنكروا منه وينكر لديكـــم ... خلائــــق فالاغضاء اوجب واجب
فمما قليـــل يقرن الدهر بيننـــا ... فليس لزوم الطبــــع ضربة لازب
عليكم جميعا من اخ حل بينكـــم ... حلول السها بين النجوم الثواقب

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الغ وهى بفتح التاء والكاف وسكون النون وفتح الزاى

(2) فهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا. ومشسب الماء مجراه.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الطاهر الافرانى فى ارض الغ
أرض ثراها عبير. والنسيم شذا ... والماء راح. وكالياقوت حصباء

(4) تلميح لقول المتنبى:
من الجاّذر فـــى زى الاعـــاريب ... حمر الحلى والمطـــايا والجـــلابيب

(5) جارية رعبوب: بيضاء حســـة رطبة حلوة

(6) اطباه : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكـــم ... وفاحت لديكـــم طيبات المناقب،
يعمكـــم يا آل الغ فانتـــم ... جميعـــا أودائى وغـــر اقاربى ؛

خاطبت الالغيين بهذا النوع من الشعر العربى القح. لانهم لغويون اقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتـاج الى مراجعة القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودى فتح الباب بيني وبينهم؛ وازالة كل الحجب التى تكاثفت فى العشرين سنة التى فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ. الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا علي بقصائدهم؛ فاجبت كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل أحاديث وذكريات كتاب يطول الى ان كان فى ثلاثة اجزاء، وهو كتاب (الالغيات)؛ فلما شاهدت ما شاهدت خطر فى نفسي أن أكتب حول تاريخ الغ؛ لاسجل ما يمكن من آثاره الادبية؛ واخلد ما يسنح من حياة عظمائه الذين اسسوا لمجده؛ وغرسوا فيه باعمالهم ما غرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخى البحاثة الاديب سيدى الحسن بن احمد البونعمانى نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك حوالى عام: 1351 هـ. فثارت منى نعرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ فى هذا المنفى؛ ووجدت بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علمـاء، وقوافى ادباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غير متساو فى الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا. وهو (المترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس فى العهود الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذى من تمامه كتاب (رجال العلم العربى فى سوس)؛ وفى أثناء ذلك اجدنى مقصرا فى كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت فى بنيات صدرى: «لما ذا لا أخص اهل هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذى يضمها بين قراه الاخـــرى بكتاب خاص؛ يسهب فى كل ما أعرفه عن (الغ) وذلك بايحاء بعض اهلينا؛ فلم تكد هذه الفكرة تخطر لى حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل ما يصلح ان يدخل فى كتاب؛ فاجمع التراجم؛ واقيد الاوابد؛ وانظم احاديث مجالس الغ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله - ان أقر عين الاخ البونعمانى الذى هو ابو كل أفكارى فى هذا الموضوع؛ وقد رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغية او سوسية ان اسمى الكتاب:

« المعسول »

«فى الالغيين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت ان اسهب فى ترجمة كل استاذ او تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته، وكل من اخذوا عنه، ولا القصد - يعلم الله - الا أن افتح الباب لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التى تمت الى الغ بالاستاذية؛ او بالتلمذية أو بالصداقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك ايها القارئ، تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛ لعلك تضمه الى التواريخ التى كتبت فى هذا العهد: عن (العويرة) بقلمي اخينا سيدى محمد المراكشي والسيد الركراكي الرباطي، وعن(مراكش) بيد شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديبالكبير سيدى احمد الزيانى القاضى .وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن (دمنات) ببراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوممولاى على الدمنانى. وعن (آسفى) بجهود البحاثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة (عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى، وعن (الرباط) و(سلا) باقلام المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على الساوى. وعن (مكناس) بيد شيخنا يافوتة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن (فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يقترف الا من وشل؛ وليسموضوعه الا بادية قاحلة؛ وادباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحيى ان يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من ابناء بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيـــده غيره؛ فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات .

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهات ابن المعتز؛ وانت اشعرمنه؛ فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال قوله :

انظر اليه كزورق من فضــة قد اثقلته حمولــة مــن عنبر

وقوله فى وصف زهرة آذريون :

كــــأن آذريونهـــا والشمس فيه كاليـة
مداهــــن مــن ذهب فيها بقايا غاليــــة

(1) قال حسان :

وقد كنا نقول اذا راينـــا لذى جسم يروق وذى بيان
كــأنك ايها المعطى بيانـــا وجسما من بنى عبد المدان

فصاح؛ واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون بيته؛ وما ذا أصف انا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف اين يقع قول من الناس! فانشد :

ما انس لا انس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشكاللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفــه كرة وبين رؤيتهـــا قوراء كالقمر
الا بمقدار مــا تنداح دائرة فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وبعد: فهذا جناى فى هذا المنفى أقدمه للقارئ، لقمة سائغة؛ واعتذر له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة فى التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع من الزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تتمة ترجمة كيفما يتيسر؛ فحينا بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينا يحاول ان تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينا تغلب فيه فكرة الادباء؛ وحينا فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينا أكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور اعينهم الا فى مجالاتها المعتادة؛ وحينا يجد هؤلاء ما يعدوننى به من المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعمل؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لاننى هكذا خلقت؛ نشأت فى زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينا ابناء العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم كل ما اقتبسته من هذه البيئات .

فالله اسأل؛ ان يوفقنى للعمل الصالح؛ وأن يختار لى كل ما فيـه رضاه؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت على ان أكتب حـول (مراكش فى عصرهـا الذهبى) (فالله يعلم وانتم لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت .

وصف (إلــغ) الجغرافي

بسيط الغ البعيد عن تزنيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛ تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يبتـدئ، الشمال الشرقى بجبل امقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبـــل العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وفقا) وهو جبـل (الايفشانيين) الذى فى سفحه (ايجنى نتاكزين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد أن

أمر ببصرك بمكان المدرسة الوافقاوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلع الالغيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (اكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبيه جبل آخر غير عال الا فى ناحية (تاكانزا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) – تحت الحصن – ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بشعبة (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى آن يتصل البصر بجهة قرية (اكجكال) الى (تافيلناست)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزربى). حيث مدفن الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الغ من جهاته الاربع. واما حالة هـذا البسيط فانه اجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية اسايالك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبلى قرية (باسواوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام المطرة من آبار؛ فتسيل فى الجداول، لكنها سرعان ما تغيض متى قلت الامطار. وفى قرية (اغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وا نكانت الارض تصلح للزياتين صلاحية ممتازة كما يقول ارباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التـى يعتنـى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حـول الآبار؛ ثم ييبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه .

وأما ما يحرثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحرث بعض أغنيائهم من آصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الغ الغربى والجنوبى يحرث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالغيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الغ؛ اذا اخصب يكون كنزا

للمواشى الالغية؛ الا ان (ابرض) فى شمال الغ الذى لا يحرث كثيرا يكون من المراعى للقريبين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن .

وارض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة فى الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الإتساع فى المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان أهلها هم الذين يسعون عليهـــا. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغذاء فقط؛ هذا اندام فيه الخصب ـ وقلما يدوم ـ واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. واما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالغية غالبا من ان العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجدب والاقلال هـو الغالب على من فى الــغ؛ ترى آهل الغ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من آشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان امام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضا. يشتغل بإبرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبـــة؛ أو بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكــذا ادركناهم ، ولا ازال استحضر احد المسنين من اعمامنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (امقسو) .ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قــال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما آنسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين .

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرات فى كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الغ وهناك قام بضيافته الحريبلبون والاغشانيون والوافقاويون؛ ولعــل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان – الحرم آكليد – كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا ان الملك مولاى الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايليغ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبيرعبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى) .

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

---

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .
(2) نشرناه فى كتاب (ايلغ قديما وحديثا) .

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الغ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحربيلية فان لها بعض القرى الالغية: ايكل؛ آيت الحسن اعل؛ اكني اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الغ: قرى اغرابو؛ دو تمشروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى اكادير وايو ـ تونبن ـ ازار اوعيسى ـ ازربى؛ فهي من قبيلة امانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزرى) .

قرى (إلـغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب ، فالتي في الجنوب او كالجنوب :

١ ـ تافكاغت من ايت وافقا
٢ ـ الزاوية من دوكادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
٣ ـ آل سليمان من دوكادير منهم ايضا، ويقطن معهم بعض الحربيليين الذين هم اصلاء في القرية
٤ ـ تيبيوت القاسمية من المرابطين وحدهم .
٥ ـ تيبيوت الواوكرضائية: من المرابطين وحدهم. وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
٦ ـ تاحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .
٧ ـ تافراوت كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم
٨ ـ انويدر كذلك ازاء التي قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التي في شرق البسيط هي :

٩ ـ اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطي واحد .
١٠ ـ اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطي واحد .
١١ ـ تونبن من امانوز ليس فيها ايضا مرابطي واحد .
١٢ ـ ازار اوعيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطي واحد.
١٣ ـ ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
١٤ ـ ايغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التي في الشمال او كالشمال هي :

١٥ ـ ايت الحس اوعل من الاغشانيين .

١٦ ـ ايكل من الايغشانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما .
١٧ ـ اكني اديان من الايغشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
١٨ ـ توكال من الايغشانيين .

واما القرى التي في الغرب فهي :

١٩ ـ ذوتمشروت من الوافقاويين
٢٠ ـ اغرابو من الوافقاويين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
٢١ ـ تالزكي بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين في قبيلة آل عبد الله بن سعيد التي كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون في الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط رؤوسنا نجد في انفسنا ما يجده كل البشر في مثل موقفنا :

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تولف الدار التي لم يطب بها
هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد قفر تزاحم به تفكها ـ بهذا الكتاب ـ اهل دمشق ولبنان واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل ـ من قر عينا بعيشه نفعه ـ

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما نذكره عن الالغيين من العادات لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل وندر ؛ والعادات تدخل كل ناحية من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما في حنايا صدورهم . فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين عند كل من يزن بتمييز ولا تنطلي عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا بتمويهات الالسن (ولا ينبئك مثل خبير) .

نحن هنا لا ننظر الا للواقع المعتاد من غير ان نزن بميزان الشرع ولذلك نحكي ما كان للتاريخ وللعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم ، لان التاريخ كالمرآة تبين كل ما يقابلها كيفما كان .

عاشوراء

اعتاد الالغيون ان يعمد بعضهم فى عشية التاسوعاء الى الغثاء الذى تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فياخذون منه وهو يضم ما يضم من ابعار واعواد صغار فيبخرون به الديار فى صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا اول ما نفيت الى الغ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحث عن مثل هذه العادات، وكذلك يعمد فى سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم فى ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اهراء الزرع وحظائر المواشي .

وفى ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قريتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبنون هناك احجارا فى محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى ان يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفى صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر ، من غير اختلاط يترحمون على اهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتنسكين يحرصون على الاثنتى عشرة خصلة التى ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح راس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذى ورد فى حديث حسن وقد رايت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصى بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون فى ثمنها بشمان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مغرس ذنب كبش عيد الاضحى الذى جعل قديدا يعطى فى يوم عاشوراء للراعى وهو ياكله فى ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحية على دور السنة فى ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه الحواضر الغ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يوكل يوم عاشوراء، الا ان اهل الرباط وفاس ياكلونه انفسهم، واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة، لان الرعاة اولى به، لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعى

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد فى عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه البدع .

ليلة المولد

فى الغ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاهما تعمر فى ليلة المولد النبوى، فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملأ مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الغ ان يحضروا فى تلك الليلة التى تتلى فيها بالمغنى على السنة المنشدين قصائد البوصيرى من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هنالك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدى الطاهر بن محمد، فيلقيها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هنالك فى حضرة شيخه سيدى على بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية :

بسرح الخفاء وصرح الوجد ... وبدا الذى ما خلته يبدو

ومطلع اخرى همزية :

راى برقا بكاظمة مساء ... فامطر مزن مقلته دماء

ومطلع اخرى وازن بها البردة :

بطيب ما نقلت عن جيرة العلم ... ريح الصبا يشتفى قلبى من الالم

واخرى وازن بها (بانت سعاد) :

دع عنك لومى فما التعذال مقبول ... (بانت سعاد فقلبى اليوم متبول)

واخرى مطلعها :

سرى طيف سلمى فسل ما اثارا ... اثار دموعا واورى اوارا

واخرى مطلعها :

بارق الرقمتين جد ائتلافا ... فجفونى القرحى ابت ان تلاقى

واخرى مطلعها :

اذا اغبرت الارجاء من آلهاشم ... بوارق غيث من رباءال هاشم(١)

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية؛ وغيرها، وهى عشرات نصدرها فى ترجمته ان شاء الله

(١) شام البرق : اذا لمحه ، والال : السراب ، وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت ،

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللائى لا يحضرن فى ملعب احواش تنحى وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض – ويسمى عندهم احمـال – فتقف ازاءه فترقص رقـصا مواصلا، وهى تغنى بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس فى عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك فى ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدى نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يملى شروطه والغالب ان تكون تسال كل من فى دار أهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب. ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الـذى يسمى – اسلان – ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا فى دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما اعدوا للزوجة مع ماأتى به الزوج كالشرط اويهدى للزوجة او قدمه اهلها لها. فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلى وما اليهما الثمن الخاص ، فاذ ذاك تكون المعركة فيغالى فى اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفـرق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصداق مـن الدراهم هـو شيء معلوم فى كل قبيلة قبيلة فى تلك النواحى. ولذلك لا يذكـر فـى الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفى المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج . هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا مـن دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال. واذذاك تخرج العجائز

اللائى يجلون العروس باغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يغرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الـزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلختمت – نسبة الى الخاتم – ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك. وقد كان الشيـــخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء فى اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى ان العروس تجلى تحت الظلام وفى صبيحة الجلـوة يذهب بالعروس الى اقرب بير لتستقى الماء فيجعل الماء فى اناء نحاس يكون من جملة ما تاتى به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولا مـن الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه . هذا والالعاب تقام فـى دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتى مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج. وعهدنا بعرس الفقيه سيدى المدنى لما تزوج من الايغشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاية باهل الزوج . وقد يتعنت احيانا اهل الزوجـــة فيابون ان يطعموا حتى يقدم لهم أهل الزوج مكتلا مملوءا بالحلى ليعلموا ان بنتهم حلت فى دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانـه ثم بعد اسبوع تزور العروس أهلها. ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتى اهلها – ولا بد – اما بثور او كبش. ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله. وعند حلق راسه بادىء ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئا ما .

العقيقة

ترى النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كـل ذنوبـــها فيحرصن على ان يزرنها فى الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيـــق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعى النساء للحضور فى العقيقة كما يستدعى الزوج ايضا الرجال وفى صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا اصغانا من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) – وهى خبزة كبيرة يغطى مخبزها فيوقد تحتها وفوقها – وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبـح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من فى الـدار وتحرص النساء على ان لايغفل من الاكل منها احد ويظن ان ذلـك يسبب

معية الولد . وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفلة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن لبابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتى تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لنظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا ـ خصوصا القروش المربعة التومرتية. واراها كثيرا في قلائد الصبيان الالغيين ـ ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرءان والطلبة دائما في الـغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعا لشأنهم على العوام

الحذاقة

متى ختم التلميذ القرءان تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستديـر باواخر البقرة ـ آمن الرسول الى آخرها ـ ويذهب مع التلميذ كل طلبـة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القريةويزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالغيين مقتصدون لفقر بلادهم .

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعاء ببيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميـذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تانعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقةبآيات من القرءان ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملهـا احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذى يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرءان وحملته .

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران، واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة، فقراوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي، فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وه (ابراهيم خليل الرحمن) في انشودة خاصة لذلك؛

الحصاد والدراس وما اليهما

ادركنا الالغيين اعتادوا ان يتعاونوا على اشغالهم ـ كالعادة في كل تلك النواحي ـ بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان لجنى اللوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على العلو لوالمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك في تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرمـوا صاحبها ـ وتلك الغرامات هي اجرتهم ـ حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر في الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فاليوم لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس في بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالغيين همة معلومة مذكورة في اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك ـ ونحن صغار ـ نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس في يوم واحد لكثرة البغـال التى تجمع وليبس المدروس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتقض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول في سقي قريتنا: دو كادير؛ منذ عقله من نحو 1280 هـ. فذكـر العجب العجاب الذى ادركنا نحن بعضه .

الجنائز

ان مما اختصت به الغ ان لا نياحة في جنائزهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا امثال هذه المواقف، فلا تحس الا لوعة في الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة في العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل في الشبكة، ولا يعرفون الآلـة الحدباء التىذكرها صاحب (بانت سعاد)(1)؛ ثم يصلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن انثى وان طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقن الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذى يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترم الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتعمد الثكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التى لا تلفت الابصار، ولاتكتحل ولكنها لا تترك الغسل والاغتسال ولا تقرب الصابون فى غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاشنان .

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع فى كل نواحى المغرب، انه يجد فى كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه فى سوس؛ من الصنائع التقليدية التى ادركناها لتعجب القارىء من حدادة فى كل انواعها التى من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهى صناعة سملالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحلى السوسى له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهى ـ صناعة جزولية ـ فانها متبثة فى جزولة وخصوصا فى آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعلنا نؤدى له حقه مرة اخرى.

نعم ان الذى يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالغية؛ وهى قليلة غير متسعة، لان اعمال الالغيين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالغيين .

الحدادة

توجد الحدادة فى قرية (دو كادير) فى ايدى اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك فى قرية (ايكل) من القرى الايغشانية؛ كانت فيهم ايضا ثالثة. والعادة ان الحدادة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه فى اصلاح محاريثهم او فى صنع حدائدها وما الى ذلك اجرته على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحدادين الالغيين من يسمى : بعلي ' وآخر أوشنا لقبان لهما • وقد درجا الآن وتركا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالغيين الادباء هذين اللقبين فورى بهما فى هذين البيتين :

وكم عانس بكر تخطت زواجهـــا
الى ان غدت تقلى وتشنا لدى الاهل

اذا اصبحت نادت الا ليت لى نوى
من (اشنا) لديهم والرواح الى (بعل)

وحدادو (ايكل) امهر واكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التى تتخذ ـ حديثا ـ من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لخفتها وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها .

النجارة

اما نجارة المحاريث مقابض والمعاول والمساحى؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن الموذن الذى مات اخيرا فى قريـة (دو كاير)؛ والفقير بلقاسم السوقى الوافقاوى؛ واما النجارة المتقنــة فى الابواب والنوافذ والاخونة والموائد ؛ فانها فىقرية (ايكل) وهىالآن فىاولاد موماد فانهم من احذق من هناك فى صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التى تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين فى كل دائرة (تافراوت) لا فى الغ وحده .

الدباغة والحذاية

اشتهرت قرية (تاحواوات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ فى داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهى حرفته؛ على ان هذه الحرفة يحرص كل الالغيين ان يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص ان يدبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا اوجرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه فى داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه من جبل (امقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ايركل)• وفى جبل امقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات .

وما قلناه فى الدباغة نقول مثله فى صناعة الاحذية، فانها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتى؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتى ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكانزا) التى تطل على الغ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطى بعض الساق؛ اشبـه شىء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده فى (تاكانزا)

الاكافة

الاكــاف حلس البغل او الحمار ؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكــادير)

الفقير ناصرالمولى اخيرا؛ وابن العربي؛ وابن هموا في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم اهلها لاحتياج كل ذي بغل او حمار اليها؛ ولها ثمن، حتى ان الاكاف قد يصل ثمنه الى الف ريال واكثر الآن 1358 هـ.

الحبالة والشباكة

لكل واحد من الالغيين يد صناع في فتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيخان سيدى الحاج علي. وسيدى علي بن عبد الله. ــ وهما ما هما ــ يبرمان بايديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على اعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان إتقان تلك الحرفة وابرامها وفتلها هي من صناعة الوافقاويين، فلهم حلق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجواليق والزنابيل، وفي صنع الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في الطين. وقد قال بعض الالغيين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقاويين :

خلق الله للحرير اكفـــا وأكفـا لصنعـة الحلفـاء
حرفة الالغيين فتل حبـال وشبـاك ودبغهـم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتيحوا عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لفتلة حبــل والسعيدى لفتله البلغـاء

نساجة الصوف

اشتهرت الالغيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتحن فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بثور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منــه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ، وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في فصله امس.

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالغيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عنـــد بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تثلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التنمية للمواشي سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجدبة فيسنتون فتذهب مواشيهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالغيين ماآت بعضها لمن هم آقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائي لخروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجل في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لي عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت في قبائلهم في الحوز؛ أوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابي :

واذا تامل شخص ضيف مقبل متسربل برداء عيش اغبــر
اوما الى الكوماء هــذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحري

لكنني في الحقيقة اعذر القوم. فانهم في بلد مقفر. لا يمكن أن يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزازة التامة ــ وقد كدت آكون كذلك الآن ــ ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعذل المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة في جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون في الحوز ومـا وراءه ؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين في القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالغيون في عرض جماعتهم هذه في هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين ممن الذين يجيدون الخياطة في اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياسيتني؛ والسيد علي الاحطيوي من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرهما في اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالغيين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما .

(1) ظفار كحذام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبني على حكاية .

الرفـاءة

اذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل انواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى؛ (تاغزديست) وكثيرا ما انعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصرى رفا لى ثوبا فى المدينة المنورة فى حجتنا 1365 ه. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار فى المغرب فى رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذى يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مالوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى فى الاحذية فانها ترقع حتى ينمحى الجلد الاصيل احيانا ؛ وكل ما يعاب فى بيئة قد يعد مالوفا فى بيئة اخرى •

الخزافـة

لهذه الحرفة رواج عند الالغيين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب ان يصنع كل واحد فى داره عشرات او مآت من الاوانى قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون فى دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقى يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكـــن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعقيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون •

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالى، ذاك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجعان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكنى قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنـــه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او فى (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين .

---

(1) فى هذا الطليسان قطع شعرية لشاعر، وتوجد فى كتــاب (زهر الآداب) للحصرى .

معدن النحاس

انتلنا ترى ان لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه فى الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المنن فان فى كدية ازاء قرية أكجكال؛ معدن النحاس متوارثا، فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم أومن أذنوا لهم؛ فقدكان المعدنون يستخرجون منذ اجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) فى نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشى باخبار هذه الصناعة فى عصره بسوس توفى نحو: 624 ه.

لهذا المعدن حديث فى ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدى اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا ان ينتزعوا معدنهم من شركـة استعمارية كانت بدأت بالفعـل فى العمل • وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير ان يوخذ راى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين .

العلم والتدين والاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصاً منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولمكانة الغ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون ابناء الشيخ عبدالله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوال عام؛ 1090 ه. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ - ويجدها القارىء فى ترجمة الشيخ امامه - ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سريرته بالانوار. وقد كانت فى الغ مدرستان قبل؛ احداهما فى (ايزربى) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل فى ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التى كانت منذ اسست بايدى السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضىء حينا بنوبرة من العلوم؛ ثم تنطفىء احيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق ان يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1207 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتموج في سوس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالغي؛ ثم في ابن كرير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليمة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: « لانعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية والادب الواجب الا الالغيين».

هذا حقا م الالغيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الغي ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لايزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلي منهن؛ ويأتممن بالمسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدي بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل ونسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار باذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالغيين التبكير في اشغالهم ، فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله اقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الغ حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالغي على كل حال تجده غالبا متفقها في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة - وان لم يكن الا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء .

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا اكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبعقيليين والحربيليين والمانوزيين ممن لايردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقيلي او حربيلي؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوي السلاح؛ ولا من ذوي عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة :

ولا يردون الماء الا عشية ... اذا صدر الوراد عن كل منهل

فاننا نكاة كل قوي؛ ومرمى لكل سارح؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعقيليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى ان جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فامكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبائل، فتستطيع ان تتملص ممن كانوا ياخذون كل اسرة باتاوة فنفعهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد - .

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فبه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتي، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1) .

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذي لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضياف من ذبح الكباش وقلي الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابي، وقدور راسيات؛ فان بلدهم القفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من امكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفشاني؛ وكالفقيهين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالغي، ثم بعدهم الرؤساء من ايت واففا وايزربي وسيدي المدني واخينا سيدي محمد؛ على أن الغ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدي علي بن عبد الله في طليعة القبائل التي تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز للهمم الى ان توفي عام: 1357 هـ. ثم خلفه في ذلك شيخنا سيدي الطاهر الإفراني الذي ما فارق قط الصف الاول في المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذي علمت سعد) .

اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الغ المتقدم اقفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تثمر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون في هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ او عصيدة ملتوتة من دقيق الذرة - ان اتى بهـا مـن افران او ماسة او

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوي دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامراة وردت عليهم تسمى جهيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جهيزة قول كل خطيب، فكان ذلك مثلا

تامالارت ـ او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ، ان غالب الالغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛ ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فـي الطعـام العام الا الكساكس المسنمة في القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا في وقت الحرث فانه يوجد :

من قبل ان ترشف شمس الضحى   ريق الغوادى من ثغور الاقاح

(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛ وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى ـ ما يوكل بين الغداء والعشاء ـ وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان في البيت لبن؛ والا فالكساكس؛ هذه هي المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار آل صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايغشان ان كان عندهم اضياف (1) والا فمثلهم مثل غيرهم في المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان كان منسما الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد، فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائه ولا لمن في زاويته من المنقطعين؛ هذا ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاى في المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما في كل اسبوع، بعد ان كان غالب الاسر لا ترى اللحم الا في عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية ذبيحة يجتمعون عليها في مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التي تقام سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم نكن نعلم في صغرنا من يدوم اللحم في دارهم الا دار الرئيس الايغشاني القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه علي بن عبد الله؛ ثم تتلوهما دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى شهرا او اكثر لا نذوق مرقة . والشعير هو عماد المعيشة ؛ ولا يعرف القمح بعض الاضياف الا في بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع وتحكى كالنوادر؛ اودعنا منها في كتاب: (فطائف اللطائف). واما الفاكهة فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكارى من ايغشان ومجاط، فيدور به البدالون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء في قوله بديهة يوما:

(1) بات الاديب البونعماني سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايغشاني فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتنكبت العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايغشاني اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل هذا الاديب لو احتفل به وعرف قدره .

وقد راى بعض الناس يريد ان يشترى تفاحا لالغى؛

فكه مصاحبك الالغى عسا الفت   لهاه من (اكنارى) شائك فاس
لا تتحفنه بتفاح فشهوتـه   في غير ما يشتهيه اكثر الناس
يعيش في فطرة البادي الذى مرنت   يدا ومن مسك محراث الى الفاس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فدع   تلك التفافيح للمصرى والفاسى
للذائذ البدو في الاذواق اطيب من   سوائهـا منظرا وطيب انفاس
فلـذة المرء في عاداتـه ومتى   تجووزت فظـلام قاتم عاسى

والخبز عند الالغيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة التي تجعل في المخبز. ثم تغطى بغطاء المخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى (توفديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر. وقد تطور هذا الى ان استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل شيئا فشيئا في الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبذ؛ وهو افضل ما يوكل في الغ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران الذى يهيأ للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الملة للرعاة، وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة في مرابعهم؛ وقد يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذى ذكر في بيتين ينسبان لليوسى؛ وهما :

ارى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث في الصيف إغْدَ رِقِّي(١)
ومن كـان هكـذا فلست ارى له
دواء سوى أكـل العصيدة او (بِفِّي)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم في الغ؛ فترى السميد وخبز العوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شيء.

فهكذا دبت الحضارة الى الـغ بمطاعمها وبفرشها من الزرابي والحشايا والكساء الحسنة؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى البنايات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدى محمد اول من اتخذ

(١) اغد الى . معناه : انهمر .

السمارة بالغ عام: 1331 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضا. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاه الرئيس على الايفشاني وبلقاسم المانوزي وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقاني؛ والتاجر سيدى عبلا بن البزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستحلي ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد في بضعة ديار الخونة مبسوطة تحتوي على الحنيذ. وخبز السميذ؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذي يستدير بسكرجات السمن والعسل واملو – طحين اللوز – زيادة على القصاع المكللة لحما، المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين ان يقدموا اولا زبديات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يثنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلث بشراب الاتاي، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية في المطاعم .

وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف في بعضها غير خاف عن ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم في البسيس – واللفظة عربية فصحى – وهو طعمه تستلذ عند العجائز؛ فبها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدى صنع يوم ختمتي ثمانين لقمة قدمت في قصعة عود؛ فيتناول كل من في زاويتنا من الفقراء لقمة لقمة، والبسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقلي؛ وهو الذ. وللمذنه قيل يوما في مساجلة مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم :

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس ... تطيب به في المضغ كل نفوس
سناع يد لتتسه لنا فكان من ... اخاير ما قد ذاقه كل سوسي
فمن ذاق منه لقمة خال انه ... يمس سماء من مكان جلوس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا ... ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل في املو :

املوا علينا من حديث (أملو) ... ان حديث (املو) لا يمل
نمزجه بالعسل المصفى ... مع سفنج في الخوان صفا

(١) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته في الفصل الثالث .

فالخبز من هذا وذاك الحلة ... طيبة تاتي بكل لذة
ومن الى الغ ولم يبتلع ! ... من هذه الاكلة لم يستمتع
وما الباطيل بهذا الباب ... ازاءها الا من السراب

ولشيخنا سيدى الطاهر الافراني يمازح رفيقه الاديب سيدى العربي الساموكني؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشاني الالغي:

ان الموائد انت من شجعانها ... والزرد حرب انت من فرسانها (١)
لله درك فارسا يفرى بسيـ ... ـف السن لحم الشاه عن اخسانها (٢)
ويفك في قعر الطواجن ظفره ... اسرى الدجاج تقاد في ارسانها (٣)
واذا كررت على الطبالى كرة ، ... اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
وتزج في بحر المكايل غائصا ... فلك السفنج فتنثني بحسانها (٥)
وتعوم في جمع من السادات في ... نعم همت كالسحب في نيسانها
حادث بواكفها يدا بحر الندى ... فذ العلا طرا سنا انسانها
خير الاحبة احمد وابوه من ... شاد المكارم في ذرى غسانها (٦)
فرد مكارم مجده اعيت على ... اعشى البلاغة او على حسانها
لا زال في شاو المكارم جاريا ... طلق العنان الى مدى احسانها

وفي سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليماني، عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيلت هذه القصيدة التي نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو ثلاثة شروح الغية .

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة في العصيدة في الغ أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

(١) الزرد المقصود به معناه العامي الذى هو الزردة المعلومة حفلة الطعام ؛ لا معناه العربي الفصيح

(٢) اخسان بكسر فخاء مسكنة ؛ لفظة شلحية معناها : العظام

(٣) الارسان جمع رسن : الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها

(٤) الطبالى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق في الغ على الصينية ؛ وفي الرباط على الخوان؛ والكاس تجمع على اكؤس وكؤس ؛ واما الكيسان فلم نقف لها على أصل

(٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها في الغ الزبديات والسكرجات يجعل فيها السمن ونحوه

(٦) يقصد بغسان قبيلة ايفشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس في المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد ـ وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها ـ لتا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى بانــاء اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا ملق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كــان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيشق من حوض الزبــدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاعق في ماكل الغ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفي من الاكــل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في المؤاكلــة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريحية الادب :

لمن جفنــة قــد اقبلت تتالــق   تلوح بــلالا العصيــدة يبــرق ؟
مسنمــة حتــى كــان سنــامهــا   شماريخ طود لم يكد يتسلق (١)
وقد فغمت منها الخياشيم نكهــة   تطيب بها كل النواحي وتعبق(٢)
اهذا اريج المسك أم نفح روضه   ازاهيرها تحت الصبا تتفتــق ؟
نعم انها من غير شــك عصيــدة   من الذرة المعطار ان كنت انشــق
وعهدى بانفي ليس يغلط شمــه   فيا طالما شم البعيــد فيصــدق
الم ترها كالثغــر أشنب باسمــا   وللشنــب البــراق فيــه تالــق
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛   متى جال فيها لخلغرثان يشهق(٣)
لها قمة في وسطهــا حوض زبدة   (كجابية الشيخ العراقي تفهق) (٤)

فيا؛ ليت شعرى من تحط امامــه   فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)
ويخبــط فيها باليــديــن كانمــا   تخبطه وسط الدجنــة اولــق

---

(١) الشماريخ ج شمراخ : بالكسر رؤوس الجبال ؛ وتسلق الجبــل طلع عليه ؛ وتسلق الجدار ؛

(٢) الخياشيم ج. خيشوم : ثقبة الانف ؛ وفغم العطر أنفه ملأه .

(٣) الغرثان : الجائع ؛

(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله :
(نفى الذم عن آل المحرق جفنة) .. وفهق الشراب في الكأس ـ اذا سال ـ من جوانبه لكثرة الامتلاء ؛

(٥) الايضاع والاعناق : الجرى وسرعة السير ؛

(٦) الدجنة : الظلمة ؛ الاولق : الجن ؛

يشــن عليها غارة مشمعلــة   يلقم اكول امن ليس يرهق (١)
فيالى على تلك العصيدة كلهــا   اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحي اني السعيــد فانهــا   تحط امامي والرجاء مصــدق
فيا طالما اجرى احاديثهــا وكــم   اعرض في نطقي بها وارقق (٣)
فاني لمنهــوم اليها وللحشــا   الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فها هي ذى عندى فيا بطن ابشرن   فعمــا قليل سيلها يتدفــق
فلى نهمتي جاشت اوارا تحرقــا   افي كــل يوم نهمة تتحــرق ؟
افي كل يوم فرصة مثـل هــذه   افي كل حين لي جراز يفلــق (٥)

* * *

دلفــت اليها والعيون كانهــا   نطاق حوالي وكبتي تحملــق (٦)
حللت لها طوقي وزحزحت معطفي   والقيت عني ما بــه اتمنطــق
فاغسل حــتى مرفــقي فربمــا   ستعمل ايضا معصماى ومرفــق
وهل فاز في اشغاله غير حــازم   يؤيــده عزم اذا هم يصــدق ؟
وهل فاز باللــذات الا الــذى اذا   تاتت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
فانفض نفض المعجلين فلم يمــل   الى فوطة هم بتلــك معلــق (٨)
وهل يذكر الانسان امثالها سوى   اذا لم يكن أمر حواليه مرهــق ؟

---

(١) الغارة المشمعلة : المنتشرة على الاعداء ؛ وارهقت الانســان عــن عمله : اعجلته عنه .

(٢) الحديقة الغناء : المزدهرة ؛ والارض الجرداء : لا نبات فيها ؛ والسملق القاع المصفصف لا نبات فيه ولا أشجار .

(٣) التعريض والترقيق : اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح بــه ؛ ومنه المثل : « اعن الصبوح ترقق »

(٤) المقصود بالسيل : ملتوت العصيدة باللبن .

(٥) الجراز : السيف القاطع ؛ وهو بضم الجيم .

(٦) دلف الشيخ في مشيته : مشى مشية المقيد .

(٧) خلق الصانع الاديم : اذا قدر كيف يقطعه ؛ وفراه قطعه ؛ وفي المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء ينهيها كما قدرها

(٨) الفوطة : عربية فصيحة ؛ والاشارة بذلك الى المهمة .

واما اذا الارهاق عن قربهـا   تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
وادلى الى القعب يطفح رائبـا   كغـرب ملىء ماؤه يتدفـق (٢)
وللمحض فيه نضرة وتلألـؤ   كمضب على متنيه لمع ورونـق
وما اثرت فيه الوطاب ولادنـا   الى اريه المبيض ارعن يمذق (٣)
ولا مخضته العانسات وقد بـدا   لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
وتعلوه امثال القباب سميكـة   زجاجيـة لماعـة تتألـق (٥)
فآخذ منه حسوة بعد حسـوة   كما يحتسي الفحل الذى يترمق (٦)
وما القصد الا ان أبل مصـارني   والا فهمي ما اليها احـدق (٧)
وان تغتدى به الفتوح لحملـة   تغرب فيهـا غـارتي وتشـرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجـدر به اذا   تقدم ان يحظى بفـوز يحقـق
فاعلن باسم الله ان حانت الوغى   ومن كان محفوفا به ليس يزلـق
فاحفر فى حرف العصيدة حفـرة   موسعة كالحوض او هو اضيـق
واجعل فيها يمنـة ثـم يسـرة   سدودا صحاحا عاليات توثـق
فاملأها محضا فاجدحهـا كمـاء   يهيىء طينا مشمعل محـذق (٨)

(١) تدلق السيل : اندفع :

(٢) القعب بالفتح : القدح الضخم ؛ وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن ؛ قال : تلك المكارم لاقبعان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا :

والغرب بالفتح : الدلو الكبيرة ؛ وهو مذكر .

(٣) الوطب بالفتح : جلد اللبن الـذى يمخض فيه ؛ والارى العسل ؛ والارعن : الاحمق ومذق اللبن بالماء : مزجه به :

(٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من الممخوض ؛ فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك

(٥) المقصود الفقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب .

(٦) ترمق الجمل الماء : يشربه قليلا قليلا ؛ وكذلك يقلل فى اللبن

(٧) الصمير فى اليها الى الجفنة :

(٨) جدح السويق : لته ؛ ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره) والمشمعل : الخفيف الظريف؛ والمحذق ؛ الذى تخرج فى حذق عمل حتى اتقنه

الخضخض فيها خضخضات بهمـة   تكاد اديهـا جفنتي تتشقـق
وانى فى امثـال هذا لبـاذل   جهود مجد فى المهمات يصـدق
فاجدح ما فى حفرتى جدح عـازم   وسبابتى فى جانبى الحوض تبثق (١)
الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة   كما بان طرف واسع الجفن ازرق
اذ يبتدى التجديف والكف ترتقى   وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
وقد رصصت فيها الانامل كلهـا   فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
اسطلها حتى اوسعها وهـل   يبلغك السؤل الاناء المضيـق ؟
فانى وتمضى كالـدلاء تواليـا   وللسيل في وسط اللهاة تدفـق
وللشدق صوت كلما صب وسطه   كما يجد المخنوق روحا فيصعـق
اذا ارتفعت مدت ذنابى كانمـا   تمدد ذيل حين يوضع ابلـق (٣)
فاجدح ايضا ثم اجـدح ثالثـا   بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
فابقـى ولاء هكذا واناملـى   بمنحـدر حينا وحينـا تسلـق
وما فتئت جدحا وحمـلا كانهـا   عفاريت تزجى حملهـا وتخنـدق
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه   ولي بعد اغداذ امام ومعنـق (٥)
وبطنى ينادى هل هناك بقيـة   فما من معى منى بذلك ضيـق ؟
وهل من مزيد فالعصيدة هـذه   الذ واحلى من رحيـق يـروق ؟
فكان جوابى فى سيول كانهـا   سيول الروابى والسحائب تغدق
روائب قعبى فينة بعد فينـة   يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
وقد وسعت تلك المجالات فاغتدت   بسائط لكن ليس فيهن مـورق
فلتاح قبل الجدح والمحض مائـج   وبعض لقيمات عليه تفـرق
كبحر شديد مزبد قد تفرقـت   زوارق شتى فوقه وهى تغـرق
وانـى اوالى حملة بعد حملـة   كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

(١) بثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء :

(٢) السطل عربية فصيحة ؛ وهو الاناء الصغير للماء ؛ ويستعمل الآن فى كل اناء ماء يحمل باليد ؛ وهو مجاز مرسل :

(٣) الذنابى : الذنب نفسه ؛ والابلق : الفرس.

(٤) فرق يفرق كفرح يفرح : خاف :

(٥) والمقصود بالحوض : حوض الزبدة ؛ والاغداذ والاعناق : الجرى :

(٦) الاخرق : من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛ فاذا اراد ان يحمل مزادة الماء الكت فاما فيندفع الماء :

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض البـغ الفقيرة الجرداء من الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسبيل .

نعم ان مشروب الغ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد! وقد دارت قواف كثيرة حوله فى مناسبات! فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الغ البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى الشعرا بقصائد كثيرة (1) فقال هو :

هذا وانى قد رايت رجــزا … موشحـــا محبرا مطــرزا
قد دار بين سيدين احـرزا … خصل المدى فى الفضل لما برزا
كلاهما لدى الصيـــال بازل … متـــى سطاعنا لـــه منازل
هما هـــلالا هالة الاكـــرار … سلالتـــا الخيرة الابـــرار
سيدنـــا محمد ابـــن احمدا … من صار فى قلب الحسود كمدا
وكفؤه سيدنا عثمانـــــا … من قد حكـى نظامه الجمانا
تجاريا فى حكم امـر حدثـا … من صنع تشحير الاتاى عبثا
لملبسه الاول عيبا قادحا ؛ … فيـه ورده الاخـر مـادحـــا
فبان لى ان اجرى الفكرة فى؛ … فصل القضيــة بقول منصف
فاعلم بان صنعة التشحير قد … احدثهـــا ذوو المجانة فقد
اما الطباع المستقيمـــة فلا … ترضى بان تفعلها او تقبـلا
لانهـــا سحم البـــرادا … وربمـــا تفسده افسادا!
والكاس قد شرط اهل الظرف … فيهـــا النقـــاء وصفاء الظرف
لذا تغالى الناس فى ماعونـــه … وبذلوا النفيس فى شؤونـــه
وربحه اذا غلا اسهك مـــــن … حوت رماه البحر صيفا فتنا!
وشرط طيب الكاس طيب الارج … فضده اذن تمـــام الحرج !
ايضا تنافس ذوو المفاخر ؛ … فى العود والمراش والمباخر !
فما زوال الهـــم والتقطيب … الا بمـــراى مبهـــج وطيب
كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛ … كمـا استحال لونه وشمه !
فهيئه قطعا ثلاث حجج ؛ … بينة مثل الصباح الابلـــج
وكلهـــا حسيـــة طبيعيـــة ؛ … وبعدها رابعة سمعيـــة
قال فتى الظرف ابو نواس … وهو كما قيل امـــام الكاس
فى وصف خمر «لم يشنها الطاهى … بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فتنسف هاتيك الجبال جميعهـــا … وتعلى صياصيها ويفتح مغلق (١)
الى ان ارى الفتح المبين وانثنـى … على شبع والجوع خزيان يرمـق
ولم يبق الا جوله وحدها لـكى … يلمم ما يبقى هنالك ملعـــق (٢)
فالحس كفى ثم اغسلها وقـد … رسا بى على سيف الامانى زورق(٣)
فاعلن حمدا خالصا من طويـتى … لمن كان يعطينى النعيم ويــرزق
فان يطعم الفالوذج الحلو فتيـة … وبسطيلة جماعة مـا يعـرق (٤)
فانى بحمد الله عندى عصيـــدة … من الذرة الغـراء اولى واوفـــق
فقد برئت من كل زور ولم يطف … على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
فجاءت بما لم يات فيما اتى به الـ … ـمقنع فيما قاله والمحلــق (٦)
ادام لنا الله العصيدة ما غـدت … مصارين بطن الجائعين تنقنق (٧)
وما سالت الارياق ان عن ذكرهـا … وطـاف حواليهـــا ثنـاء مخلـق

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدى ترفه وبين يدى غناه من المشروبات المنوعة مـا يجـد: من شراب اللوز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛ ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلـو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب وابرد من مـاء الحواضـر المثلج؛ وما رأى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة :

الا ليت لى من مـاء الـغ مروقـا … من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصى : الحصون .
(٢) الملعق : الاصبع التى يلعق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة الباديين الى الآن .
(٣) سيف البحر : شاطئه .
(٣) سيف البحر : شطئه .
(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر وأمثالها :
(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل :
(٦) للمقنع الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون التى عليه : وفى جفنة لا يغلق الباب دونها … مكللة لحمـا مدفقـة ثردا
وأما ما قيل فى المحلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته .
نفى الذم عن آل المحلق جفنة … كجابية الشيخ العراقى تفهق
(٧) تنقنق : صوت ؛ كنقيق الضفادع .

فهو كما سمعت سمى الطبخا ... شيئا فهلا لتبعن الشيخا
ان قلت ان قوله في الخمر ... قلت ومثلها الاتاى فادر
فالقصد ان الطبخ شين الكاس ... بالنص والاجماع والقياس
فصح ان صنعة التشحير ... قذى يعين الانس يا سميري
لا هم الا ان يخاف البرد ... جدا على البراد اذ يشتد
او اقتضاه سبب فلا حرج ... اذن على ما كان فيه من عوج
لكن على السداد دون نفخ ... بقدر ما يسخن دون طبخ
فالبرد ايضا يفسد الشرابا ... ويغلق الشهوة بابا بابا
نص عليه جلة اكياس ... وكلهم في زكنه اياس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية : نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التى تجمع لذلك من قبل؛ يطبخ الجميع فى قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا الطعام فى ليلة اول السنة ويوثر ان اصل جمع هذه الحبوب أثر من آثار نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛ فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالغيات يطبخنه تيمنا ودرءا للعين والجن؛ ولذلك يعمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هى بالعادة الوحيدة التى تصنع ليلة اول السنة؛ فاتذكر أن الناس يحرصون على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبت فى داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة .

الالبسة

الذى ادركنا عليه الناس عام: 1323 ه. انهم يلبسون قمص الصوف وسراويل الصوف ـ ويسمونها التبان ـ وعمائم الصوف، وذلك لباسهم صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون على اعاليهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء والعلماء وائمة المساجد؛ وفى الشتاء يلبسون الخنيف ـ وهى لغة فصحى ـ ويستورد من (ازانيف) مكان فى الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست انا ـ ما شاء الله ـ خنيفة غليظة تحمى ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهيم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته ولم تزل عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قميصه وعمائمه الا نادرا لم سرعان ماانقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه؛ لم جبيه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا فى ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 ه. الملبوس المعتاد .

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المراة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر على الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض فى البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (ادال) والغالب الى الآن 1364 ه. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التى ما كن يعرفنه قد دبت اليهن لبسنها وشيكا، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهوية والسلاهم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومى او البزيوى قد صار اكل الآن ياخذ مكانه بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ ذويها .

الفرش

ما كان يعرف الا الحصر التى تستورد من قرية (امنفى)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها فى الطى اكثر من بقائها منشورة تحت الناس ؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر ـ جلود الكباش المدبوغة بصوفها ـ ثم لم تنتشر الزرابى الا فى عهد آبائنا فى دور الليلة فى الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن واقل القليل جدا جدا المضارب والمخاد، ولا اعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة فى الحواضر من المضارب والزرابى والمخاد الا نحو دارين؛ على ان ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة .

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاسناذ المسجد احترام؛ وهو الامام والمؤذن ـ غالبا ـ وقارئ الحزب،

والحزب يقرا في الغ على القاعدة الناصرية؛ تتبع الاحزاب الا في عشايا الخميسات فيقرا الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم بالشهر؛ ويقرا سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية تقسم الهمزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة تقرا وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع ؛ خصوصا المجامع التي يحضرها اهل الخير، تحتوي على الصلاة الابراهيمية؛ ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ ثم الصلاة الابراهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولاريب ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور في العهد الموحدي، ولكل طرف منه أساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائما عشية الاحد - تزاد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجـــال والنساء الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتي اهـــل الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران الغ توجد احباس لهذه الختمة .

اما كيفية التدرير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المغرب ضبطا وتكرير السور وغسل الالواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر نصفها الاول؛ الذي كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغذاء الا بعد أن يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التي كانوا حفظوها الى الهاجرة؛ ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى ان يقرب المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميـــذ؛ وتكرير المحفوظات الى العشاء؛ ومن عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله، لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الغ البيضة الواحدة في الاربعاء وقرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما. ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة من البيادر بعدد معلوم من الأصع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤونته بالتناوب غذاء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجوري ولا لهنة (١) في الغ؛ وقد ادركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها المماز؛ وعاقد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين .

المعتاد في المدرسة الالغيـة

كان سيدي محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الغ عام: ١٢٩٧ هـ مجددا فاسس في الغ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ في المدرسة بعد ان يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوي؛ ثم اللامية لابـــن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقاقية؛ ثم المنهج وفي الرمضانات لا يقرا الا الحساب والفرائض والبخاري، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة في كتب الادب بينهـم يبتدئون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالمواهب اللدنية ثم لايزالون يترقون الى ان يقعوا بعد ان يشدوا في نفح الطيب الذي هو الكتاب العالي عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرا في ايام الدراسة تفرغا للعلــوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريرية، واما المعلقات والطغرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرا في العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا ؛ والمعتاد ان يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهـم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ في حفظ الشواهد والابيات التي تستطرد في الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالحفظ لعدد من الابيات في كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة في عشايا الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين في غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات في كل المتون التي يدرسونها؛ ولهذا تجد ابناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم في الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التي تقرا جماعة قبـــل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين في اللوحات؛ يشغلون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما ادركناه في القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون الالفيـة اولا بشرح السيوطي ويتلـو التلاميذ المكـودي مناوبـة ؛ ثم بشرح

(١) اللهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا، فقد قال اعرابي لاناس : لهنوا ضيفكم .

الاشمولي والموضح في المرة الثانية؛ والرسالة بابي الحسن؛ والتحفـــة بالناودي والتسول ؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشي ؛ وللاساتـذة الذين مروا بالمدرسة الالغية استحضار تام في الفنون لكثرة ما مروا بهـا : فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الالغيين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمـر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتي احدهـم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحيي الصغير أن ينبه الكبير ان لحن في اعراب او في ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فأسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط مني ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ التعلواني في وجهي كنصيحة أن لا أتسبب في معاداة الناس؛ فياللعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابي الحسن وابي محمد الالغيين وكشيخنا سيدي الطاهر ما كان احد من الفتيان امثالنا يستحي أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البينات .

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ في هذا الميدان؛ وللالغيين ابيات سقيمة يفتتحون بها المقروء في مجلس الدرس؛ فما كان رجزا تقدم له ارجوزة في أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل يقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ... الغ ومن أبيات الطويل: قول حسان فيما اظن في الرسول:

له همم لا منتهى لكبارهـــا
وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين في حضور الصلوات وفي خدمـة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالغيـة من بينهـا قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع .

دور المرأة الالغية

قديما يقـــول الحضريون: (المراة الفاسية؛ امراة وتجارة؛ والمراة البدوية امراة وحمارة؛ والمراة المراكشية؛ امراة وخسارة) .

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير قليل فهذه المراة الالغية ككل نساء تلك النواحي؛ هي التي تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها في الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقي من البير بالقلة على ظهرها تاخذ القلة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابي الغ حيث لا يزال الشيح الذي

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتجمع منه ابالة عظيمة تنظمها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فان النساء الحاطبات يرجعن بالاغاني يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهيء الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقي طحنها للغد؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتي بالخضر من الحقل، ثم تسقي البقر؛ ثم ان كان عندها سقي من البير للحقول فهي التي تتولى ذلك؛ وزد على ذلك ان تتعهد منزلها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهي التي تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تمـلا نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها في دارها مع سمع السمع من المسجد، والمراة الالغية هي سيدة الدار حقا ــ فهي الخازنة وهي المتصرفة في الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولـو لـم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف ـــ؛ والطلاق في الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط، من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: ان المراة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراي) اي اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما في خارج المنزل، ومجمل القول أن المراة الالغية تقوم ازاء زوجها الذي لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم في الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا في النادر الذي لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق في المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصا ايام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان .

الامثال الالغية

ان درس الامثال التي تطلق عفوا من الالسنة هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم في كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها مني الكولونيل المستشلح؛ (جوستنار) ففرنسها ونشرها في بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة اخرى ونحن في معتقل: (أغبالو نكردوس) فامليتها على الوزير الكبير اخي سيدي محمد الفاسي؛ فجمع منها عني الفا وخمسين، ما بين منثور ومنظوم؛ وقد فسرها كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التي جمعها في الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفـاء بما في مجموعة الاخ الوزير المحترم .

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامه الناس؛ اما العاب الصبيان فانها :

1 ـ الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانـــوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم .

ياتى كل صبي بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد عـلا الحصيات؛ ياخذه اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمي ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيتلقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقـد خسر اللاعـب؛ فيعطـي الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتـه؛ يبتدىء اللاعب في التقاط ما انتثر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمي الى الاعلى حصاة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصاة أخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد ان لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد ان يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى أن يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمـت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكنترن) .

2 ـ شلوك ـ لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى في باطن كفه؛ فيسال صاحبه: اشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطا. وتسمى اللعبة عند العرب : (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربـا
اخنس يحنـي ظهـــره اذا مشى
الزور او مـــال اليتيم عنـــده
لعب الصبـــي بالحصى خسازكا

3 ـ ضما ـ لعبة أشبه شيء بالشطرنج؛ الاانشروطهااخف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق .

4 ـ طابت العصيدا ـ لعبة الاختباء يختبيء صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المغابي، ثم ينادي احدهم بالشلحة: طابت العصيدة (توانكلا) فيخرج المختبيء فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان .

5 ـ لعبة الحبل ـ وهي رياضة نافعة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف واخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو القوي.

6 ـ لعبة الحمل ـ يحاول الصبيان في ان يحمل كل واحد صاحبه الى غاية محدودة .

7 ـ رماية الهدف ـ يضعون حجرا مفلطحا؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز .

8 ـ صيادة اليمام ـ يحفرون حفرة وينصبون ازاءها حجرا مفلطحا غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحـــل بمجرد ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة أن يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطي الحفرة فيبقى هنالك حبيسا؛ فياخذه صاحب الحفرة .

9 ـ لعبة الخيط بحجر ـ يعمدون الى حجر صغير قدر ريال حسني يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبتين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى) .

10 ـ الخلروف ـ لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا احتاج ان اتكلف وصفها تفصيلا؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الراس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير املس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 ـ المضاربة بالفاطو ـ وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبـــة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمي بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 ـ المضاربة بالاحجار الصغيرة ـ وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمقلاع؛ والمقاليع على نوعين : نوع يسمى (السدى)

واخر يسمى ليزيبا يصنعان من الحلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا ان الاول يجمع مكان الحجر فيه، والاخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها فى حبل الطرفين .

13 ــ اللعب بالكرة ــ ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود ان تخاط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط .

14 ــ المراماة بالماء يوم العنصرة ــ على ان هذا اللعب قلما يتعاطى فى الغ كما يتعاطى فى غيرها .

هذه هى الالعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالغيين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء ــ ولا يختلط الجنسان فى لعب (احواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذى يعجب به ان رآه او سمعه فى المذياع ويقام فى الاعراس والاعياد والافراح، يديره رئيس يعرف ان يغنى؛ وفى يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح ان ياتى ارباب البنادق فيصطفون امام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على الملعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ فى الوقت الذى تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس ــ طاقات الحبق ــ وهو النبت الطيب الوحيد الذى يعتنى به فى الغ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار ــ وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التى تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطلون، والغالب فى الغ قبل الاحتلال ان لا يذهب الى احواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من احواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفى هذا اللعب يوجد بين الاغانى اشعار الحب؛ واشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير .

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهداف فى عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب احواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ فى قطع ذلك فى قريتنا حتى نادت القبائل بتغريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعاده جذعا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

اما اغانى الالغيين فى وقت الحصاد وفى الدراس فكلها اذكار وحكم

واستغاثة بالاشياخ المتقدين عندهم؛ وهى لديهم معروفة بالنقلية؛ وكذلك ما يتلونه فى محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية ماثورة يحفظها المسنون؛ وبالاجمال؛ ان عوائد الغ فى الالما بهى عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص ؛ بل هناك عند غير الالغيين ازيد مما ذكرناه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا، مع الاختصار فى هذا القليل.

ما قيل في وصف إلغ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله ؛ ولكننى لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشوق اليه؛ او التشكى منه؛ وقد كنت انا نفسى صدرت منى اشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع :

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالغى ؛ سيدى الطاهر :

نسيم الصبا هبى بنشر ربا الغ ... ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغى
نعلل شلوا لم تغادر يد النوى ... به غير سمع للملامة لا يصغى،
يحن الى تلك المنازل انها ؛ ... منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛ ... بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور ارضه ... سماء حبا اثوابها الفجر بالصبغ
اذا اشمست ارجاؤها قلت انها؛ ... فتاة على اعطافها صفرة الردغ(2)
هى السؤل والمامول لو سمحت بها ... يد الدهر لكن شيمة الدهر ان يبغى

وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة على بن عبد الله استاذه الوحيد؛ من قصيدة مطلعها :

بانت فبان جميل الصبر اسماء ... وانهل من سحب الاجفان انواء

يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى والدموع النار والماء :

ارسى باحشائه الشوق المذيب كما ... للمجد فى ارض (تحت الحصن) ارساء
ارض ثراها عبير؛ والنسيم شذا ... والماء راح، وكالياقوت حصباء
واربع طلعت فيها شموس هدى ... فهى المنازل لا فرغ وعواء
تاهت بواحدها الغ فقلت لها ... ايه فقد سلمت مصر وزوراء

(1) الفرغ : من منازل القمر.

(2) الردغ: الوحل. هكذا فى اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى فى الردع بالعين لا فى الردغ بالغين، ولا ادرى ما وقع لشيخنا مع انه يتثبت فى اللغة .

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى :

اياساكنا ارضا هى الارض وحدها   بها ما يشاء القلب والاذن والبصر
أجل بلاد الله علما ورفعـــة   ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا   بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
فما شئت من عيش هنىء وحكمة   وعقل رصين لا تحوم بـه الغير
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى   فؤادى وجودى معهم لو يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان   تقاصر جودا عنهـم وان انهمر
ألا ليت شعرى هل يناح لناقتى؛   بروك لديهم كى يزايلها الضجـر
فابصر ايضا عيشة مطمئنـة ؛   ودهرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المـرىء لديهـم   فتضحى عيونى بالمنى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعدرى :

ليهنكـم يا آل الغ مفاخـر   فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم   تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛   الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا :

حى ربع الرباب من (تحت حصن)   منجـدا زائرا لاوثـق حصن
وبوادى العقيـق فيـه فعرج   بالمطايا واعمد الى خير ركـن
واقـران تحية مـن مشوق   قـاده لهواهم كـل حين

وقال العلامة محمد يحيا الصحراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فمكث فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا :

يا اهل (تحت الحصن) أنتم فوقه   معنى وحصنكـم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفـه   أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعـلا   ترقوا معالى حدها لا يوصف ،

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بهـا؛ مطلعها :

يا أفت فى الارشاد يامن ينصف   اهل الوفاء والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العينين ابن العتيق الصحراوى :

ياآل (تحت الحصن) ان يقع النوى   فبحفظ ودكم الفـؤاد زعيـم
لا زلتم مأوى الوفود وان دعت   سنة ونـاب مـن الخطوب عظيم
الا بلوناكـم فالفيناكـم   ما منكم فى النائبات مليـم
لم تضجروا فطباعكـم محمودة   والعرض مما يستلم سليـم
انتم مناخ بنى السبيل وحيكـم   أبدا بقارعة الطريق مقيـم
(ان امرءا جعل الطريق لبابه ؛   طنبا وادى حقـه لكريم) (1)
فعليكم اسمى التحايا ما شدت   ورق عـلى ايـك وهب نسيـم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعمانى على قطعة محمد يحيا المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال :

لله ما قـد هاج ذاك الموقف   وعيـون الغ من الوداع تكفكف
نظموا دموعهم قصائد وهى فى   حسن اجل من العقـود واشرف
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا   ولكم بشعرهم المسامع شنفوا
ذهل المودع والمودع للنـوى   فكأنما دارت هناك القرقف (2)
حييت الغ فما اجلـك مجمعا ؛   لوفود شعر اين مـن يستنكف
علماء صحراء الفسيحة جددوا   فيهـا عكاظا للنهى تستوقف
احيا الولاتى فى الموات حدائقا   غلبا بفكـر فى المعارف تقطف
وابن العتيق مطرب بقريضـه   وعليه أعـلام البيان ترفرف
وعليهما نبغاء الغ اغدقـوا ...   كرما وآدابا ومـا يستطرف !
هـم افعموا من كل فن اكـؤسا   للوافدين وبالنوادر اتحفـوا ،
صف بالمفاخر الغ فهى جديـرة   وانا بالغ فى المفاخـر اعرف

وقال بعضهم :

ابواب الغ لكل آت تفتـح   وصدور من يرجون منه تشرح
يامن يؤم الغ قلوصك واقترح   ان الحوائج منك طرا تنجـح
فسيح ما ابصرته بسهولـه ؛   كم كـان فيه للتجارة مربـح
أرسل لطرفك فى البسيط عنانه   فبسيط الغ كما تشاهد افيـح
لا امت فيه لا اعوجاج كراحـة   مبسوطة منهـا المكارم تطفـح
من ذا للمستقت الطباع من اهله   (ان الاناء بما حـواه يرشح)

---

(1) بيت قديم مبدل، وهو هكذا فى الاصل :
ان امرءا جعل الطريق لبابه   طنبا واتكر حقه للئيم
(2) القرقف : الخمر.

وكتب الاديب محمد بابـه نزيل الـغ الصحراوى الى عميد الـغ سيدى على بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها :

عرج بـ(تحت الحصن) يامن سادا   لترى بعينك فى الورى اجوادا؛
وانزل هنا لك ما تشاء وطولـن   واطـل به التطواف والتردادا
واكرع بمعهده ورد اعلامـه الا   قطاب والاجراس والاوتـادا
وامكث هنالك ألف ألف راتعا؛   بل بله عنـك الحصر والتعدادا
قوم تقفوا فى صيانة مجـده   ما رد للآداب الغ عمـادا
الغ وما الغ تلافى مجـده   أبنـاؤه الابـاء والاجـدادا
فاقرا السلام على الفقيه وقل له   صيرت الغك للعلوم مهـادا
قبل يديه وأبلغن من خلـه ؛   أن التشوق لم يزل مـزدادا

كان قاضى (أقا) ورد على الغ فقابله ادباؤها بقصائد ترحيب – على عادتهم – فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها :

ما الغ غير شعوره فى شعـره   أسعد بمن ظفرت يداه بـدره
بالعلـم والادب البليـغ فخاره   ان قام كل فى الندى لفخـره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا   بالروض يونق من تدفق نهـره
لكن له أدب تدفق نهـره   هذا وهل أحد راى من جـزره
كل البلاد لها كنوز فى الغنى   وكنوز الغ جميعها فى شعـره
ما الغ الا البحر يزبد علمه ،   والشعر افضل مقتنى من بحره
بل روض مجد خضلت جنباته؛   وشذا القريض تارج من زهره
فيه يرحب بالنزيـل فينثنى ؛   بجرا حقائبـه برائع سحره
فاذا افاض الشعر الغى فقـد   أدى بما أسداه غاية شكـره
وبمدح الغ وتركه يدرى الورى؛   من كان فذا فى العلا من غيره

اصبحنا يوما فى الغ فى فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الغ بجباله يميس فى حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد الحسن بن على الصالحى، وهو ناشىء اذ ذاك فى اول عهده بقرض النظم فكتب الى :

اهلا بوفد الخصب وفـد سماء   نالت به الغبراء كل بهـاء
حنت اليه وكابدت بفراقـه   الم الغرام وصرحت بعنـاء
وتولهت حتى أتـاح لها الا لا   • وصاله فتباشرت بهنـاء
نثر السحاب زمردا فتزينت   بعقوده وتبرجت للقـاء
فترى البسيطة كالعروس تبرجت   وتتوجت بزهورها كسمـاء

وترى الخليقة بعد ما قد كابدوا   جهدا قد احتفلوا بكل ثناء ،
هذا بفضل الله ليس بغيره   نهج الفقر عبـاده وغنـاء !
لولا النبى المصطفى ورجالـه !   عند الإله لما سقى بالمـاء

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتى. فقلت هذه القصيدة التى صورت فيها جولتى فى صباح ذلك اليوم :

ما ذا راى من لم يكن بالرائى   ثلجا يشع بلونه الوضـاء
لا سيما ان عم حتى لا تـرى؛   من لمعة فى سائر الارجـاء
والارض من أثوابـه مياسة ؛   ميس العروس بحلة بيضـاء
فكانما وجه البسيطة فضـة   مصقولة براقـة اللـلاء
وكانمـا كل الثرى حبب الكؤو   س متى يشعشها المدير بماء
او روضة ازهارها مبيضـة   مخضلة من مسة الانـداء
والجو صاف والسماء كأنهـا ؛   مرآة من تعتادها بجـلاء
والشمس قد القت لدى اشراقها،   بشعاعها الوهاج فى الانحـاء
فجلا بياض الثلج فى برقانـه   حتى ليعشى أعين البصـراء
انى التفت رايت أبيض ناصعا   شرك العيون وفتنة للرائـى
يهوى به لو كنت اجمع اعينـا   كى تحتظى فى لمحة بمـراء
لله وقت ضحى خرجت لنزهة   ترتاد فى البيضاء لا الغبراء
والارض تبرز فى قشيب ثيابها؛   لماعة الانجاد والبطحـاء
واليوم طلق والحيـاة مسرة   والقلب مجلـو من الاسواء
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت   اسرارها بالطلعة الغـراء
فوضعت فوقى معطفى والعقل لا   يفتـر صاحبه بصحو شتـاء
فمشيت أخطو والبسيطة نضدت   ساحاتها باللؤلـؤ الوضـاء
فى جانبيها شامخـات توجت   منها المفارق باخضرار سمـاء
فكاننى فى صحن بلـور وقد ؛   غطيته بكرامة خضـراء (1)
فاجيل ابصارى اجالة حائـر   فى تينـك الخضراء والبيضاء
متنقلا بلواحظى مترنحـا   مما أرى من روعة وبهـاء
واللب ماخوذ كان طافت بـه   ايـدى السقاة بخمرة عـذراء
فاقول ياعجبا أفى ذا اليوم يبـ   ـقى المرء تحت الشملة الصماء
من ذا يرى النعماء هذى ثم يبـ   ـقى بعد فى الجدران تحت كساء؟
من ذا الذى لا يستفز شعـوره   ببسائط مبيضة زهـراء ؟

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامـة) اى اناء وغطاءه .

أين القرائح اين ما يعتـــاد ان   يبهر عجيب اعين الشعـــراء ؟

* * *

قضيته زمنا اجـــول وانـنـــى   فكه الفؤاد بهذه النعمـــــاء
متمتعا بمناظر ما مثلهـــــا   من منظر، ما سامع كالرائـــى
وانا اميس ومحجنى فى راحتى   كيلا تزل الرجـــل فى الارساء
حول بياض ناصع يقق ومــــن   فوقى اخضرار طافح بصفـــاء
ما كنت أحسب أننى متهلل ؛   يوما هنـــا بملامح السـراء
حتى رايت اليوم الغا كلهـــا   بسهولها وجبالها الشمـــاء
قد جللت بالثلج يلمـع صافيا   كالثغر حين تبسم الحسنـــاء
فاهتز عطفى نشوة وأثارنـــى   ما يستثير خواطر الادبـــاء
فاحس من طيب الحياة وعيشها   ربا كان قد عدت للحمراء (1)

* * *

العادة فى الغ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان امطر جـــاء الخصب والا فعكسه؛ فتاخر المطر فى سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقيل فى ذلك :

الغيث فـى مـــارس بعــ   ـد ما انقضى الصبر الجميل
كالـوصل جـاء بغتـــة   من بعد هجران طويـــل
بينـــا ترى الجفـــاف يســ   ـتولى على زرع الحقـــول
والورق الرقيـــق سيـ   ـسم باصفرار وذبـــول
ولفحة السموم تــر   مض البطاح والتلــول
وصرصر الاعصـــار يهــ   ـشم الفروع والاصول
واليـــاس يرسل عـــل   اهـل الفلاحــة الذهول
اذا بمـزن هـامـــع   مسترسل الغيث الهطول
يحيي البــلاد والقلـو   ب بتمـوج السيــول
فتسترد الارض زهــ   ـوها من الزهر البليـــل
تلـــوح كالحسناء فـى   مطارف وفى حجـــول
فاينما التفت ابــ   ـصرت قشيبا مستطيل
فكـــل حقـــل غـــادة   ماست تجـرر الذيـــول
تبهـــر مـــن يبصرهـــا   تحت نسيمهـــا العليـــل
فالحمد للــــه الــــذى   روى بفضله القليـــل
ورد للربيـــع بالــ   ـحيا رواءه الجميـــل

---

(١) لا يسبين القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الغ .

ما الــغ فى غيــر الربيـــ   ـع غير قفر ذى طلول
لجهنــــم ووحشـــــة   فلا مبيت لا مقيـــل
جرداء لا روض ولا   حوض بهـا لمن يجـــول
لكنهـا فصل الربيـــ   ـع مـا لارضها مثيـــل
بمسالـــك مخضرة   يحوطها الجو الصقيل
فـاينما التحيت منـ   ـها تجد الظل الظليل
لا سيما عنــد الضحـــى   وعند زبـــرج الاصيل
حييت يـــا الـــغ بهـ   ـذا الفصل لا كل الفصول
فان يزل عنك الربيـــ   ـع فتحيتـــى تـــزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فـــرح وحزن؛ فاقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك :

يا طيب الغ فى الربيع فـمـا   لجـوه فى طيبه من قسيم
ارجاؤه الفيحـــاء مخضـــرة   تقابـــل الطرف بوجـــه قسيم
فكلما اسمته نظـــــرة   اسمتها بين بسيط وسيـــم
يموج بالصحة لست تــرى   ذا علة هنـــاك الا النسيـــم
يفوز فيه رائـــد العلم ان   فيه يخيـــب حاطب او مسيـــم
لـولا ينابيـــع العلـــوم بـــه   والذكر ما زارته ذات رسيم
مدرســـة جـــوار زاويـــة   فجاور العالم فيه الدسيـــم (١)
وان صقعـــا مجده علمـــه   لفالج القدح بمجد جسيـــم

ومـــن ذلك :

لله الـــغ ومرءاها ومحياها   وما يشم اذا حيت برياهـــا
وما تحس به بين الشغاف وقـــد   قاربت ان تجتلى منها محياهـــا
حتى اذا انكشفت بطحاؤها فـاذا   الغ السماء التى تدرى ثرياهـــا
سماء افق المعالى من يطل عـــلى   آفاقها الغر حياهـــا وبياهـــا
خصب القرائح لا خصب المزارع ما   فى الغ فهو على الاماد محياهـــا
ففكر الغ حيـــاة للعلـــوم ومـــن   احيا العلوم على ارض قد احياها

ومما قيل فى وصف الغ وهو وصف حقيقى :

اوصاف الــغ متنافيـــات   عند القيـــاس متناقضـــات
ضـــد لضد يتقابـــلان   كفارسين يتصـــا و لا ن

---

(١) الدسيم : الذاكر

مناخها بجدبه المقفـــر   مباين لعلمها المفتـــر
غير ربيعها بسيط يكلـــح   صقيعه وقت الشتاء يلفـح
فلا نمت ارضها لاهلهـــا   الا كمت حزنها لسهلهـــا
فكل من يزورها مـــرات   بين فصول متفاوتـــات
لا بد ان يصفها فيشهـــد   حينا يذمها وحينا يحمـــد
ان شرفت أرض بنيها فبنو   الغ همو من شرفوا وزينوا
ومن اتى الغ فما اتاهـــا   وانما اتى بـنى رباهـــا
فانه من علمها سيعجـــب   لكنه من فقرها سيكـــاب
فانها من جهة لمخصبـــة   كما ترى من غير تلك مجدبة
مجدبة كما ترى حقولهـــا   لكنهـــا مخصبة عقولهـــا
فكم علوم من بنيها فائضة   وكم بثار في رباها غائضة
وكم بحوث عندهم مفجـرة   وكم هضاب عندهم محجـرة
روض الفهوم عندهم مزدهر   وما هناك قط روض يزهـر
خزائن العلوم دافقـــات   ولا ميـــاه متدفقـــات
قلوبهم فى العلم بين العين   والشيح والحلفـاء للعيـون
متعهم فى الادب الاندلسـى   لافى الرياحين ولافى النرجس
فكم قصائد لهم عصمـــاء   بين بسائط لهم جـرداء
وطيبهم من عرف (نفح الطيب)   فى وسط ذاك الجرز الجديب(١)
فهذه الغ وذى اوصافهـــا   وارحمتا لمن همو الافهـــا
سبحان من يجعل فى الاضداد   لحكمـة منفعـة العباد

ومـن ذلك :

نعمـة الالفـى فتـــح   لكتـــاب وسـط داره
بـين رشف الكـؤ س   واصطلاء حول نـــاره
يتمـــلى قابعا بيـــ   ـــن التفافـــات ازاره
بنعيـــم كان فيـــه   دفتـر قطب مـــداره
والاعاصير تـــــدوى   فوقـــه أو فى جـــواره
فيكاد البيت ينســـد   ك جميعـــا بجـــداره
جنة الـــغ وان حفت   بـــأنـــواع المكـــاره

ومـن ذلك :

الغ بسيـط بلقـع مقفـــر   لا روض فيه لا ولا عيـــن
تجول فيه ما تجول فـــلا   تبصر فيه مونقا عـين

---

١) الجرح ضمين : من الارض : التى لا تنبت .

شتاؤه سم زعاف لمن   يقطنه وان لـه كـــن
يعصف فيه صرصر صافـر   كانما يقطنـــه جـــن
تشقق الاطراف منـه وان   حوليك دار الصوف والقطن
وتجمد الصهباء من قـــره   اعظم مما يجمد الـــدن
حتى مياه المزن فى افقـــه   تكاد لا يندى بها المـــزن
كم قرعت من فم قاصـــده   ندامـــة وحسرة ســـن
لولا علوم من بنى الغ لـــم   تصـــخ الى اخبـــاره اذن
ولا رايت قط من مبصـــر   الى تجـاه ارضـه يرنـــو
لكن قطرا زانه اهله   يعلـو بهم بين الورى شان
هل البلاد غير سكانهـــا ؟   بهم لها الزين او الشيـــن

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك :

اذا احتفلت ءاداب من كان فى الغ   تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
فاية ارض حول الغ متى شـــدا   من الغ بليغ بالقصائد لا تصغى
فالغ لكف الشعر والناس كلهـم   شهود على هذا : بمنزلة الرفـــغ
لئن كان قفرا فهو كالخد ليس فى   جوانبه الا طلائع من صـــدغ

ومـن ذلك :

الغ المعارف والاداب بلدتهـــم   لا الغ مـــال ولا الغ الامـــارات
من رام علما وآدابا وحـل بهـــم   يقـر عينا بآيـات وآيـــات
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم   مجد القصور ولا مجد الرياضات
فالعلـم حرفتهم والبحث شيمتهم   والفهم حليتهم بين الندبـــات
ان تسائل الصبا عن زهر ارضهم   هبت عليـك بآداب ذكيـــات

ومـن ذلك :

الغ فردوس لمن منيتـــه   صحة الجسم وجورائـــق
ونسيـم مستطاب فى المصيـــ   ـــف وماء مستلذ فـــائـــق
اى مصطـاف عجيب لوبه   خضرة الروض وماء دافق
انما المصطاف أشجار لها   ضفة النهـر حفيـف شائـــق
فـاذا اعـوز هـذان فمـــا   بعـد يهفو لهواه عـــاشق

كنت مررت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادي (ترت) فصدرت منـــى قصيدة فى وصفه : ـ مطلعها

وضيق واد يتمرت طويـــل   كما امتد للماء خرطوم فـــيل

ثم شفعها الاديب الالغي سيدي الطاهر بن علي بن عبد الله باخرى مطلعهـــا :

لك الفضل ترت على ما بـــه — يخاطبـك اللوذعي الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعي من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهـــذه القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالغي سيدي الحسن بن علي بن عبـــد الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

انتني الـغ بـــدمع يسيـــل — كجدول مـاء بخد اسيــل
تنادي الاديب الاريب الــذي — تحلى بعز ومجد اثيـــل
جمال الوجود ومفخـــره — وكنز المحاسن لا لامثيـــل
رئيس المعارف مختارنا — شفـاء لكـــل فؤاد عليل
تقول اليس من الحيف ان — تبجل (ترت) بذكر جميـــل
اينشر ذكر لترت ومـــا — حظيت لديكم ولـو بقليـــل
وما ترت الا ممر يشيـــ — ـب وينسيك اهلا وكل خليل
يذكـر ضيفـا ممر الصرا — ط اذا ما مررنا به في مقيـــل
هل انني للعـلا محتـد — وانتم سليلي ونعم السليل
ولكن هجرت فاحفظني (٢) — ثناء لغيري وحقي جزيـــل
اينسى بسيطي ومـا فوقـه — وما يحتوي من سري نبيـــل
وما وسطه من ربا للزهـــو — روخير قرى يتلقى النزيـــل
وما بين ذلك للزائـــر — ين وما مهدوا من سواء السبيل
انتسى علوم من النحو كـــم — تسر مبردهم والخليـــل
اينسى نحارير في كل علـــ — ـم هنا ما لهم من مثيـــل
اشادوا المعالي وما فيهـــم — سوى مستحق اعتراف الجميل
الا فانظرن يا ابن الغ الـــى — مكانــة الغ المقام الجليـــل
ففي كل ناحية يستحـــ — ـق الغ احتبالا بكل دليل
وما الغ بين البـلاد ســـوى — عزيز وما (ترت) غير الذليل
اينفى العزيز ويبقى الذليــ — ـل اذا كان في الشعر قال وقيل
الا غيرة منـك الغيـــة — فتنسف هذا الكثيب المهيل
لعلك تراب ما قـــد صدعـــ — ـت لتشكر عن الغ في كل جيل
فالغ سرت تحت ذيل الدجـا — كطيف خليل سرى لخليـــل
تراود انصافها بالقريض — منك ومن صنـوك المستطيل

---

(١) والقصيدتان في (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)
(٢) احفظه : اغضبه

فان القوافي لتنصف صبـــا — لسارع الت وذاك الزميـــل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضي الادب مطلقا لا الالغي ولا الادب العـام فقلـــت :

حنانيك الغ المكان الجميـــل — فما لك بين القرى من مثيـــل
اما كنـــت في بهجـة فـــذة — اليك بها كم وفود تسيـــل
اما كنت روضا اريضا فمـــا — يزورك الا نسيـــم الاصيـــل
قرائع مـــنك يفجرها الـــ — ـبيان المروق بالسلسبيـــل
اينكر شانك بين القـــرى — لدى وان لم يكن من دليل ؟
اما فيك شعر بليـغ تـــرى — لروعته كل طود يميـــل
اما فيك علم تفننه الـــ — ـفهوم كما جال سيف صقيـــل
اما فيك صوفيـــة لهـــم — عزائم مـــا لهم من عديـــل
اما فيك ري لكل العطـــا — ش فيصدر كل ببرد الغليـــل
تراك شفاء لكـــل فتـــى — يزور مقامك وهو عليـــل
صباك تفوح بخلق بنيـــ — ـك تشم كزهر بروض بليـــل
فيا طالمـــا صح من شمهـــا — الا اعجب لذى صحة بالعليـــل
شرفت شرفت الى ان تشـــر — ف حوليك كل قبيل قبيـــل
فلله ذاك البسيط فكـــم — راى من عليم فصيح نبيل
اذا قال قافيـــة فـــذة — يرددها مثـــلا كـــل جيل
او ان حبرت كفه مهرقـــا — ترى كعذار بخـــد اسيـــل
كذلك يا الـغ انـت ومـــن — يكذب انك قطر جليـــل
فلا عجب . ان يطيـب اليـــ — ـك ومنك لاجلك كل سبيـــل
فيدرك (ترت) نصيب ومـــن — تجاوره فهو ايضا جميـــل
فانت تنيل الجمـال لـتـــر — ت واشباههـــا ولنعم المنيـــل
فكل مديح لهـــذي الجهـــا — ت وكل قريض ففي الغ قيـــل
ايطرق لي بالحصـــا وانـــا — ابيت بالغ وفيهـــا اقيـــل
وفي كل وقت انث عن الـــ — ـغ مفاخر ما ان لهـا من مثيل
امني عقـوق يظن لالـــ — ـغ ؟ فبالك ظنا كبرق يخيـــل
وكيف واني اوالي الثنـــا — ء عن مرقـم لم يكن بالبخيـــل
سيكشف الدهر عمن يكســـو — ن لالغ المعارف خير سليـــل
اذن يعرف الناس مني ومـــن — اخي خير نسل وخير زميـــل

ولنختم هذه القواف الالغيه باخرى كانت صدرت مني يوما قبل ان آلف الالغيين وامازجهم الى ما نزلت بهم فى منفاى عام : ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقول)

يقولون صبرا انه بك اجدر   فقلت نعم لكنني كيف أصبر ؟
وقالوا تكلف ما استطعت فربما   فقلت لقد حاولته ثم اقهر
وقالوا تجلد في الندى فقلت قد   أباغت حينا بالدموع تفجر
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد   تباعدت لكنى على الرغم احضر
وقالوا اتبكى كل من قد تركتهم؟   فقلت لعيش بينهم ليس يكفر
وقالوا الم تقدر تناسى ذكرهم   الى ان يعودوا ؟ قلت لا لست اقدر
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت انى   على كل حال انني لست اغدر
وقالوا فداستعبدت بالشوق قلت هل   يفى فى النوى الا فتى متخير
وقالوا الست الحر ؟ قلت لهم بلى   ولكننى من ودهم لا أحرر
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا   ومن هو أزكى مخبرا حين يخبر
فقلت بنو الحمراء شيخا ويافعا   وليس كراء من بذلك يخبر
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم   ومن مورد منهم حميد ومصدر
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم   سيورد من شتى البحار ويصدر
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما   لبحث عويص دونه الفكر يعثر
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة   كجذوة نار فى يفاع تسعر
وقالوا سبى المراكشيون عقله   فقلت انا مختارهم ما اخير
وقالوا اما فى الغ والاهل غنية   فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهراء   فقلت متى فى البدو فضل مشهر؟
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة ؟   فقلت وءاداب بها كان يذكر
فقالوا الم تولد بالغ ؟ فقلت هل   تظنون انى للولادة منكر ؟
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامحا؟   فقلت لانى بعدكم متحضر
وقالوا اهذا كل ما كان وحده ؟   فقلت وخلق من كلينا مغير
وقالوا سيكفيك التخلق امره   فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
وقالوا وما التفكير ؟ فقلت أبعد ذا   يعنفني ان صحت بالشكو معشر
فانى يكون الحر بين معاشر   مداركهم لم تدر كيف التفكر
امن بعد هذا تستطاب بالفكم   حياة بتنغيص الجمود تمرد ؟
ومن عجب انى اجيش بفكرة   فاودعها شعرا بليغا فتدخر
فيحسب من فى الغ انى خائر   جزوع عظامى بالاسى تتكسر
فيعطف بعض كى يسلى وما درى   بان صفاة الحر لا تتاثر

وما هى الا ولية من خياله   وفورة جاش تستهل فتزفر
فتودع فى الاشعار خير ذخيرة   لكل اديب لا فج الفكر يشعر
فكم شاعر فعل تخيل نكبة   لكيما يجيد القول فيها فيبهر
فكيف أنا يا قوم اقلتها وقد   عركت بها عركا يقض ويسهر
اكل مصاب فاض بالشكو جازع   خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
فما كل ذى رزء اذا ان خائر   ولا كل ذى شعر شكا متاثر
اينظر من اى البراكين ان طغى   من احشائه الاتون الا التفجر ؟

هذه القوافي هى التى وقفت عليها مما قيل فى الغ التى كنت قلت فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة   بالغ وحولى الشيح يطهى به سكسو؟
وهل اردن يوما مياها بعنصر ؟   وهل يبدون بردى لطرفى وآمقسو؟

والشيح هو الوقود الوحيد فى الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون به لا (كسكسو) والعنصر بفتحتين بير غدية الماء امام دارنا : وبردى بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى : وامقسو: بفتح الميم وسكون القاف : جبل عال فى الشمال الشرقى من الغ : والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء قديما وحديثا

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة   بواد وحولى الاذخر وجليل ؟
وهل اردن يوما مياه مجنة ؟   وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

تقسيم الكتاب

١ ـ القسم الاول : فى المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون فى الغ وفى اكادير ايزدى وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية • وفيه فصلان :

الفصل الاول : فى المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥هـ

الفصل الثانى : فى المرابطين ابناء الشيخ الذين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ ـ القسم الثانى فى الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوفقاويين والاغوديديين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون فى الغ؛ بل فى قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول

الفصل الاول : فى الاغوديديين

الفصل الثانى : فى النازلين بالسكنى فى قرية (دوكادير) وليسوا اصالة من الالغيين •

الفصل الثالث فى الوفقاويين

الفصل الرابع : فى الايغشانيين

الفصل الخامس : فى المانوزيين

٣ ـ القسم الثالث : فى أساتذة الالغيين فى القرآن والعلوم والتصوف • وفيه فصلان :

الفصل الاول : فى مشايخهم فى التصوف

الفصل الثانى : فى أساتذة الالغيين فى العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم فى القرءان

٤ ـ القسم الرابع : فى تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :

الفصل الاول : فى تلامذة مدرستهم الالغية خاصة •

الفصل الثانى : فى مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ ـ القسم الخامس : فى اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم • أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم لحمة كالاستاذية والتلمذية • والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هى اقسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفقنى ويسهل لى حتى يتم كما قدرته وخزرته فى نفسى • فانه ان تم على ذلك النمط سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية او بعضها على الاقل ؛ كما ستنشر من تراجم المتاخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجزى وبقصر باعى • وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط • ولكن حين بذلت جهدى وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده

الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعيديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولـــده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له ءاخرُ
على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيرى
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزى
بلقاسم بن على بن أحمد بن عبد الله بن سعيد التيبيوتى
احمد بن بلقاسم ولـــده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمانيين
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد أول فقيه في الصالحيين
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبيوتى الفقيه الاول فى القاسميين
الحــاج عــلى التيبيوتي الفقيه
الحاج عبــلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدى محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد الغ
الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية المنبع الثانى لمجد الغ

العلامة سيدى على بن عبد الله
الفقيه سيدى الحسن التياسيتى
الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيــــدى عبـــلا بـــاولا
النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
الفقيه سيدى البشير بن الطيب
الفقيه سيدى موسى بن الطيب
النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا ام الشيخ الالغى
سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
سيدى احمد ابو الفـــدام
الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التاهـــالى
سيدى احمد بن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
النجيب المعتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
العلامة سيدى المدنى بن على بن عبد الله الصالحى

سيدى عبد الله بن سعيد التهالى

نحو : ٩٥٥ هـ — بعد ١٠٥١ هـ

نسبـــه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك؛ اوحسين بن مسعود على ما فى بعض الرسوم اوحسين بن يبورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان يبورك انما سقط فى بعض الرسوم .

هذا هو الجد الاعلى الذى تنتسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو على شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط راسه غير معروف الا رجم ظن ؛ وأقاويل تتداولها الالسنة ؛ والمعروف ايضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما يجد ما يستضىء به فى طريق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبذل جهدنا فى ذلك؛ على حسب ما يتراءى لنا من كلام المؤرخين ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهناك .

ما شـــاع عنه فى الالسنة

شاع عند اولاده شيوعا متواترا ان اصله من(تامدولت اوقا) وان ولادته هناك ؛ ثم انتقل بعد الى آكادير تتبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هنالك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدى يحيا بن عبد الله التملى (وشيخه هذا فى التاريخ معروف موصوف بانه شيخ يربى المريدين؛ ويرشد السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالملا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفى نحو عام : ٩٩٩ هـ) فلازم خدمته على سلب الارادة؛ فيحكى انه وكله على غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضياف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مــز؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لاعرف مذاقه؛ فقال له الشيخ : أو لا تعرف الحلو من غيره فى البستان وأنت القيم عليه من اول يوم؟ فقال : انك يا سيدى لم تأذن لى فى الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم فى يوم اخر وقد تكاثر اضياف اخرون

(١) مثل هذه الحكاية تؤثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزوانى .

عنده الشيخ؛ امره ان يوقد الفران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما حمى وطيسه يعلمه بانقاد الفران حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان القه فادخله ؛ فبعد لاى قال الشيخ لاضيافه : قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه لا يبعد ان يلج الوطيس لما سمعه منى من الكلمة الفارطة ؛ فوجدوه داخل التنور جالسا؛ واللظى فى الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان من رؤوس اظافير رجليه فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛ فامره ان يسكن فى وادى (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا : انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد فى اهل البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره لم فتحه؛ فاذا به يرى الوادى كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له : هذه جنودك؛ نسلطها على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يد اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

النطفيـات التي اسسها في القفار

ثم يقولون : ان من حكاياته ان له نطفية فى (دراووغ) فمر به هناك بعض الملوك بجيش كثير ؛ فاضر بهم العطش فى ذلك المحل — وهو معطشة الى الان؛ — فقال الملك لمن حضر : من يقدر ان يسقينى انا وجيشى؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛ وهو مشتمل برداء ؛ فقال لـه : أنـا اسقى الجميع ؛ فقال له : او تقدر على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له سترى؛ فمال بالجيش الى نطفية له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يناول لكل من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه فى القفار؛ فيؤسس النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته ؛ فقام بنوه على ذلك الى الآن ؛ وءال آكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة ؛ لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتى عشرة؛ وكانت تسمى بنات الشيخ عند المتحدثين وهى :

١ — (انبد نتوملیلین) فى الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادى (تامانارت)

٢ — فى (بو الجير بين تاكجكالت نيت‌لبكنى) وبين (اوسا)

٣ — فى الطريق بين (اداى) و (افران) فى قفر هناك

٤ — فى ايخف ايقير ويتنكونا ؛ بين (تسمولاى) و (بوزاكارن)

٥ – فوق المراكع في (ءالزاروالت) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنتين اخريين

٦ – في ءايت (بومريم) في مسجد بناه هناك

٧ – المذكورة في (دراووغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ريا حتى ضرب بعطن فيما يقال :

٨ – في (سمون ايسان) في القفر الذى يوجد في جنوبي الغ

٩ – في (تينوضفيوين بيزين) في طريق تامانارت من الغ

١٠ – في (فم افيفاغ) في شرق (ءاكجكال) بالغ

١١ – في ءاودرى بتهالة

١٢ – في (اكرض ايملالن) بـ (ايسى)

هذه هي النطفيات التي تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذى اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان

ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما يضاف الى الشيخ •

تلك هي الترجمة التي يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدرى؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك لاننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليها الحكاية الاولى ؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية ؛ واصداره جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعة الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛ ولا ننتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما تثبت به المعلومات؛ واين السند الذى يثبت به هذا ؟ على ان امثال هذا الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا يتعاظمها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف في امكان وقوعه الاغبى جاهل ؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى ؛ لكن المحدثين يؤثمون من اطاع ءامره في مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها• هذا رأى المحدثين بل رأى النبى صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلم عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع لبعض الصوفية في هذا المقام• وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية وجهة هو موليها استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا في كل قضية على حدة •

وثائق واقوال المؤرخين

قرات معي ترجمة الجد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معي لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين• فلعلنا نجد في اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل املنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقى الشعاع التام على حياته

١ – نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفي؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار : « تزوج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الايمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيلاه على (بن حسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة – كذا – قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هي ثيبة (لها طلقة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساك بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب في هذا التاريخ •

الحمد لله تفكير؛ ما في وجهي الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلثدرهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز – كذا – واربعة حروز•

الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلوبه ٩٨ صح ••• ابراهيم ٨ ••• (١) ::: ٧ دراهم وذلك ::: (١) :•: ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخه من اصله بلاولا وكتبه من شهد في المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثاني عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن احمد بن ابي بكر الغساني وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلي وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

١) بياض في الاصل

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح • وقد رايت فى ءاخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تتمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رآيته•

٢ ـ فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالى الساكن بوادى ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (••• (١) •••) ثم فى الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اه • كما نقل من اصله ؛ وقد سقط اسم الموقع الاصل واما ما فى الطرة فهو بخط ءاخر لهذا القائد الذى سمى عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبى؛ وما ذكره فى وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذى اشتهر من بين اولاد الذهبى ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس فى اواسط العقد العاشر من هـذا القرن

٣ ـ الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجبه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادى ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله فى احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى •••• لطف الله اه كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر فى المحل الذى تركنا فيهالبياض

٤ ـ ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور فى احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالى لطف الله به

وفى الطرة ما نصه : يبقى المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثالهالمرابطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحى واحمد بن ابراهيم التهالى رئيس ءال تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالى؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

---

(١) بياض فى الاصل •

٥ ـ ••• وباطنا يفزع اليه من كان ملهوفا فيغيثه؛ ومكسورا فيجبره ومن نزغ الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم فى طلب قضائها فقضيت؛ ذو بركة فى جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشدهم من البلاد واقطارها وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مظالبهم كما حرروه وعظموا حرمته من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاه ؛ فترك اولاده متمسكين باوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوقير وان يدخلوا فى جملة المبتعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما هم المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته مولانا ابوالعباس احمد الشريف نصرهالله تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم فى التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته فى اهل الخير والصلاح ؛ والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ باوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد ابن على بن ابراهيم التويبتى لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عمن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن ••• والحسن بن محمد بن على بن داود السملالى لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به•

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن محمد بن سعيد السملالى؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بثبوته وصحته احمد بن على بن عبد الله السملالى؛ لطف الله به ؛ ومحمد بن على بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملالى لطف الله به •

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه ••• العمل على ما رسم اعلاه ••• فيه أعلم ••• بن محمد التملى به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام اولاده بعده باقتفاء أثره ••• بسلوك طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛ والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلاما العبيد الذليل؛ لربه الجليل ابوبكر بن عبد الله التامانارتى؛ كان اللهله وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد ابن عبد الله بن عمر التملى لطف الله به؛ وسعيدبن على بن ابىبكر السملالى

لطف الله به في الدارين آمين ؛ وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدياني العصماوي وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجماري لطف الله به ؛ ومحمد بن عبدالله بن عمر الساموكيني بمنكب ابى القاسم عفا الله عنه عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وعبد الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين؛ وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفي وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحادى عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الدياني عالم الغ فيعصره؛ وابراهيم ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفي المذكور عنه انه كان من قادة الناس فيعصره وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالي احد العلماء العباسيين المشهورين؛ ولا تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه فى قومه؛ وان كنا نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة فى هذا المقام؛ الا ممن كان لايستانف حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين فى حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كلهم علماء كبار فى عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين عند الناس علما وديانة .

ثم ان هـذه الوثيقـة قد وقع فيها بتر قليل فى مفتتحها؛ وان كان ذلك لا يضر لان المقصود منها أمكن ان يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة بين وثائق التحريرات والظهائر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على ان المقصود بها هوالشيخ صاحب الترجمة الذى سقط اسمه فيما سقط من اول الوثيقة وقد كتبت الوثيقة كما ترى فى سنة : ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بكثير ولكن كل هؤلاء او غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وهذا السلطان الذى رفعت اليه الوثيقة سمي فى وسطها كما قراته بامير المومنين احمد؛ وفى ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر : اسماعيل. من سنة: ١٠٨٢ هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احمد ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد مـن اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظـة (ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات أخرى ويمكن ان الكاتب غلط فى اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعـد وابعد ؛ على انى الآن لا استحضر كيف حال سوس فى سنة ١٠٩١ هـ وتحتاج هذه النقطة الى تامل طويل ؛ وربما نتفرغ له بعد ان شاء الله ؛فنعلم هل احمد بن محرز فى سوس فى ذلك العهد اولا

ثم اننى راجعت فوجدت ان سوس فى هذا العهد تحت احمد بن محـرز الذى لم يفلت به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - الآن - الى احمد بـن

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالى الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثناء؛ الحمد لله؛ صير سيدى عبد اللـه ابن سعيد المرابط من وادى (ايمور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيـم الفرموزى ؛ من (اكرسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادى ايمور فى البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت تصييرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع فى جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها فى ذلك بسببه ؛ وعرف قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ أوائـل ربيع النبوى سبعة وأربعين وألف ؛ أحمد بن بلقاسم بن احمد الكرسيفي لطف الله به وهو عدل ورضى لموتـه ؛ بلقاسم ايضا؛ ما فى النسخة المنتسخ منها نقله باول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن ابراهيم ومعه فى النقل عبد الله بن علي ابن أبى القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اهـ كما وجد ؛ وفى قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدى بلقاسم والدهما الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله فى ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله فى الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وابرآه فبرىء؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفى رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفي ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به فى الدارين؛ بالنبى صلى الله عليه وسلم امين امين امين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى متم هـ

ثم يليه : اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له فى مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن عـلى وفقه الله .

ثم يليه : اعلم بثبوته وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمـد السملالى لطف الله به آمين. انتهى ما فى الاصل ونقله مقابلة ومماثلـة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريـخ أوائل صفر عـام ١١٣٣ هـ عبد الله بـن على بن ابى القاسم الساموكنى ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مـن شهده من اصله ابراهيم بن على بن ابراهيم الساموكنى ؛ لطف الله به آمين.

٨ - يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه لولى رحمة الله علينا وعليه ؛ فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت احمد القرموزى وبنوه السيد محمد والسيد احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وماماس ؛ ثم توفيت زوجه المذكورة فاحاط بميراثها ابنها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه عبد القادر وعلى بن يحيا بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ ه ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب اللهعليه انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ ه ابراهيم بن على ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ – نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد القرموزى لافراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى القرموزى مع ابنى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد بوادى ايمور التهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها العامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين فى اكرسيف واحوازه ؛ والجرفة واحوازها ؛ ارضا ومياها راكدا وجاريا ؛ واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) – اى اطلالا – غامرا وعامرا؛ سهلا ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه خمسة وعشرين مثقالا ذهبا سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛ ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمزكز ؛ على العين باعلى اكرما ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك بحساب الناقش (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك – انفصالا قاطعا جميع الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعاء بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرم عام ١٠٣٩ ه (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به ءامين واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسه مبلطف الله به ءامين واحمد بنابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه ءامين انهى ما فى الام وقوبل باصله مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيع الثانى عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن على بن يعقوب بن ابراهيم القشانى لطف الله به ءامين وعبدربه احمد بن على بن محمد بن داود من مشمس جدمانة القشان لطف الله به ءامين .

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد ابن على القشانى ؛ وفقه الله آمين اه كما وجد

١٠ – ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتى زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم القرموزى انهما تصدقتا على المرحوم المرابط سيدى عبد الله بن سعيد من زاوية ايمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة والله اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذى قعدة عام ١٠٦١ هـ بلقاسم أحمد بن سعيد الكرسيفى لطف الله به آمين .

اقول : لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتى بلقاسم واحمد. فيكون الكلام هكذا : بلقاسم بن احمد الخ ..

١١ – اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن احمد العسرى – به عرف – البعقيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد الله المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابراته منها ابراء سحيحا حالا ومئالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ رجب عام ثلاثة وعشرين والف انتهى من امها بعد المقابلة والمماثلة ؛ قالــه ناقله باوائل ذى قعدة عام احد وثمانين والف ؛ عبد ربه محمد بن على بن احمد بن يعقوب امرح البعقيلى السطحى غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد الواسع المرزوغى البعقيلى؛ لطف الله به اه

١٢ – وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينوب (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى البعقيلى وهى الثيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عاما اقامه مقامه (فى كل مايراه وظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ – شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيا الكرسيفى انه حضر للمرابط السيد عبد الله بن سعيد من ايمور حين ذكر جهاز مريم بنت عبد الله البعقيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبدالله بن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلي وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اه .

١٤ – المرابط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا من تيظاهارين ؛ الساموكني وطنا وتوفي بتيظاهارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثاني عام اربعين والف ؛ هذا ماقاله الرسموكي في كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره.

١٥ – عبد الله بن سعيد بن حسين التهالي مسكنا الساموكني وطنا كان رضي الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مربيا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى في مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفي بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكي في (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالغي من ذرية سيدي عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكي رحمه الله في تاريخ وفاة سيدي عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعيني رسم تصيير سيدي عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده في ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ماكتبه شيخنا عل نسخة للحضيكي نقلته من خطه .

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدي مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدي عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد القت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التي نحن اليوم في صدد جلوتها الى اعين القراء ؛ فلنتتبع هذه المآخذ المتقدمة مأخذا – مأخذا؛ لندرك ما تحتوي عليه تصريحا او تضمنا .

١ – في وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لنتساءل : اهذه اولى زوجتيه ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا في الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذي رايته في وثيقتي ١١–١٢ قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعقيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى وبلقاسم المذكورون في الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب كما ترى ذلك في رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحزر مبتدا حياته على اقل تقدير في نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛ هي اقل مايحتاجه من كان لابد –بعد ان يحتلم– من ان يمر تحت يد شيخ من شيوخ التربية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيى ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس بستانا قام عليه حتى اثمر ؛ واما اذا كانت هذه هي الثانية من ازواجه فلابد ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا في سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذي يحتاجه بعد ان تزوج الاولى في العادة وفي الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس سنوات على ما كنا قدرناه في الزمن الذي يحتاج اليه في الاتصال بشيخه؛ على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثاني نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان فان ولادته في نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو وصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التي نجهل اسمها واهلها كل الجهل لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتطاول الى المعدوم فقد يتطاول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم – وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم – ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا : فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينبني هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرني الفقيه سيدي علي من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدي عبد الله بن سعيد متعددة ؛ النهالية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهي ام سيدي محمد بن عبد الله ؛ والافرانية وهي أم سيدي بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدي موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب لها معروف ؛ ولا يدرى من هي أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رايت هذا مخطوطا بين رسوم المرابط سيدي عبد الله بن محمد من ءايت اورخا من اكادير ايزري؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا انني لم استوعب كل ما هنالك .

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا ليرا لستمده من ذى النورين جـد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضى الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضله

ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الثيب التى ربما كانت للشيخ عبـد الله بن سعيد – ان تزوجها اولا – مثل ما كانت السيدة خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه فى حياته – والاسرة قائمـة؛ والضرة موجودة بمرأى منها – فقد وضحت لنا نفسيتها واخلاصها لزوجهـا فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك فى رقم ١٠ فلئن قيل انمـا ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين أولاده الاربعـة ؛ حين خمس ماله بينه وبينهم فى أواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هـل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار ؟ ثم ان فى وصفهـا هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفى.

ونعرف (رابعا) أنها تاخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رايته من عـدة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ ﻫ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبـر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا

٢ – فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنة وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا – تتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه ؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رايناه قبل سنة ٩٩٩ ﻫ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصـل بذلك الى الاستظلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ ﻫ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التى يكلل المرء بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كـان يجتهد فى الارتقاء الى المعالى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعـددة فى ايام سلطان واحـد ؛ لما يحمل على مجد يتزايد ؛ فتتزايـد الاحترامات والاكبارات من اجله .

على ان هناك فى عصر مولاى احمد الذهبى الذى افتتح بسنـة ٩٨٦ ﻫ وانتهى بسنة ١٠١٢ﻫ لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزيين بالصـلاح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرات فى وثيقة سلفت الى ؛ كتبها احـد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨ﻫ حين فتح مولانا احمد الذهبى هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لايتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى يبورك بن الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣ﻫ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثيريون والركراكيـون والفلاليون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بغمار الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء

هذا ما كان قرره احمد الذهبى سنة ٩٨٨ ﻫ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحا من التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف ان صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هـذا التوقير الجديد وهـذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطـان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الدين ربما لا يزالون منزجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبى نفسه هو الذى راى منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهالينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامـة كما يسميها اهالينا ؛ مما لابد أن تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد الذرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبي الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنـازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الدين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذ االباب واحكم اجافته؛ الا بباعث آخر جديد يحفزه فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتا خاصا؛ وقد قرانا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبى اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوفقاويون والايغشانيون والحربيليون ؛ولايزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغـرم اكليـد) كما لايزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكنيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الـذهبى ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية : الكبيرة اذ ذاك ؛ وقـد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحـرب المشبوبـة بين الذهبـى والقبـيلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالـب ان هـذا المحـل المضاف الى سلطان بالغ هـو منزل احمد الـذهبى ايضا ؛ كـمـا رايت هـذا

المحل الاخر هو الذى اضيف اله ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران المعدود ايضا من بين منازله فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى راينا آثاره فى تلك التحريرات •

ثانيا ـ ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنقع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافى والقفار ؛ وكان يسميها بناته؛ فكان مما اوصى بـه بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حينا بعد حين؛ فكان اولاده عندهذه الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هـؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهيد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جراثيمه الا من حماة الالحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محور الاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؟ وانه نهاهم ان يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يألفون التكفف وجمع الزيارات ؟ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك ـ لعمرى ـ منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدى الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتى

هى احسن فى المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛فاية منقبة افضل من هذه بالناس؟

كدنا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد لو كنا عدمنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايفشابيون والاكماريون والساموكنيون والتامانارتيون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا ماراوه وشاهدوه فى الشيخ ومن خلفه فى مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عمن رآه وشاهده فى الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما فى الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المحررين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هى ـ والله ـ شهادة لها عند ذوى الالباب مكانة مكينة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له •

كثير من الذين حظوا بالشهرة فى حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول ذكرهم ؛ لايكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك الشهرة فى الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل فى الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فاتت بماتقراماليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ الذين وقفوا حياتهم فى سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلمة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى معنيا باصلاح الطرق وتسويتها فى الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتاسيس النطفيات فى المعاطش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غاية الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التمنارتى فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقى؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيخ الحضيكى فى ترجمته التى كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمنرتى فانالشيخ التمنرتى توفى سنة ٩٧١هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمنرتى عالما جليلا طائر الصيت فى عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامى ان يتردد الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التى هى نفع العباد فى مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى انالكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاج والقفار كما يهتمون بها في القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمنرتي مصلح طريق (تيسا) في بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادي القاس وناصب النطفيات المتعددة المعلومة الى اليوم في قفار شتى

ثالثا ــ نعلم هذه التحليات التي يحلي بها صاحب الترجمة في هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امي لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هؤلاء انما يصفونه بالفقير المرابط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام في الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس في الوجهة الربانية؛ التي ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شيء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم؛ هذه هي العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هؤلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المرابط الصوفي ؛ تتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من انه أمي لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وان الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا ان احفاد الشيخ عندهم من اوصاف جدهم ما ليس بقليل؛ وانهم وان ادخلوا في ترجمته في اسمارهم مايشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتمد على حكاية اخذناها عنهم وان لم نجد لها في هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون : ان الشيخ وان كان اميا يحب اهل العلم ويتحاش اليهم ويستشيرهم ؛ ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده في ترجمة الحضيكي

ثم يقولون بعد ذلك في تدعيم هذا : انه كان من الواقفين على مدرسة (اوجو) حتى اسسها الفقيه سيدي سعيد الاوجويي المعاصر للشيخ (وقد توفي هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الحبوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم أوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن •

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة في تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحوهم ويكشفوا الستر عن تمويهاتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذي فضل بفضله ؛ ولايعرف لاهل الفضل الا ذووه •

وما عبر الانسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

فهذا ما امكن لنا ان نعرفه صراحة او استنتاجا من هذه الوثائق التي كيفناها تحت هذه الارقام ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك حمدا كثيرا •

٣ ــ في الوثائق الموضوعة تحت ارقام : ٦ ـ ٧ ـ ٨ نعلم أن اولاد الشيخ الاربعة محمدا وأبا القاسم وموسى واحمد قد بلغوا كلهم اشدهم في حياة ابيهم؛ فاستحق كل واحد منهم ان يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب ان والدهم زوجهم جميعا كما زوج اخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ ــ ١٢ فسلك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها أولو الحزم في الدين والدنيا ؛ الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون اموالهم لاولادهم قسمة لاتصطدم وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك لاولادهم وهم لايزالون في الحياة خوف ان ينشا ايضا بين اولادهم حول الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين ؛ وانقطاع اواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ ؛ فخمس ماله بينه وبين أولاده الاربعة وذلك الخمس الذي صار له ؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل ما انها قبله ؛ وقد رايت رسم ذلك التصيير ثم قرانا في رقم ــ ١٢ ــ موافقة اولاده على هذا التصيير •

مثل هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرا بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو لايزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله المالكية رحمهم الله ؛ ثم ان الموافقة انما حصلت من محمد وابي القاسم وموسى ولم يذكر فيها أحمد ؛ لانه ابن المصير اليها ؛ وهو الذي سيؤول اليه هذا المال متى هلكت المصير لها لانها امه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الملك اليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه تبين ايضا من ذلك ان للشيخ اعتناء بتاثيل الاملاك على اختلاف انواعها ؛ وهذا ما لانشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحدة (١) في هذه البلاد ؛ فكما ان له في ايمور املاكا كانت له ايضا املاك أخرى في مختلف النواحي ؛ راينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولان كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وان كان غالب العامة وبعض الخاصة من المتفقرين يحسبون ان الرجال الصالحين المشار اليهم بالاصابع ؛ الذين يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون في منصة التربية للمريدين ؛ كصاحب الترجمة ؛ لايبالي منهم

(١) وحدة بلا ياء ؛ وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة •

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعا ؛ ولا يخفى ان هـذا قـول مافـون لايصدر الامـن لايعرف ماهو مدلول الزهد في دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي ان تصك آذانه بقول أبي الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا •

وبقوله أيضا ؛ من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه • وأن يصرخ عليه بقولـه صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاصي : نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على مايروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرتـه لدنياه ؛ وانما خيركم من اخذ من هذه وهذه) أو كما قال في أحـاديث كثيرة في الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ؛ مـا عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالبالناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض لليد ؛ حتى لايضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فيأحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح او علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لابد منه من دنياه ؛ لاكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم؛ ويتمضمضون فيأنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه علىالمقياس الذي توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقيس والمقيس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذي انحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى ان يخالوا ما ليس في الواقع •

اذن تأثل صاحب الترجمة املاكا لاباس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفي اسرته فكان من ذلك أمران : احدهما انه لم يذر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بـل ورثهم ماانموه فادر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر في اولاده هـذه العادة المحمودة المتركبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الدين يريدون ان تكون يدهم دائما هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك في هـذا الخلف •

هذه نظرات في الـذي وضعناه تحت ارقام ٦ـ٧ـ٨ وقد بقي منها مـا يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتي :

٤ ــ في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩ـ١٠ نعلم بعض ما يتعلـق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا انهـا توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا ان أسرتها الغرموزية ؛ اسرة مجيدة مذكورة في

زوجها ؛ فقد عبر عن احد افراد عائلتها بالشيخ بلقاسم ؛ والشيخ في عرفنا هو المقدم الذي يراس اخوانه ؛ ولا يمكن ان يراس الانسان في هذه البلاد الا اذا تأهل للرياسة تأهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقلـه ومركزه الاجتماعي ؛ وقـد يضاف الى هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ـ الذي فيه الفاصلة ونعلم ايضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مـع اختها على ورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ او على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ انما هو استرعاء املاه منعلمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هوالتاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كـاتب الاصل ؛ او من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ابم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما ياتي على زمن وفاة الشيخ •

هذا ما يتعلق برقمي ٩ ــ ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما •

٥ــ في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١ـ١٢ـ١٣ نجد مايتعلق بزواج صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق اجمـع في اختيار الآباء للابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقيلية الشريفة ؛ وهي غنية كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهبوالحلي التي جهزت بها السيدة حتى بلغ جهازها ستمائة اواق ؛ وهـذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والاوقية فيذلك العصر؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهـذا الاختيار مما يـدل عـلى سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس انـنـا كثيرا ما ننشد هذا البيت ؛

والمرء لا يشبـه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس(١)

او ليس اننا نروي فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا أولادكـــم فقد خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن احمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من ابيه احمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقـد توفيت مريم هذه قبـل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم منادادة لعبد الله بن احمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى •

---

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فانه فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيفية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كـــــان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنابة احمد بن عبد الله بن سعيـد ؛ لاحمد بن عبد الرحمن من نسبه لدليلا لما سنستنتجه منه حين نبحث عن اصل صاحب الترجمة؛فيما يأتي قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين •

هذا ما استفدناه تصريحا او تضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣ زيادة على ماكنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة •

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤-١٥- المذكور فيهما ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فوائد جليلة ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابد ان نقف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه •

أولا - نجد في ترجمة الحضيكي زيادات في الاوصاف على ما عند الرسموكي؛ فبينما هذا لايزيد على قوله - المرابط الافضل - اذا بالآخر يصفه بقوله - رجلا فاضلا متصرفا مربيا للمريدين ذاكرامات وجهادات وعبادات وساعات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي أكابر العلماء ؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وارشدهم وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التي زادها هذا المؤرخ المتاخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذى ادرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد مايؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم -٥- التي وقعها ذلك اللفيف من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التي لا تزال تتردد بين الالسنـة الى الآن ؛ فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات البين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛الذكر الخالد بين الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه ايضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛ وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وآثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالمـا فيكفيه شرفـا أنه يزور أكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلات اليراع اولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف -اذن- التي زادهـا الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة ايضا بمثل ذلك او اكثر في بعض النواحي •

ثانيا - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم اكابر

الصلحاء ويزورهم ؛ والمقصود بالصلحاء هم الصوفية ؛ فاما كونه يستخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيا بن عبد الله المصلي ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين ادرك اعصارهم كالشيخ احمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانهما واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا انه اتصل باحد من اكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر - الا ماكان من الفقيه سيدى سعيد الاوجويي الصوابي وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذى ادركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عمن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه •

ثم ان التصوف الذى اتصف به صاحب الترجمة يظهر أنه تصوف عملي؛ متسيد باقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم جهده - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامـد الذى يحمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ أو في مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه اولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ ومشاركتهم في كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب او جدب ؛ فيتجه اوجههم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بامور المسلمين •

ويظهر -ايضا- ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها واليه الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ لصيما خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هـو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية • وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذى درج وراءه ؛ وماكان الرسموكي الذى ادرك عصره ليسكت غالبا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدى محمد بن احمد الحربيلي المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمرى ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذى يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك •

ولقد دخل سيدنا عمر بن الخطـاب رضي الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلقت على كبير من الصحابـة فلامهم عمر بالدرة ؛ فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : اتريدون ان يقال هذا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقرأناه في مختصر تاريخ ابن عساكر

ولم نسله بلفظه لطول العهد به ؛ وكانه رضي الله عنه يتوجس خيفة ماوقع بعده في المسلمين ؛ وكانهم لايتلون قوله تعالى «ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء»

فهذا الذي كان عليه الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون : كالازهار ؛تختلف الوانها وان كان الماء الذي تسقى به واحدا .

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة في مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله في عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا ــ ان كلا من الرسموكي والحضيكي وصف الشيخ بانه ساموكني وطنا؛ تهالي مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكي فاخذه عنه الحضيكي على عادته في غالب التراجم التي اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقي ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لاموريشتي ؛ منها مايزعم من ان قبيلة ساموكن قبيلة منحطة في انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها في المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لايستحيي جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكي ؛ فحواها انه سال مرة انسانا عمن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكني فزعم ان الشيخ قال له : اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك ؛ والا فتبلغوا بطالب (ازغاري) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فاريحوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من امثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاعهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة في انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بني آدم كلهم كاسنان المشط لايتفاضلون الا بالتقوى ؛ بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل في ذلك؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية المقوتة الا ذوو الراي الفائل ولكن مع مدافعة ذوي العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون ان الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لايرعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذي يتبرا من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرا اهلنا من ان تكون بينهم وبين آل ساموكن اواصر؛ وينظرون الى كل من لزهم بذلك نظرا شزرا ؛ حتى ان من اراد ان يثيرهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور او بغير شعور .

لاازال اذكر انني كنت مرة ــ وانا في طور البلوغ ــ في دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم القشاني ؛ فضاحكني وداعبني فلم يتشبث ان لمس هذه النسبة فاورثه في ذلك ؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي فاراني هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت ادافع بأذني عن الساموكينة ؛ ولكن مضضا في نفسي احس به يخزني وخزا ؛ وغرارة الشبيبة لاتزال تنشب في التعصب المقوت ؛ ثم انني بعد ذلك بكثير قرات في تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضي بسوس سيدي محمد بن احمد الرفالي فسح الله في اجله ؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم القشاني ؛ فكان هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلي امامه شان مرابطينا السعيديين ويعرض في اثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف ؛ فلم يصبر الاستاذ ان قال من هم مرابطوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجاذبه رب مثواه في ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي ؛ فاتى به فوجد الامر على ما قال .

هذا ماقراناه في كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع في ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادي اظلم .

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعوبية المقوتة ؛ التي ينبغي ان تنطوي بين المسلمين .

ومما يحول ايضا بين اهالينا وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثارة من علم ؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادي ساموكن ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهما ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بايمور طوال حياته حتى اقبر فيه ؛ وليس هناك في وادي ساموكن ما يدل على انه كان نازلا فيه ولو حقبة من الزمان فلا دار له هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ماينسب اليه والعادة تقضي في البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لابد ان يدع فيه اثرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لايوجد شيء من ذلك هناك ؛ فلاشك ان هذا غلط من قائله اياكان سواء قاله الحضيكي من عند نفسه اونقله عن غيره ؛ وهذا الذي يقال للحضيكي يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة؛

ــ اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه .

ــ واما ان ينتقل الى املاك نالها في مسكنه الجديد ؛ فيجب ان يجاورها؛ وان يكون استغلالها تحت نظره .

ـ واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهي كلها منتفية ؛ فليس هناك في ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك في المكانة التي يغبطه عليها كثيرون ؛ ولا كانت له في ساموكن املاك تأثلها فاحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التي فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريحات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة في امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك انت رأيت في هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض أمكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افنقدر ان الشيخ باع ما تأثله هناك بعد أن ملكه ؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التي تكون في ذلك الوادي والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فبهذا كله يعرف انه لا اصل لمهناك ولا عقار يمكن ان يحفزه الى النقلة اليه ؛ وكذلك لا يمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (تاهالا) الى ساموكن فسحة ارجاء ذلك الوادي وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادي عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من افواه الاسد ؛ فلا يتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنيتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ في حين ان تهالا بلد متسع الارجاء منفسح المرعى ؛ لا يمكن ان يغادره ذو لب باختياره ليزج نفسه في ذلك القبر العميق قالوا فبهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التي بها ـ غالبا ـ ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفي كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفي بانتفاء جميع اسبابها .

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف في عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على مانعلمه فيما سياتي ففي اي وقت توطن في واد ساموكن ؟ اقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة في رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رايت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذي يحمله على السكنى هنالك والانتقال باولاده اليه ؟ الا تلك الاسباب التي ذكرنا انها هي التي بها ينتقل الانسان ـ غالبا ـ عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفت افلا ينتفي كذلك المسبب ؟

قالوا عجبا ! ايعرف غيرنا عن جدنا مالا نعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرى بشعابها ! ايستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمآت ابا عن اب ؛ الامكنة التي اسس فيها ماأسسه في حياته حتى اننا لنعرف مابين الهامه الفيح والقفار المترامية ! آثاره الرا الرا ؛ لم ننس شيئا مما وراء ذلك ؟ افليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد من طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين او كان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا في الواقع لان ذلك مخدوش فيه ! بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ ايعرف واحد من بالغائبين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادي ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القارئ انا ممن يرمي تلك القبيلة بما يرميها به رعاعنا او نابي ان ننتظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوي الشعوبية الممقوتة ولا ممن يتنصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهب وخزف ولو صح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوصح ان جدنا سكن بين ظهرانيهم لتلقينا ذلك بكلتا اليدين ولابديناه للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي يكفنا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن في واد فان ثبت ذلك بعد بما تثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكي يقولان في الشيخ التهالي مسكنا الساموكني وطنا ؛ فهذه العبارة لا نكاد ندرك لها معنى ؛ فلا ندري هل المقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لا نعرف على ما يقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذي قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ! مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ! فعهد تواتر عند الناس انه كان في اكادير تبسبيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه يحيا بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١هـ في ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففي اي وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكي ! في حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه في اكادير تبسبيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتتابع كما نرى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم نلقي من ذلك اعوام الصبا فما الذي يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطانا يستحق ان ينسب له ! حتى يكون في مقابلة سكناه في تهالا الذي كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرنا ماذا يقصد بها ؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل ان اهالينا يابون بكل ما في امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ! ورد ذلك علماؤنا كما نرى في رقم ١٥ مما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي : ان ذلك كذب محض ؛ لهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل مايمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهالينا فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لايريد ان يسير الا بمصباح ينير مامامه ؛ فقد فتشت واكثرت التساءل عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرانا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم -١- ان عليا عم الشيخ هوالذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرانا ايضا في رقم -١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم انه من نسبه ؛ فادركنا بذلك ان لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وادركنا ان الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يساكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجري به عادة ذوى الارحام ؟ لاندري ؛ ولا طارق الحصي يدري اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعي نظرنا الا ما عند الرسموكي الذي يدفعه اهالينا بما رايت .

اكثرت التامل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهالينا ومايقوله الرسموكي بتاويل كلامه .

ان اهالينا يقولون ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكي ان وطنه هو ساموكن ؛ او ليس انه يمكن ان ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم اكادير تنبسيست؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكي اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقى الرسموكي الكلام جزافا فيما هو بصدده في كتابه ؛ وقول المورخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ماعند اهالينا كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟فندرك -اذن- ان الشيخ ماانتقل الى ايمور الاقبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يضفه الا الى ايمور ؛ ولم يضفه الى مكانه الاصلي ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمثواه الان ؛ لابما درج منه على ان العقود لايستدل بها الا فيما

سيقت له لاغير ؛ واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها ؛ وذلك معلوم عند كل فقيه .

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير تنبسيست كما يقوله اهالينا وتواتر عندهم ؛ ويدل عليه قول الرسموكي ان فهمناه ذلك الفهم الماضي ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هنالك ام كان في تمدولت؛ كما يقوله اهالينا ؟ انني ارجح في هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه في اكادير تنبسيست ؛ وان الذى انتقل من تمدولت احد اجداد الشيخ؛ والذى رجح هذا عندي ان وقت جلاء تامدولت الشهير كان في اوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ علي بن يونس الاغشاني هو الذى كان سبب هذا الجلاء في حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا في القرن التاسع اوترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدادى المتوفي حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعلي بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجد ادى في النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفي سنة ٩٤٨ هـ فبهذا ندرك ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هوبل ولاابوه من بين الجالين ؛ فربما كان الجالي هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالي بنفسه ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيا بن عبدالله ؛ اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ماعاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى نزيد في ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهالينا .

هذا ما ترجح عندنا في هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو في ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف في الاستدلال ؛ وكون المتواتر عند اهالينا هو ان اصله من اكادير تنبسيست ؛ يكفي في رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر المتواتر بما قاله الرسموكي " من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما اولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما امكن لنا في الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان اكادير تنبسيست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه ايت على المريبضيون .

رابعا - انك قرات في ترجمتي الرسموكي والحضيكي الموضوعتين تحت

رقمي -١٤-١٥- ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثاني سنة ١٠٤٠هـ ثم قرات بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالغي حفظه الله مستدلا بما في رقمي -٦- و -٧- من رسم التصيير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصيير المورخ برجب سنة ١٠٥١هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثاني ان ذلك الابراء من اولاد الشيخ لابيهم كتب في حياته وان تاريخ الابراء هو رجب سنة ١٠٥١هـ وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهود فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته في ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى ·

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم -٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلها فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لايزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٥- بـ٣ اومثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكي وما فى رقمي -٦-٧ فالمتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولايخالطه - كما كان ذلك من الرسموكي مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبت الرسموكي فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه ؛ ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبان غلطه المسند الى مافوق احدى عشرة ؛ كثيرقلما يقع للمتصدى لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبت ؛ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكي ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافى وثيقة التصيير وما فى اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١ ولنبق على ذلك الى ان يظهر لنا ماينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانما هو تبع للرسموكي فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تثبت الرسموكي من جهة اخرى فنتحير ؛ والله اعلم ·

هذا ماامكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرك انه معمر حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله ·

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ماتدل عليه تصريحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا الا كلمة اخيرة حول كلمة قراناها فى الوثيقة الموضوعة تحت رقم-٥- وهى قول احمد بن على بن ابراهيم التوبيتى فيما خاطب به السلطان «فنرغب من امير المومنين المنصور بالله امام وقته ابى العباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم فى التحرير والخروج بهم عن الطالبة على عادته فى اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما لم يدعه قط مرابطونا ؛ ولاسمعنا من ادعاه لهم اوانما هى كلمة ارسلها التوبيتى على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تان وتبصر حتى ندرك ما يرمى اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالما؛ ولكى نعرف ذلك ينبغى لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك ·

قرات معى فيما تقدم ؛ البحث عن منشا الشيخ واصله ؛ وقد استقررايئا اخيرا على ترجيح مايقوله اهالينا من ان الاصل الاصيل من تامسولت ثم لايعرفون ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ماكان الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرنى به منذ سنوات انه راى رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية يعنى الى جعفر بن ابى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال العراء فى بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ماسمعته لاغير ولكن هل لهذا من صحة ؟ فان اهالينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها رواجا بينهم قط ؛ الا ماكان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهى مخطوطة بيد الاستاذ العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبها الى تلاميذه بابى مروان ؛ولا ادرى من اين تسرب اليه ذلك ؛بل ولاسمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلك هذا كل ماخطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولاعرف له مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطب بهذه النسبة شيخه الشيخ الالغى فى قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة نونية ستقراها ان شاء الله فى ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر النفحات العنبرية فى المنافحة عن الطريقة الالغية بذكر بعض مالها من الآثار السنية فى كتاب الترياق المداوى)

وقد سالت شيخى سيدى سعيد ا التنانى عمن استقى من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ذكر له انه راى ذلك فى طرة كتاب ؛ هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالينا فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت بـه المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلايزالون فى ريب لان الانساب لاتثبت بمثل مافى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامتوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن –ومثل هذا يكتفى فيه بالظن– ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ماهنالك ؛ لان هذه النسبـة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لايذكرون ذلك ولايرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لابما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لاادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ؛ ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها •

هذا كل ماعرفه راتجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندى حتى درجة الوهم ؛ لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينساه الاباء ؛ ولم يملاوا به مسامع الابناء مع ان كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على هذه النسبة بالنواجذ وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة انسابهم الى الامـام جعفر ؛ وبتعهد ذلك بظهائر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايفشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هـذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشر فيها اولئك العلماء ماعرفوه •

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمـة من الحسن او الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لايحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هذا لعمرى ايراد له حظ من النظر • ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لوكانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولاعلنوا بها فى كل مناسبة ولرايـنا ظهائر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تـقـدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرها تصرح بذلك وتعلنه على عادة الظهائر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لايقبل به ذلك القول الذى صدر مـن الفقيه سيدى احمد بن على التوبيتي فى تلك الوثيقة •

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفـيـة التـى

ذكرت فى الوثيقة هذه بانها هى النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتـدة الى زينـب بنت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فكـمـا انـهـا ولدت الحسن والحسين ابنى على بن ابى طالب كذلك ولدت زينب بنت على بن ابى طالب التى اولدها جعفر بن ابى طالب سلالته الزينبية وهى مشهورة ؛ فما المانـع ان يطلق على هولاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عـلـيـه وسلم ؟ كما يقال ذلك فى اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتامل •

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قولة تلك الوثيقة وهذا القول على الاقـل نجد فيما يروج اخيرا من يلوكه بلسانه ؛ وان لم نعتمد عليـه ؛ ولا كـانـت عليه لوائح البرهنة ؛ على ان ابناء المصطفى اختصوا –عرفا– بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نمد ايدينا الى تقبل ما يقوله هذا القائل برمته •

يطرق آذانى فينة ان هناك نحو وادى ايسى شجرة نسب للشيخ صاحـب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجنها ؛ ولم ادر ؛ اهذا الذى يطرق آذانى صحيح او هو من بنيات الالسنة ؛ وطالما حثثت بعض الناس اليه لعلهـم يجهدون فى التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه مانخرج به مـمـا يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكننى بكل اسف لااجد الا كسلا واعراضا ولاحول ولاقوة الا بالله •

لنخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا على شك فى هذه النسبة وذا ومنا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذى يذكره الاستاذ الامتوزى فاننا لانجد الابابا موصدا امام نتيجة يتطاول اليها بعض من لم يكفهم شرف الاسلام العام ؛ وابى الا ان يزج نفسه فى الطالبيين ؛ ولا ندرى ؛ فلعـل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا فى هذا مثل ماوقع للاستاذ احمد بن خـالـد الناصرى الذى اعلن الشك فى نسبة الناصريين فى الجعفرية فى كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحداه الى ان يرجع هذه النسبة فـى كتابه (طلعة المشترى) •

هذا آخر ماتيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدى عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا فى ذلك جهدنا ؛ واسهبنا بعض الاسهاب ؛ علنا نتعـرف منه نواحى غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليلي بقدر الامكان ؛ ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ؛ ونلقى ظهريا ما لاتدعمه حجة •

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فستمرى ترجمته ؛ وامـــا محمد فدفن فى (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن فى قرية (ايدل) بقبيلة ايفشان واما موسى الذى مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبدالله انه راى رسما مورخا بنحو ١٠٩٨هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم ٠

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افقير انه راى في سلقسيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزدي بين رسومه مايدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددات ؛ فالتهالية هي ام محمد ؛ والافرانية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكنية لاعقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مات في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ماكتبه عنه

ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهير السلطان علي ابودميعة التازروالتي :

حملته اولاد المرابط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهرين يبقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولايطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الامر بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتب برمضان سنة ١٠٦٣هـ

عبد الله سبحانه
علـــي

(٥)

ظهير في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل

كتابنا هـذا اسماه الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بيد حامليه المرابطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبدالله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبدالله بن

(١) احسبه علي بن الحسن بن أحمد بن موسى ؛ ولعله كان قائدا على جهة ايمور والغ ؛ فاستحق ان ينبه على ذلك ٠

سعيد رحمه الله وقدس روحه يعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنا لهم على مابايديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ وللجميع من تعلق بسهم والواقف عليه يعمل به ولايتعداه والسلام ٠ في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢هـ وعليه طابع ليس بجميل؛ لم نهتد لقراءة مافيه وقد ذكر فيه كماترى ظهائر اسماعيلية ولعلها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الاطابع كتب فيه؛

(وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته مايأتي (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) ولاندري من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيلي وقد كان ولاه على سوس حينا) ٠

(٦)

ظهير حسني :

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح وملزوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولايحيد عن كريم مذهبه والسلام ؛ صدر به امر المعتز بالله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه ٠

(٧)

ظهيـــر عـــزيـزي ٠

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ واطـلـع في سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدي عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح وملزوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما لسامر

الواقف عليه ان يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام

اصدرنا به امرنا الشريف فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه ٠

تحرير للقائد سعيد الكلولى الحاحي الذى كان قائدا عاما على تزنيت وما اليها سنة ١٣١٥هـ ٠

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدى حامليه المرابطين الاخيار ؛ معادن جواهر الاسرار السيد الكامل ؛ والمربى الواصل يتيمة عقد الاولياء وخلاصة القوم الاصفياء سيدى عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاويته بأيمور ؛ عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام وتنزيها لساحتهم المطهرة عمن سامها بقصد ذلك او رام وامتثالا لامر الله بتعظيم حرماته التى هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما بايديهم من ظهير سيدنا المقدس من انهم لايسامون بادنى تكليف ولايضامون باقل موظف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ واداء الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء الاعشار لزاويتهم التى للعلم والتى للفقراء قياما بواجب التعاون على البر والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافى الانخراط فى سلكهم ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم ظاهرا وباطنا جزيل حقوق القائمين بامر الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر فى طريقته ارباب الزاويتين العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدى الحاج عبلا بن صالح بزاوية تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء ؛ الفقيه سيدى على بن عبدالله ؛ وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين الشيخ سيدى على بن احمد الدرقاوى وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب عليهم القيام على ساق الجد فى خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لما خصوا به من حلية العلم وزينة الوقار ونشرهم فى الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى فى خدمتهم ؛ والاجتهاد فى قضاء اوطارهم وان لايواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من مصالحهم المخزنية اوغيرها رعيا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه : واعلم بهذا من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ فى ٢٤ ذى الحجة عام ١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلولى الذى هو خليفة القائد سعيد ؛ وعقده

الايمن الا ذاك ؛ والذى حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن العامرى الشهير بالدرقاوى ؛ وقد توفى سنة ١٣٤٠هـ

(٩)

ظهير محمدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله :

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنه جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد حاحة من سوس حكم ما تضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم فى دار السلام ؛ من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيتهم وعائلتهم من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه ؛ ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ٦صفر الخير عام ١٣٥٣هـ وقد سجل هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦ ماي سنة ١٩٣٤م محمد المقرى وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن يوسف الله وليه ٠

هذه هى الظهائر والتحريرات التى وجدناها فى الموضوع ؛ وهناك رسائل ايضا فى تابيد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد بن محمد ؛ تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم تهتد منها الا الى كلمات لاتسمن ولاتغنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢هـ وقد بت هنالك بايمور قصد زيارة تربة الجد :

لله رحلتنا الى ايمور	كيما نزور هناك خير مزور
ظفرت يد الاسعاد منها رحلة	جمعت شتيت مسرة وحبور
طويت جبال لم اوداء بهـا	طى ابتهاج فى الذ مسير
يحدو بنا الشوق المبرح للذى	فيه الجدود ثووا طوال دهور
حيث استفاض الدين منهم مشرقا	كالشمس تشرق فى طلاوة نور
حيث المنابع صافيات للهدى	والرشد صين من الهوى بالسور
حيث استتب اساس اصلاح لكــ	ـل المكرمات مشهر مأثور
عمل له الاخلاص مصفاة وما	اسماه مـن عمل لهم مشكور
فهنت لهم طرق اشادوا حولها	ماكـان خير مشيد مذكور

كانت معاطش ليس تسلم غيرها ... فاذا بها ضمنت صدور العير
لله منك الهمة القعساء يـــــا ... من كان مثل التاج في ايمور
علما لعمرك كنت ثمت خلفت ... ايديك ما يبقى طوال عصور
فكذا يكون الصالحون وهكذا ... تشدى مناقبهم مـن المسطور
زدت الكرامـة والتشرف والرضا ... ممن يديـر دوالـب المقدور
وتقفت الابناء ما رسمت لهـم ... ايديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر مايتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيدرحمه الله ورضى عنه •

سيدى احمد بن عبد الله الالغى

نحو ١٠٠٠هـ نحو ١٠٨٠هـ

نسبـــــه

احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك •

هذا ولد من اولاد جدنا الاكبر الذى قرأت ترجمته ؛ وقد رايت ان لمدرسة يلين هذا منهم ؛ وهذا هوجدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح كثير ؛ وعلم غزير ؛ ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض نتف تلقفنـــا بعضها من السنة المحدثين والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلكالوثائق التى قراتها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطيل بسوقها •

رايت فيما تقدم ان والدته هى زينب الكرسيفية ؛ وان والده زوجه نحو سنة ١٠٢٣هـ بمريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلى التى سالفت اليه ذلـك الصداق الذى ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهى ام ولده عبد الله بن احمد الذى سنذكر ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تـزوج ايضا بامـرأة اخرى من آل (اغرابو) كما رايناه بخط الفقيه سيدى ابراهيم بن سليمان؛ وهذه الاخيرة هى ام اولاده كلهم ماعدا عبدالله الذى ولدته الاولى •

وكان صاحب الترجمة ساكنا فى مسكن والده بايمور حتى انتقل الى الغ بسبب لانعرفه كما لاندرى ايضا كيف اختار هذه القريـة التـى هـى الى الصحراء المقفرة اقرب منها الى العمران ؛ ولم يقع الينا فى ذلـك الا هـذه الحكاية التى اخذناها جزافا كما نلقيها اليك جزافا •

يقولون ان سيدى احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن ايمور فنزل فى سفح الجبل الشاهق فى شمال الغ ؛ فاجتمع عليه هنـاك الوفقاويون والايفشائيون والتاكاتزيون والحربيليون الالغيون ؛ فصارت كل قبيلة تقترح عليه انيشرفها بالنزول بين ظهرانيها وانها قائمة بهاحسن قيام فالسيـد الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائـل يتجاذبـون الحديث حول ذلك ؛ وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجاذبة الكلام ؛ شاور بعضهم بعضا وكادوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهمذلك السيد المتهد عنهم فهداهم ؛ وربط على قلوبهم بهيبته ؛ فامر باقامـة صلاة العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ماهم فيه ؛ فماكادت

الصلاة تنقضي حتى علت في جنوبي مصلاهم ذاك ؛ طلقتان من البارود تترى مثنى فالتفت اليهم —وقد سلم من الصلاة— فقال لهم ماذاك ؟ فقيل له ان هناك في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا ، ولعله توفي الآن — والعادة ان الطلقتين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادي فقال لهم ان الاولى بنا الآن ان نغتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الغفير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى احمد الفقير —وهو اسم ذلك السيد المتوفي اذ ذاك ثم لما نفضت الايدى من القبر ؛ وتمت سنة التعزية ؛ التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انني نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كانني نازل بين ظهراني كل قبيل منكم ؛ فرضي من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ؛ ثم ان ذلك المصلى الذي صليت فيه العصر ؛ لايزال يسمي الى الان (اكن تناكزين) ويقولون انه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التي صلت فيه اذ ذاك (شعب العصر) .

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفي سيدى احمد الفقير كان اهل القرية الحربيليون الذين آووه للتبرك به ؛ وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا له وهو محتضر وهم حوله يبكون لمن تتركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح بعدك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدى في السبل ؛ فقال لهم لاهابه لاتضيعون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتي اليكم الله باحمد آخر .

هذه هي الحكاية المتداولة المتواترة التي تذكر سببا لسكنى صاحب الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية مايعد مستغربا بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيها ذيولا مما نعهد مثله في الاساطير ولكن التاريخ قلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة اللماعة .

هكذا استقبلت قرية دوكدير هذا الرجل المبارك الذي يقود اليها بحمارته من الصلاح والعلم والدين والعمران ؛ مالايقوده كثيرون ممن يقبلون الى مكان بجياد جرد عتاق .

تلقى الحربيليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين ؛ واستهلوا فرحا باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التي كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم ،فعينوا له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه بابتعاده عن ذوى رحمه بايور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن ان يجدهما بين ذوى رحمه ؛ ورحم الله عمر الذي كتب الى ابي موسى : قل لذوى القربى يتزاورون ولايتجاورون .

ثم ان هناك حكاية اخرى توثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بداره

الجديدة ؛ وبعد ان راى من جيرانه الجدد الكبارا واحتراما ؛ لايراهما لوكان لايزال بايور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا —كما يحكى الحاكون— يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتفلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى انتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلهم يعثرون على دواء ؛ فقال ذو راى منهم ؛ ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتفلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تفلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية ؛ فلابد ان تقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتتساوى الكفتان ؛ فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية راى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا مابينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشي الى عادتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر مني ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك .

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان في عمره كله لايهتم بتاثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نر له رسما واحدا في ذلك ؛ بل ماكان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يتاثل كل هذه الاملاك التي بايدى احفاده ؛ ولا القائم بالزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد كان يبلغ بها لليسر ؛ مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ماقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها .

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ماحزرناه لانه اصغر من اخويه محمد والقاسم كما قيل ؛ وقد عرفنا انه امي لا يشتغل بالقراءة التي يتاخر بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم نجد من ذلك الا مايفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب سنة ١٠٦٣هـ ينادي فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم نصا لم لم يذكر في ذلك الرقم مايشعر بان والده توفي اذذاك؛ وكذلك راينا الاخيه

"محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه القبض اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة ـ بعض ما كان لزوجه مريم في ايام والده ؛ ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بـل الذى يتوهمه منه القارىء انه لايزال حيا اذ ذاك ؛ وان هذا الرسم كتب في مقابلته

ولكن هذا انما هو وهم فقط؛واياكان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا اوظنا الا ماكان من العم ابراهيم ؛ فانه ذكر انوفاته فى آخر العشرة الثامنة؛ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتاخر ايضا عن سنة ١٠٨٠هـ وهى ان بعض المسنين ممن يجولون فى الاخبار حكى لى ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ماقوض دولة ايليغ وشتت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بشيء ـ ولم يستحضر ذلك كما هو ـ فآنس منه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ماحكاه لى هذا المسن ؛ فان صح هذا فان وفاته وراء رجـب مـن سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايليغ فى ربيع النبوى ـ كما وجدته مقيدا فربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيـهـا حجرا على حجر ؛ ولاسقفا قائما ؛ ولابابا فى محله ؛ فيكون رحيله فى شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروره بالغ فى طريقه الى تارودانت فى اثناء هذا الشهر . هذا ماامكن لنا قوله فى حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم فى وهم ؛ ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل مادخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها فى طريقنا الى هذا المنزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا أننى لم اسمعها الا من واحد من غير اهلنا

ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكـور (٢) محـمـد (٣) على (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاماموسى ومسعود فلاعقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله فى ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لايذكرون فى اولاد الشيخ ؛ ولايتناولون من نذور مشهده حتى نسى انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العم الذى هو ماهو فى انسابنا ؛ ومن املائه كتبت فـى غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقى من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمـد (٣) على (٤) ابراهم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

---

١) (من أفواه الرجال)

سيدى محمـــد بن عبد الله

نحو ٩٨٠هـ نحو ١٠٦٠هـ

هو اكبر اولاد الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ؛ ويذكر ايضا بالصلاح وقد استقر فى جهة (كاور) وله دار فى كاور وفى (تالات غزيلن) وفى اكادير (ازرى) ولايزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده فى (كاور) مايدل على ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الى اليوم وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم فى (اكادير ازرى) وفى (تركا اخضير) وفى ايت (بوصحيب) ؛ (ادبنران) وبعض اهل (اكرض افلير) وفى (تاكانزا) وفى (انويدير) وفى (تاحواوات) وفى (دوتمنروت) بـ (ايتوفقا) وفى (ايمسور) وهم انمى من ابناء عميهم احمد وبلقاسم

سيدى على بن احمد الالغى

نحو ١٠٥٠هـ بعد ١١٣٠هـ

نسبـــــــــه

على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كنت رايت فى ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الغ ؛ ولم يتاثل فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية ولايزال حقل كبير حول هضبة (اوساياك) ينسب له الى الان ويسمى اوددى ولعله هو الذى تصدق عليه به من الحربيليين ؛ كما لاتزال داره التى اسسها له من تلقوا نزوله بينهم بكلتا اليدين ؛ مشهورة الى الان .

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذيلا ممدودا من الاحترام من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فزاده شرفا الى شرف ؛ وقد كان آل (تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه عند الحربيليين مقاما كبيرا؛ وسترى فى بطاقة كتبهااليه عبدالرحمن الساموكنى فى شان آل سيدى احمد الفقير ـ وقد نشرناها فى ترجمة هذا الاتيـ ذلك الخطاب العظيم الذى يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامه العصر الاسماعيلى الممتد مابين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩هـ فقد مربنا فى ترجمة الجد مايدل على ان هناك ظهائر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولانشك فى ان عليا هذا هو الذى تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التى كان لها فى زمنه مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة؛ من الحربيليين الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا لوالده ؛ ليتاتى لاخوانه اجمعين ان يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو نفس ؛ وعلو همة ، وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١) التى تقام على مشهد سيدى احمد بن عبد الله من آل (اداى) و (تاجارمونت) وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كما طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون به سنويا الزاوية الالغية ؛ قال: وهو الذى حمى اكادير نيت على لآل مريبض؛ وعين

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين ؛ والمفرد معروف .

لهم صفحة يزاولونها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة الم لم يزل ذلك معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيتان منذ عام ١٣٥٤ هـ وهو الذى حمى بسببه زاوية والـده سيدى احمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسما مصححا من تصحيف فى عبارته ؛

اتفقت جماعة اهل الجرفة الحربليون ـ وهم آل (تاكانزا) وجماعة بنى روفا وجماعة آل ايفشان ؛ على المصالح فى زاويه الشيخ الولى الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرابط بنظاهرين اصلا وجارا ؛ وفى دار ابنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لايليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا فى حرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى لضمان قبيلته اثنى عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومـن سرق شيئا ايضا فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضا مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلايلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ابى القاسم بن عبد الله من النسب اهـ بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فياويح من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شيء منها ؛ ثم لايزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لاتزال الى الان شاخصة ؛ ثم لمادفن سيدى احمد فى دار البرج كما كـان اذ ذاك يسمى ؛ وبنى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولايضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ماجعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

الكنت لاتزال تتذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد التى وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت فى ايام صاحـــب الترجمة ؛ ويغلب على الظن انه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة؛ وبذلك لستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيا حثيثا متواصلا حتى يصح لــه الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابـن سعيد فـى تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمر بك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠هـ والذى حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذى فى تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه فى سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ـ٥ـ من الظهائر الملحقة بترجمة الجد ان الذى حضر هناك ولده احمد بن على مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لايقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهمنا ذلك لمارايناه من تصدره على اخوته ؛ وتوليه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لايكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء مايمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبر من على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير .

هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .

سيدى عبد الله بن احمد الالغى

نحو ١٠٤٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكى ؛ فوجدت فيها فى ترجمة سيدى محمد ابن محمد الحضيكى صنو جد المولف ما ياتى .

واخبرنى الفاضل الولى الصالح عمنا الشيخ السيد محمد القشانى ؛ انه بات عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولى سيدى عبد الله بن سعيد المطهرينى ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (اسا) من ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما ؛ اما انا فما معى شىء ولكن تركت المزود فى دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا به ... فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكى ؛ فقال باسم الله فاخذه ... وهو لايبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من ... وقع لنا مثل ذلك .

... كان سيدى عبد الله بن احمد ممن اشتهر فى عصره بما يشتهر به العباد والصالحون فى العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف عنه بين اهالينا ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر فى عصره ؛ ولم يوثر عنه الاهتبال بتاثيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه ؛ وباستغلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت اننى وقفت على رسوم تبريحات متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها من اله ؛ وللاختصار لم نجلبها الى القارىء وقد وقفت ايضا بين الرسوم على بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدى عبد المومن بن محمد الايشانى ؛ وهى هذه كتبت فيها شهادة لبعضهم ؛

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت على بن الحسن الحريبلية ؛ واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدى عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد النهال من ابمور ا من ثوبين قبضت جميعها ؛ والهالم

لضيع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك في تاريخ ١١٠٢ ه عبد المومن بن محمد بن علي بن محمد وفقه الله بمنه .

نتأمل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع؛ وان امانته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا في هذا التاريخ ؛ لان الغالب ان هذا الابراء لوكتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هي العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو ١٠٤٠ ه لان هناك في رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ ه والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتم رشده في العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ ه لاننا رايناه قام ينطلب اذ ذاك بمتخلفها وحظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان في سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة اسباب معاشه ؛ ذائدا عن حظه بدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هو بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافي هذا وهذه الحكاية بنفسها هي حالةحياة مرابطينا ؛ دين وصلاح في ضمنه الكد وراء الحلال؛ لئلا تمتد يدهم في فاقة الى استجداء ؛

واستف ترب الارض كيلايرى له ... على من الطول امرؤ متطول

حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به في قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛ فطلب منهم في آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛ فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدى اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع .

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة : سليمان ؛ وصالح ؛ وحسين؛وكلهم اعقبوا غير حسين الذي مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

سيدي حسين بن عبد الله الالغي

من اهل القرن الثاني عشر

نسبه :

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ؛ هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدى الحاج عيلا بن صالح [illegible] من شانه ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه بالزيارات والنذور ؛ خصوصا من [illegible] لا ارب في النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه [illegible] عزبا من غير عقب ؛ ولذلك يستاثر عصبته بنو صالح بما ذبح على قبره وهو من اهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .

سيدي احمد بن على الالغى

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبـــه :

احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ٠

كان والده على بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرات ذلك فى ترجمته ثم بعده تولاها احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول فى مسلاخهم ؛ ولم يوثر عنه اى شيء ؛ كانه لم يتحدر من تلك الاصلاب التى تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوى الى الآن ؛ واظنه كان ككثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقـادا ؛ فـاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة فى الجدار ؛ وكفى من خموله اننى لم اسمع به يذكر الا فى الوثيقة التى وضعناها تحت رقم ـ٥ـ فى ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا فى خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر فى معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مـرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذللا يمتطونهم كيـف يشاءون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استثيرت منه النخوة ؛ وجرح مـنـه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التى ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغـوهو صاحب الترجمةـ فكشف لـه عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لى ؛ فاننى انوى مغامرة؛ فاما القبروااما الصدر فدله سيدى احمد على ان ياتى الامر من بابه ؛ فامره ان لايستبد بذلك عـن رئيس ايلبغ ـ ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليغى اوولده سيدى يحيا وهو آنذاك كما استرد شان ايليغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مثواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء مـتـى ارادوا ان يتراءوا فـى امـورهـم ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذيول الحكومة منذ تـوفى مـولاى اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدى محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا عـلى هذه القبائل ٠

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغى ؛ وقال له الـنـا لاالصبر بعد لاداء هذه الاتاوات ؛ باى وجه ؛ واننا لناجزون بعقيلة حتى نردهم عـنـا ومن حرماننا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا ياسعد تورد الابل ؟ وماهكذا تساس الامور ؟

ان الحيلة فى مثل هذا ـ وقد استشرتنى ووضعت فى ثقتك ـ افضل لما ترمى اليه ؛ والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذرا تقولونه لهم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة فسيطلبون اذ ذاك مشاورتى ؛ فسارمى بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيما بينهم ليس عندنا مانبرم حتى نراجع الايليغى ؛ فالقوا اليه الحديث ؛ فقال لاباس بالنظرة ان استنصر اصحابكم ؛ فهى اولى من مغالبة لاتدرون فيها لمن الانتصار ؛ فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ؛ وعزمة جديدة ليبادلوا بها عاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاط فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمحاولة الرئيس الايليغى ؛ وببركة مشاورة ... ابن على اوسيدى يحيا ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغ وبين بعقيلة الى اخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تنمرا ؛ ورفع الجباه مما يدل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ فصارت بعقيلة تفتل لمجاط فى الذروة والغارب ؛ وتتربص بها يوما يمكن ان تصبحها فيه بغارة ملحاح لاتبقى ولاتذر ٠

كان فى (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصار يختلف الى (الغار) كانه يخطب هناك امراة ؛ وهو فى السر يهيء سرية كبرى يجتاح بها (تيزلمى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فاصبح يطحن ذرع كثير وخبزه ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقلمون الى الزغار ؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بغال موقرة خبزا فى ثنية هناك ؛ فتناول من الاخباز التى فيها مائت من المغاوير الاشداء خبزة خبـزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم؛ ويخوض فـى بحبوحة (تيزلمى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتـى تجاوزت الطلائع تازمورت ومجاط فى دهش المبهـوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط فى (كراما) فتواقفت هناك ؛ لم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فواقفوهم ساعة لم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الاخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض من (كراما) الى بسيط وانكيفا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلا ؛ ثم انضافت وانكيفا كلها الى مجاط وصارت تخوم بلادها في اكادير تنزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر من المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيفا هذه هي الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لى – وهو ممن يعرفون مايقولون – انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيفا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت انله في هذا العهد هذا الذكر ؛ فذلك يدل على انه طال عمره بعد اوائل القرن الثانى عشر ؛ لان هذه الحكاية – ان صح انها وقعت في ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع فى زمن سيدى يحيا ولده او فى زمن سيدى على حفيده – يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢هـ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من اخوته ليوليه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هى العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا فى امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .
وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد : (١) الحسن (٢) محمد (٣) بلقاسم

سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزرى ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك فى قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور اقوافاه هنالك اهله وقبره هنالك مزارة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت فى الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدى احمد بن على ؛ ومع سيدى صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من كبار الاسرة السعدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لايقف فى امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون فى الاسر .

سالت عنه العم ؛ فقال لى انه من افذاذ رجالاتنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على الطريقة السعيدية ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفانى فى مصالحهم ؛ مع اقبال فى نفسه على ربه ؛ مجتنبا للاسفاف الذى يبتل به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت فى عصره ؛واعتقاد من الناس يسوقهم الى انتياب حضرته ويوثر عنه من الاحوال ماتشنف به المسامع فيهذه الحلى علاه العلم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها فى قرية تاركا اوخضير التى نسبناه اليها ؛ فحبب له سكناها هنالك فقضى ما شاء الله من عمره حتى توفى ؛ وقبره مزارة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام فى راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدى احمد بن على المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له فى الولادة والوفاة بما رقمنا به لذاك .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله .

سيدى

ابراهيم بن بلقاسم التاكاتزى

قبل ١٠٩٠ هـ – ٣ – ١١٥٨ هـ

نسبه :

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

ابن عم المقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبدالله بن سعيد وله هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد الله ؛ وهو جد المرابطين السعيديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن بلقاسم ؛ جد مرابطى قرية انويدير (٤) الحسن جد مرابطى قرية تاحواوات (٥) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير .

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لم تصل شهرة ابناء اعمامه الاخرين ؛ كان متوطنا اولا فى قرية انويدير فبقى هناك ماشاء الله ؛ وقد نشا له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهله فشاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرابط استاسد على ذلك المعتدى فكان الله فى عونه ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرته عن تلك القرية التى بتيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الذين لا يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولايعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بد ان يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكاتزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحله بين ظهرانيهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الفرارة ؛ لايزال ينتاب الغ ؛ ولايحسب حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض افقير فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الغ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة بنتا من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيل الذى ستقرا ترجمته ان شاء الله فيما ياتى .

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهرانى التاكاتزيين الكرام مبجلا محترما موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ ونوثر عنه احوال سنية مما نعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور .

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن .

فاما محمد «صما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فحا» وصالح والحسن فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلقاسم فلهما النشر ماانتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالح الافقيرى الذى سنقرا ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا ووقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا .

ثم انه دفن فى تاكاتزا فى مقبرة (نافراوت اوكادير) ؛ وتقام له حفلتان طعاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله .

سيدى بلقاسم بن علي التيبيوتي الالغـي

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

نسبـــــه

بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان لسيدى على بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبدءا ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء الى التصوف ؛ والذى يظهر لى من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهالينا ؛ وقد اختـــار ان ينتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل فى(تيبيوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولا من اهل اكجكال الذين لهم اوساط بسيط الغ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولمن بعدهم ؛ ثم تحقق عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قريـة اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها فى امثال صاحب الترجمة ؛ وفى سبب نقلته تقول :

انه طاف به امر امر وكرب شديد من قرية اهــلـه ؛ فصار ينادى الاولياء لينظروا فى حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فـاكـثــر مــن الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء فيما يقال — ثم صار ينادى بأعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاننى فى ضيق وكرب شديدين ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لى ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من كان محزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاراه موضع قرية تيبيوت ؛ كانه نقطة متلالئة فى وسط هذا البسيط ؛ قال فكان ذلك هو اول ماتنبه الى سكناها ؛ فبنى داره ومسجده فى بقـعـة وهبها لـه الاكجكاليون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة فى قلبه وداره ؛ ماكان ليجد

مثلها فى قرية دوكدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ماخلفه ابوهم سيدى على ؛ وهناك حجر معلوم فى جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذى اعطاه له ليجعله فى داره ؛ وهو ظاهر فى وجه الجدار المقابل لمسجده الذى اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا فى هذه الدار التى بالقريـة السليمانية وهى دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدى احمد بن عبد الله ؛ وهى بنفسها مسكن سيدى محمد بن ابراهيم السلامى — وستاتى ترجمته — ولاتزال فـى ملـك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها فى الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آيات السالفين .

اقول يجول فى ظنى ان صاحب الترجمة ؛ ما مال الى الانزواء فى ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه راى من ابناء ابيه مشيا آخر غير مايعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانتباذ والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولا وفاته ؛ والمايعرف انه ممن عاش فى اواسط القرن الثانى عشر ؛ وانه توفى فى اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيـم . وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور ؛ توفى يوم الجمعة ١١–١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليـلـة الاثنين ١١–٦–١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر فى يوم الثلاثاء ١٨–١١–١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم فى السبت ١٣–١٢– عـام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم فى الاربعاء ٢–١ عام ١٢٠٤ هـ وامراة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم فى الثلاثاء ١٨–٢–١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات فى طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيبيوتي

نحو ١١٥٠ هـ — بعد ١٢٤٥ هـ

نسبـــــه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك

هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الخ في اوائل القرن الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابل من مرابطينا في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا طارفا اشتهرت به قريه تيبيوت الحديثة اشتهارا؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار مايجيه هو من الخمول ؛ وينطاير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء ولده فملئ مكانه والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين له باحسان ؛ فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادى للدين الذى يجول فيه مايستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ورأى برهانها منه الناس عيانا؛ فعلموا حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولماكنا في هذا الكتاب نتنكب الاكثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فراينا ان نسوقها :

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانتزلماط) وكان لاهل ذلك الموطن تعال وقوة ؛ لاينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاعهم الى غنم هذا السيد ؛ وقد أقبلت للمورد فذادها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ ذلك صاحب الترجمة فثار منه مايثور من كل مظلوم ففزع الى الباب الذى لا يغلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين اولائك الطاغين غائضة ؛ لاتبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها بعد ؛فاصبح الماء واقفا لايجرى ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ؛ ولاتزال العين ماثلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التى لم توصد ابواب السماء دونها .

ثم انتشر ليسيدى احمد بن بلقاسم مالروالاولاد شيواهى على ذلك المجد الوريف فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بني سليمان معاصريهم في قريه (دوكادير) فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد لآل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك لشا بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى ــ والاقارب دائما كالعقارب ولاينبئك مثل خبير ــ وقد وقفت على وثيقه فيهافصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي اوهي هذه (وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخوالنا سيدى احمد بن بلقاسم من ذرية الولى سيدى عبد الله بن سعيد التيظاهاريني من تيبيوت ؛ وبين ابناء سيدى سليمان المرابطين من (تحت الحصن)؛ منهم سيدى ابراهيم بن سليمان واخواله وخال احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شان المقتول من ابناء سيدى سليمان فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدى احمد بن بلقاسم ؛ الذى قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور؛ وانجبر رايهم ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولاغيره الا تهمتهم لاولاد سيدى احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفى دعواهم ؛ استحلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛وتفاصلوا في ذلك القتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ماكتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلالى ؛ كان الله له)

اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشات من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي .

امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلده ازاءها وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ التقم الشيطان عقولهم فقادهم الى مايئس من ان ينقادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخؤولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص وفي القصاص حياة عند اولى الالباب

ثم انك رايته لايزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ وقد قال العم انه توفي حوالى ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعش بعد ١٢٦٠هـ رحمه الله من رجل صالح لايزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعقبين علي ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغي

نحو ١١٣٠ هـ — ٤-٩-١١٩٩ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يولى وجهته مع قرينه الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبته ازدحاما ياخذ فيه البعض بعنق البعض — فى لجة امسك فلانا عن فل —

كانت القبائل السملالية والايسية والتملية بل والايفشانية ؛ يتلالامنها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مابناه بالسبحة البنان ؛ واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاو ماظهر به للسعيديين الذين لايعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل •

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شىء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكدنا نجهل ايضا استاذه فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا)وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لذى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلابد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية —آل صاحب الترجمة— حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لايعرفون من اماليهم الا المسرح لسوائمهم والحرث لمباداتهم فلنفتش —كاشأن— عن المراة —كمايقول نابليون— لعلنا نجدمن ام سيدى سليمان مايدعم لنا هذه السنة الكونية التى يذكر منها انها لاتنخرم فيما يزعم

راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المرزكونى السملالى فوجدنا اثناءه ان ام صاحب الترجمة —وهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوبيتى— وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه سعيد كل ماكان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثى الدار اما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ابيها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة •

اذن ام سليمان هى عائشة التوبيتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوبيتى ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه فى تلك الوثيقة اول من وقع فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولائك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة : فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لايسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؟ وما هى المكانة التى تبواها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التى رايتها فى الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدى احمد بن بلقاسم الكرسيفى المفتى المتوفى ١١٨٠هـ فانها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها اليراع عثرة بعد عثرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة؛ لانه لايدلى بينهم لابالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحضيكى معاصره واقرانه الافذاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلايجاريهم الاكل بازل قناعس(١)

وابن اللبون اذا ما لزفى قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايفشان ومجاط وكل القبائل التى تحاذى الغ مخطوطات بيده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه الله ؛

١) البازل الذى له تسع سنين ؛ والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فكاد تكون مقصورة عليه وعلى
قرينه سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما
وقد مرت بين يدي مره سله رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايست مخطوطات رسومه
بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا ديـنا
مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له
من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين في مختلف البلدان
بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم
مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحريبليين ؛ وبوادي تامانارت ؛ وقد صارفي
زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ماكان لابيهم ولجدهـم ؛
فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان : احداهما عائشة بنت عبد
الرحمن بن محمد البعقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
ربيع النبوي ١١٦٠هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣هـ والزوجة
الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمي ؛ تزوج بها قبـل
١١٦٧هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيـه
ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١هـ واحمـد
ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لندرك منها ان اعتناقـه
للمبدا العلمي قد اماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون
كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايـنـاه تزوج سنة
١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقي القرآن ؛ والتقلب في
المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهي عليه العادة المالـوفـة التـي
استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفـاتـه فقد افادناه ولده سيدي
ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
ادخل الى داره اليراع ؛وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائـدة
التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي المشهور
هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان؛ وان كان فيهاغير اولاده
كابناء سعيد اخيه .

١) القبصة بالفتح : ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٩-٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .
لم نلصه بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامـــي ؛
فاني رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛
ويدل ذلك بعض الدلاله على انه كان معروفا بذلك الوصف في عصره ؛ والوصف
بالفقيه في بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقـه
حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يتدفـق
هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتلق حتى
حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمسف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل
ما نعلم انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء
ذلك كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ وكذلك
ندري ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمـه ان تقل عثراته قلة ما ؛
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندري
من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدي محـمـد بن الحسن
التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المرزكوني بسملالة فـــي
التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى مابعد ١٢١٢ هـ ام من عند للاستاذ
العضيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سحر
الغ ونحره في هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمي التمل الذي مافارق
المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته في
التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس في ذلك العصر ؛ فلاندري بمن منهم اتصل صاحـب
الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامي الذي ستعرفه ايضا .

١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانبها
٢) المسف بكسر الميم وفتح السين : الغربال الكبير

واما رسوم القريه وما اليها فى ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى قرينه سيدى احمد بن صالح الاتى ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما وقد مرت بين يدى مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه بين مافيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثبتا دينا مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك هله ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له من الذكر ماانتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتاخرين فى مختلف البلدان بالغ وبامانارت وغيرها ؛ ولايزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم مما اشتراه من الوفقاويين ومن العربيليين ؛ وبوادى تامانارت ؛ وقد صارفى زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود فى آخر القرن الثانى عشر ؛ بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدى على بن احمد ماكان لابيهم ولجدهم ؛ فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان : احداهما عائشة بنت عبد الرحمن بن محمد البعقيلية التى عقد عليها سنة ١١٥٦ ه فكان له منها فاطمة بنت سليمان المولودة فى رمضان ١١٥٧ ه ومحمد بن سليمان المولود وسط ربيع النبوى ١١٦٠ه واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ه والزوجة الثانيه : فاطمه بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمى ؛ تزوج بها قبل ١١٦٧ه وكان الاول ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة فى رجب ١١٦٧ ه ومحمد بن سليمان -١٠-١٢-١١٦٩ ه ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ ه وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ه واحمد ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ ه وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمى الثانى باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لندرك منها ان اعتناقه المبدأ العلمى قد أماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لايعرفون كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفى رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠ سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ ه لاننا حين رايناه تزوج سنة ١١٥٦ ه قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر فى تلقى القرآن ؛ والتقلب فى المدارس لايقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ماهى عليه العادة المالوفة التى استمرت الى عصرنا فى تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدى ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من ادخل الى داره اليراع ؛ وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة التى ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدى محمد بن يحيا الازاريفى المشهور هذا وباسم المترجم سميت القرية ايتسليمان؛ وان كان فيها غير اولاده كابناء سعيد اخيه .

١) القبصة بالفتح : ماتاخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ ه = نحو ١٢٦٣ ه

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

لم ننعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامى ؛ فاننى رايته فى رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛ ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفا بذلك الوصف فى عصره ؛ والوصف بالفقيه فى بلادنا هذه يضن به الناس ولايكادون يضيفونه الا لمن يستحقه حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يتدفق هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى حفظ الفاتحة ؛ مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء تجويده كما هى عادة بعض الناس ؛ او انما جوده فى القرية فقط ؛ وكذلك عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛ ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامى ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندرى من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى خليفة استاذ والده سيدى مسعود المزكونى بسملالة فى التدريس ؛ وقد امتد عمر التوغزيفتى الى مابعد ١٢١٢ ه ام من عند الاستاذ الحضيكى واولاده الذين يخوضون بحار العلوم فى المدرسة الفلالية بين سملالة الغ ونحره فى هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمى التمل الذى مافارق المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ ه حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته فى التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم ممن رفعوا راية التدريس فى ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب الترجمة ؛ فاقتبس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل رسم فى القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الاتى ذكره ان شاء الله ومع جاره السلامى الذى ستعرفه ايضا .

١) الجار المكاسر : الذى يسكن فى كسر دارك بكسر الكاف اى حاسها

٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغربال الكبير

اخبرني العم ان بده في معلوماته القصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محررات بده التي راى منها مآت ؛ واما انا فلم يمكن لي ان ارى الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك .

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملياء -وماأقلهم- اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور ؛ دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة .

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيراكثيرا ودعوة مستجابة ؛ فراته امراة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي .

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاتي - فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التيييوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاءها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غربيها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرا حتى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ماتندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولاسند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبارات كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي ؛ وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لايقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لايستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احذق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول في ذلك

كثيرا ؛ ينبغي ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (ولم يعد كتبي هذا وقفت على مايؤيد تلك الحكاية من اقوال الناس الاخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دام على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (نكدا) بنت عدي (التي سناتي ترجمتها) ادركته حيا حين تزوجت الى الغ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك؛ ولدلذلك ترفعنا له بما ترى .

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا فالمترجم هو الحافر للبير في (تاغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي مسلمات للمرابطين لاللحربيليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالي ١٣٦٢ هـ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدي ابراهيم في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذي انفقه في الحفر ؛ وقد حكم في القضية شيخنا سيدي الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي

سيدي احمد بن صالح الالغى

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبـــه :

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدى سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتهما واحدة؛ ومجالاتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هى ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان فى قسم التركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدى سليمان هو الذى له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين .

ذكرنا فى ترجمة سيدى سليمان ان شيخه فى العلوم التى عنده ؛ هو سيدى مسعود بن محمد المرزكونى ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على مانستدل به فى هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلنى اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التى وقفنا عليها لسيدى سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ماذكره لى العم من انه رديف سيدى سليمان فى كل مايزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدى عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدنى فما زاد على ان قال انه راى فى مخلفاته مايدل على انه له يدا فى الفرائض والحساب والهياة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نقص الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لى ان ادى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدورى ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدى سليمان الذى كان حيا من نحو ١١٣٠هـ الى ١١٩٩هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا فى زمن الولادة والوفاة .

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع .

سيدى صالح بن عبد الله الزاوى

قبل ١٢١٠ هـ - نحو ١٢٦٠ هـ

نسبـــه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

سيدى صالح كاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح فى جده صالح بن عبد الله وفى ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا ان نفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف فى الحقيقة كثير ممن اتصف به من اهالينا الى الان ؛ وشرطنا ان لعرف للرجل مايستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه تلفت الانظار فاننا نعتنى به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يراعى المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكى ؛ واستبصر شيئا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضى الى وسطه وقد جرى ذكره فى كلامنا على سيدى ابراهيم بن سليمان وقد حكى عن سيدى صالح اخبات كثير وديانة ومسكنة ودعوة مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلايملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التى تيسرت فيزكيها فتنزل البركة ؛ فتكفيه ماتكفى ما'ت المكثرين ؛ حكى لى مجاطى عن مجاطة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لاتكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم تدخل انت من محصولك؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له: ومايدريك ان يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث احتاج المجاطى الى البذر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا فى متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بفرق كثير في وادي تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل بقر تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امراة من تاكضيشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقي كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره ـ فقالوا ان كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعنك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب الينا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدي مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف فاذا هم لاعين ولااثر فأعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك .

كان سيدي صالح مقصودا في عصره بالرقي والتمائم والدعوات ؛ معروفا بذلك فلايخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راى من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذي عندي؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطا فعليك بسيدي ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا فتى كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .

سيدي

محمد بن احمد السعيدي

نحو ١٣١٥ هـ - ٢١٦ ا هـ

نسبه

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا جد والدي ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك في ترجمه ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا يذكر الا بهذه الوجاهة وهي مالانعتبره في اهالينا بالترجمة الخاصة؛ مالم يكن معها صلاح مشهور اوعلم لان امثال هذه الوجاهات في قبيلتنا وجاهات شخصية لاتعدو نفع الاسرة ؛ ولاتجد القبيلة منها ظلا وريفا ولاتسمع منها كلمة نافذة ولذلك اسقطنا شرطها في اهالينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدي صالح المتقدم الذكر ؛ وكان الناس ينتابونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا في المرض الذي يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذي هو والدنا الى الشيخ ؛ وامامنا ؛ لم بعد سنتين لحق ابيهما سيدي احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج عبد الله المتوفى في الحجاز في ذي الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذي ستري ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذي افادنا جل مافي هذا الكتاب وسترى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذي القعدة ١٣٦٦ هـ

هؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى

نحو ١٢٥٠ هـ – نحو ١٢٨٩ هـ

نسب

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشا بالغ من اهالينا بعد الفقيه سيدى سليمان المتقدم فرفع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستحواذ فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح بعلالة يتبلغ بها ؛ ويفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية ولا اخبار تؤثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛ ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛ وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران؛ ثم بينماهو يتاهب فلكه للارساء ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط اوفر ماكان نشاطا واعلى ماكان شهرة فذهب مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلمة واسعة فى الغ اذ ابكت قلوب الاصدقاء واشمتت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن اذ ذهب سيدى محمد ابن بلقاسم ؛ فان الغ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود الثغور كلها به بواسم؛ وايام الغ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار .

فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتى من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

... عمق :

بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر مقلبه فى حين اخذه للقرآن؛ ... هم اساتذته فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندرى عن ... شيخيه الاستاذين محمد بن محمد الافامانى ومحمد بن محمد بووازى الساموكنى ... فاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ عنهما ؛ والاستاذ الافامانى ... فى المدرسة الايغشانية حوال ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة اوالاخر ... ايضا فى مسجد (ايشوكال) فى اكادير ايزرى ؛ فهل اخذ عنهما فى هذين ... او فى غيرهما ؛ الجواب عن ذلك درج فى غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه ... تعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتيم الحاج عبد الله بن ... الرحمن واخواه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ ... الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذى لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل ... ١٢٩٩ هـ فهولاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلمذة للاستاذ ... الافامانى والساموكنى لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم .

ثم اننا راجعنا كتبه التى خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة ... الآن ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطى ... بعد العصر بالسبت الثانى من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودى على الزقاقية ... الثانى عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل ... فى البيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوى والفقهيات ... والتاودى على التحفة ومتن الزواوى؛ وكنز العربية شرح الاجرومية ... وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر ؛ والازهرى على الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛ ... كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه ... كتبه كل التتبع حتى يعرف ابقى وراء هذه من مخطوطاته شىء ام لا قال انه ... من منسوخاته الا التى ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر ... همة الرجل واكبابه بكل ما فى جهده على التحصيل ؛ فحين كانت ... الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد فى الاسواق للبيع ؛ ولامثال ... يستمد منها اقبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا فى الافذاذ الذين يحملون نصب اعينهم التحصيل .

كثيرا ما اسمع بعد رجوعى هذه المرة الى الغ بصاحب الترجمة وباخلو من علمه ومعرفة شانه قبل ؛ فصرت ابحث عنه علنى اصادف من ادركه ؛ او من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لى بعض مايتعلق به؛ والاما كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لى استحضر وانا صغير ارعى بهم(١) اسرتنا فى سفح ربوة مشرفة على قريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

---

١) البهم بفتح فسكون : صغار الغنم

اتشحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صغار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩هـ ثم حكى لي ايضا – وقد سالته عما يسمعه من عند اهله عنه – قيل لهذاالفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛فاذا جلسوا اليك لايلبثون انيرجعوا في هدوء وسكون ؟ ماذا تصنع بهم حتى تفثا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلطه واما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحيي مني ؛ فانني أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فقيل له وأما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لايستحيي منك ولايهتبل بمقامك؛ فقال اذا كانا كذلك فاني اعالجهما بالتي هي احسن حتى اصرفهما عني ؛ وكل ما أتطلبه منهما أن يهدءا حتى يبتعدا عن مجلسي ؛ قلت هذه السياسة التي اوتيها هي لاريب التي رفعت من شانه ؛ واعلت من مقامه ؛وأسالت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك من العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لايتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم في مراجعةالمسالة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ واولى من يعطيها من صحت لـه القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلكالطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض في ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى ؛ وقد اخبرني المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوفقاويين كان حكمه وصاحبا له في قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوفقاوى راجع الفقيه فقال لهانا غلطنا في الحساب حين ادفعلك اجرتك ؛ فقال الفقيه انني تحققت ماتوصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ماتراضينا عليه ؛ فكان الوفقاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتؤاخذني بين يدى الله ان خنتك في درهم واحد ؛ ولتقف في باب الجنة ان قدرت حتى تصدني بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوفقاوى البساط ؛ وقد جد الجد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرابط الضعيف

---

(١) لعبد الرحمن الجشتمي :

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا   فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين – بعد ما اهل العلم شانه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

الحال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥هـ قبل السنة التي سافر فيها استاذه سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذئذ لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده في ذلك ببلاد الوفقاويين والمجاطيين والحريبليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح اوقد اخبرت انه هوالذى قسم املاك ايت اورعي ببعلاش؛ اخبرني بعض البعلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بآرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافاماني ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازى الساموكني ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكني ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبي ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونتي المجاطي التمكيدشتي ؛ والاستاذ احمد بن محمد الايفيرى التامانارتي والاستاذ سعيد الاساكي الافراني واشياخه الجشتيميين ؛ وربما كتب سوالا واحدا في قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لايتكبرون من ظهور جهلهم ولايتعالون على معاصريهم حتى لايتنازلوا الى مساءلتهم في مسالة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمي التازروالتي؛ والاستاذ الحاج الحسين الافراني ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ ؛

« ٥ وبعد فقد اذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي سلالة سيدى عبد الله بن سعيد في تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المتكى الايفيرى– على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالغي بعد ان القى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه في ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافراني كان الله له وليا ونصيرا »

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رايت في مخاطبات بعضهم اليه اجلالا واحتراما ؛ ثم مازال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة في ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغي فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيفا غليظا مما اعتيد لباسه في الشتاء في ذلك العهد ؛ وفي مدخل راسه المنديل وراء كتاب فهي صاحبه معه هكذا تحكي حياته تعجبا لان المناه من العلماء لحسن الهباء ؛ فتوى بايليغ فبعد ان رحب

به رب المتوى ساله عن مسالة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجراريين ؛ امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليغ وهم كثيرون اذ ذاك افتوا بأن الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف ان يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التي توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالي باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهر لك في مسالة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنالك ؛ وفي اليوم الثاني قال له الرئيس الق مسالتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد أن يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسالة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق في المسالة ؛ وان الملك انما هو للجرارى ؛ وليس له ؛ فالقى سيدى الحسين على اذنابه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التي يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذياع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه في الرمضانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين ؛ فكانت لنا كالمجهر الذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارئ اليها في كتابنا -آثار فقهية للمتاخرين بالغ وغيره- فقد حشرنا فيها كل آثاره التي لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب- لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التي يعدونها - فيما يزعمون- من المستثقلات)

كان الاستاذ التيبيوتي اتصل بالجشتيميين كما رايت في تواريخ نسخه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفي تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافاماني والساموكني قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتيمية ؛ أخذ عنهما المبادئ والله اعلم. ثم قبل ١٢٨٠هـ رجع موفورا مودعا من اساتذته الجشتيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهو بينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقي الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقد رايت في ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الاخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يقلن ؛ حتى انهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشي كثيرة ؛ حتى ليقال القوان ولدت -١٠٠- شاة في يوم واحد ؛ ولايخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعدفيها من يملك اذذاك مائة ريال كرتشارد الاسرائيلي المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان مانالـه الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واثل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر ؛

وبعضنا قائـل ما اغتاله احد   وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لانني رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد -فتحا- بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرني به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجع انوفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك باكثر مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعتني بذلك ؟ فياضيعة الاعتناء ومدفنه في قرية تيبيوت في المقبرة هنالك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قرناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايته حين اتصل بالجشتيمية سنة ١٢٦٨هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعتني وينسخ ويكتب مايكتب في آخر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو -١٩- سنة او اكثر ؛ وقلما يكون أقل في نظر من اعتبرما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتي الذى ابتهجت به الغ حينا قصيرا ؛ ثم رزئته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لاغير ارحمه الله ؛ وجعله في اعلى عليين

الحاج على التيبيوتى

نحو ١٢٤٥ هـ – ٢٥–٤–١٢٩٨

نسبـــــه :

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا فقيه آخر من قرية تيبيوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه فى المعلومات ولمفارقتـه المـدرسة ؛ ولتصدره فى ميدان الشهرة ؛ ولاشك فى ان آل بلقاسم ارادوا ان يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الغ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المـدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصمص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨هـ فمرض فلحق بربـه فى وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه •

حكى لى ذلك المسن التيبيوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كث اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم؛ وقد حكى كيف احتضر؛ وان الغرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدا حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا فى بيت ؛ قال وبه استعان ورثته فى المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالى بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيبيوت فعزى اهله •

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله فى مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهومه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولا اننا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لايذكر من لم يفد لا فى حياته ولا فى مماته شيئا فقد حيى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن لم يحى فى التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له

ولبعض الالغيين :

الفجر بالنور وزهر الربا   بنفحاتـه الـذكيـات
لولا فرند ذى الفقار وما   يـؤثـر عنه فـى المجالات
لمـا رايـت اليوم مـن ذاكر   له فقط فى المشرفيات

الحاج عبد الله بن صالح الالغى

١٢٤٥ هـ – ٢٦ – ١٢ – ١٣٢٢ هـ

نسبـــه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صغار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التى حولها ؛ ثم لايمضى الا حقبة حتى تراها تعلــو مما حولها شيئا فشيئا والايام تمضى ؛ والليالى تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهى تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيقة فارعة كانها عماد من عمد السماء ؛ لو كانــت السمـاء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعثاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها ملاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياشهم الى زاوية لايزاحمهم فـيها احـد من المثرين من ابنـاء أعمامهم الذين يتهالكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا عـلى الارض واطراقا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنـــــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيـهـا فلما علمـوا انها ليست لحى وطنـا
تخذوها لـجـة واتخذوا صالح الاعمال فيهـا سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التى قال والده فيها انها هى المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيراكثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الغ لــواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذا لمالصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنانه ؛ فماسمت يده مريضا ولاابهيمة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا ؛ حتـى ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقد ساله والدى مرة من اين يستقى تلك الادويـة التى يصفها للناس ؛ فقال له انما ذلك شىء ينقدح فى ذهنى عند سؤال سائل ويصحح ماقاله انه ربما وصف فى وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لـداء واحد للسائلين ؛ فيشفى كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطبيب عن والده سيدى صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذى ازجى به حياته ؛ بـل تملص من الخمول الذى صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدى عبد الله بن احمد ؛ فجاء بهمة عالية فى كل النواحى ففلح وكسب واثل وتاجر ؛ فلـــم تتوسط العشرة الثامنة –٧٥– من القرن الماضى حتى كانت لـه ماشية كثيرة فى ايسافن مرتبع اهالينا الالغيين ؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدى محمد الذى ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد ؛ فمازال اهله يردونه الى الرعى حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له فى داره استاذا خاصا كما سترى ذلك فى ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدى محمد بن بلقاسم على الغ بروعة العلم التى اظلته انحاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما رابته فى ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاد الجهد فـى تثقف ولده ؛ ومن هنالك جاءته هذه الفكرة التى طلعت على الغ بحظوة لـم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى .

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطى ؛ لما لهذا فيه مـن حسن لـية ؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران ؛ كما اخبرت ايضاان له باكل(اساكاوبلاغ) اتصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكى ؛ قال لمولاى الحسن حين زارسوس ١٣٠٣هـ وقد كان هنالك احد اولاد صاحب الترجمة : ان والد هذا سيدى الحاج عبد الله شيخنا .

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولـكـل حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديـد ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية ولقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدى محـمـد بن احمد التيمولاى فى دراهم اشترى بها زرعا كثيرا نحو مائة غرارة فى تيمولاى فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاربح فيه ؛ فقال يكفينا فلس واحد للصاع ان ربحناه ولقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذى لابد منه والطائر لايطير بغير الجناحين ؛ فقد ولد له ولده الحازم اللازم للصف سيدى

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ علي سنة ١٢٧٦هـ وابراهيم ١٢٨٢هـ وكلهم انجبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة .

ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم السامانارتي ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راى ان يخصص لهم استاذا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة السانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقرت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خيرمعين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده الآفاق ثم توج شرفه بالمثول بين يدى مولاى الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شفوفه على الاقران شفوفا كبيرا ؛ وامتعه الله بطول العمر حتى راى من جميع اولاده تفوقا في العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايحب الا معالى الامور ؛ حتى في البناء لايحب الا العالي المبين ؛ وكثيرا مايقول اذا راى من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبني بعد ؛ وليس ببناء وماامدقه في ذلك رحمه الله ! ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضى فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزىءايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزئه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ في العتاب ولا يستقصي في التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ علي ولده ان والده ماكان يتكلم معه في اي شيء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريده والده ؛ ومبلغ تاثره في ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فاشهر من نار على علم ؛ لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشي والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطبيه عن ذلك اى شيء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالغيين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتي بها   فليس بمغتر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذى خلق الغنى   نظيرى فاني يطبى عنه بالوفر١

١) اطباه بتشديد الطاء : استماله

واما نظراته في مختلف الامور فهي صائبة ! وتواتر عنه كشف كثير ! وآراء سديدة ! وحكم ماثورة ! حكى لى استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه القى يوما من صدره مقدار بيضة من دم متجمد ! قال فحصل لى وهش كثير ! فذهبت بها اليه ! فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك

وقد توفيت ثريا ام اولاده المقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرني به العم ام العرش ايضا بعائشة البعقيلية ! ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ! وكفاها شرفا انها تكشفت عن هذين العلامين اللذين هما ماهما

وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كانمرض يعترى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فشاع مرة انه توفي مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين للتعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الآن مبل من ذلك المرض ولاباس عنده ؛ فاستحيا الوفقاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك فقال اوتقول الناس ذلك ؟ انى اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سلط ؛ فالتحق بربه في ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ علي بن عبد الله والسبع الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى في القبة ازاء ولده الاستاذ محمد ابن عبدالله ؛ وفي بقية من كفنه كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد ابن القاضي الايديكل الذى توفي بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر في القطر السوسي : الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله ؛ يعزى ولده الاستاذ علي بن عبد الله :

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع   تذال نفوس لامصون من الدمع
ايعد مصاب المسلمين بفقد من   يقوم مقام العين للمجد والسمع
ويعد مصاب الدين بالواحد الذى   ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
ويعد ابى الاشياخ الفضل والـه   يساء بضر او يسر بما نفع
لقد زلزلت ارض السيادة بعده   ودكت جبال المجد من نفخة الروع
وغيب منه اللحد بدرا تكشفت   عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
وفلل منه الموت لادر دره   شبا صارم ان سل فل شبا النبع
واوحش ربع الدين منه وطالما   نأى جنبه جنح الظلام عن المضجع
فاى امرىء يفرى العويص فريه   ويكشف وجه الراى في الجلب والدفع
لله كان للمجد المؤثل ساعدا   فمات فكف المجد منى بالقطع
فو الله ما قام النعى بموته   فاخرس الا والكمال هو المنعى
فصبرا امام الدين فالصبر صارم   يسل فيرمى مارن الرزء بالجدع
فمالك لتشييد الكمال كفاية   الاماما منه الركن تجذب بالضبع
فلا تخضع الصم الصلاب لزعزع   يهب وانت في العلا علم الرفع
فلا رزء الا دون رزئك فليكن   تلقيك امر الله بالسمع والطوع
فدونكها مولاى من فكرة ذوت   نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
تمر وفاء لوليد بمثله   من القول لاستقصت مدى الواجب المرعي

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغي

١٢٦٥ هـ — ٢٢ — ٤ — ١٣٠٣ هـ

نسبـــــه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحدائق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفياضة والمراتع التى تفيض حينا بالعشب النضر ؛ وحينا بالغثاء الاحوى ؛ كل ذلك منعته منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به؛ فما هناك الا اعاصير شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع سوافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كانها صفوف لخيول سوافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من امضوا اعمارهم فى وسط تلك المهامه القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء — كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء — ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لايزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت الغ بعد ماحرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيرا فى الغ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما عزم ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ماجعله نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وربيب الغ شيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

تاهت بواحدها السبع فقلت لها ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض ترابها عبير والنسيم شذا والماء راح وكالياقوت حصباء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالينا ذوق من ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ؛ ومغناطيس جميع المقامات العليا التى تشرئب اليها نفوس الاحباء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا غريبا حتى لايحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذى انتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التبيوتى المتقدم الذى استراح فى الدرجة الاولى واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التى اشتهرت بها الغ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضى بين البلدان السوسية ؛ حتى صارت مثلا مضروبا فى الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالغيين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذى وضع بفكرته البذرة الاول لعلم الادب بين ما يلقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغاء اصحابه وابناء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالغ خاصة ؛ ولسوس عامة بل والجنوب المغربى اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلالا فوق هامات هذا العلم العالى الذى لاينحال اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس مما يلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار فى طريقه ؛ حازوا به خصل السبق وتلك سنة النمو والتدرج والترقى ؛ ولايمكن فى العادة ان تنخرم سنة الله فى كل شىء ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا .

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره فى الخالدين ؛ وليبق ذكره معسولا فى افواه ذاكريه فى ندوات التاريخ التى لاتزداد بتقادم الازمنة الا جدة وطلاوة .

فليحى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحى ذكره امد الدهر ؛ وليحى كل من بذل جهده فى اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحى هذا الادب الاندلسى النضير الذى ما ازهر فى الغ بل فى الجنوب المغربى الا بسببه

منشـــــأه

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه مايطمعه كل والدين من مرابطينا

اصحاب الواشي من ابنهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعينا على مشاق الحياة وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا مـن يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملالن التمليين احفـاد الشيخ سيدى يحيا بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهالينا يتيمنون بهم فتداولوا هذاالمسجد ؛ وكان في تعليمهـم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عنداحدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راى والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان ـوقد افردنا له ترجمة ـبه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولـم يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افعوعم اناؤه ؛ وعتقت رحيقـه فرجع يختال فيرضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كـل مناه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضي فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التيجعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الابعلم ؛ ولاعلم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روحتستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة ايابه مـن تانكرت ١٢٩١ هـ

في مسجد قريته

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرةعجلى على هذا الطالب النحيف الذى لايحـرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تـتنـاول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجـة منتهى سمو اهلها في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حبائل لفصل الـدعـاوى وفض الخصومات لينتثر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى هاجر ماهاجر وكد وتعب حتى حصل؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العد ؛ ثم ماجال في ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلـك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلده ان يبث ماحصله في صدور الناس ولا جال في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبنى له بمثل هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى همه ومجراه ان يظل يدور من ابت وقفا الى امتضى الى مجـاط الى ايليغ ؛ ليحقب مستجدا يزيده الى ماعنده فكان جزاؤه بعد ان امضى فـي ذلك نحو عشر سنين انه لمامات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحي من الوجود لو لم نتصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هـذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي لاترى الا السماوات العلا ؛ فجعل امام عينيه ماجعل مع ان دار والده انفس من دار الاستاذ التيبيوتي فقراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسعيه الحثيث الجديد ؛ ثـم ليس هنالك شيء آخـر يعتمد عليه في اداء مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونت الاسس اولا ؛ ثم رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ماطال بالاستاذ التيبيوتي منذ تولي المرسة ؛ والتشبث في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العملين ؛ فـدرك ما بين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمدبن عبد الله قد ملاوا هذه الارجاء فاين ؟ فاين من ابناهم الاستاذ التيبيوتي من عمله ؟ واين مايذكر به اليوم بعد ان صار في الرموسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قدانتصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وهاهوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيدبعض ابنيه فيتسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وهاهوذا يمولهم من عنده وهاهي ذي دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذى اسسه هاهي ذي وهاهي ذي سنوات ٩١-٩٢-٩٣ـ قد مضت وهو لايزداد الا نشاطا ؛ والطلبة المنقطعون اليه قد بدات هالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فماهذه الاجيال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمته النادرة ان قيس باهله وعلمائهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بالنسان خيرا هياله من حيث لايحتسب اعانات ؛ واركانا يبنى عليها بنيانه ؛ حتى لاتزعزعه العواصف ؛ ولاتنسفه القواصف فهـذا بعينه ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب المسغبة العظيمة التي المت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ والقت الاموال ؛ واتت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتثت اصولها ؛ ولا يدرى الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقد تطوق بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛ فقد حدته العناية الربانية التي لايعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية فشارط فيها ؛ والمدارس لاتخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساغب وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية من سنة ـ٩٤ـ٩٥ـ فكان زرعا كثيرا فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة والاملاك من ارخص مايكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكا كثيرة في قريته وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ ﻫ وهو لايزال مشارطا في المدرسة تلك ؛ عزم على تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتي الا بخير؛ فاعمل رحلة الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدي الحسن بن احمد بن محمد التمكدشتي فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدي عبدالرحمن المولى عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالفية صانها الله وكان سيدي الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛ ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدي الحسن اسر الى بعض جلسائه مايدل على ذلك في صورة مباسطة يسائله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب سيدي الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ ﻫ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان مظنونا صار محققا

المدرسة الالفية تؤسس

كان الاستاذ لايزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالي الدروس لتلاميذه بهمته المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته ماستطاع الى ذلك سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطا في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالاة الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة السنوية التي شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة الالفية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

موارد المدرسة

المعهود في كل المدارس السوسية المنبثة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم لطلبة الغرباء ؛ المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتاسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ماكان من صاحبنا الاستاذ "محمد ابن عبد الله العصامي الذي اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا؛ فالماشاد مدرسته الالفية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايفشاني ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها ـ يلبسوا ويأكلوا وحده مما ندره عليه املاكه المستجلة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الغ باعانات من اعشارهم ؛ الناكانزيون والتاجلوموتيون والايوبديون اخوال الاستاذ • واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يمدوها بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير عون لابن اخيهم الذي قاد اليهم المجد المؤثل بارسانه ؛ فجعله في متناول ايديهم ؛ وفتح لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لايوصد امام قاصديه ؛ ثم اما ان لم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال ابائهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للتقوى ؛ ونار الله بصائرهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحسد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وابلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم اولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تتاكل قلوبهم مما يناسوله على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فاوحى اليهم حسدهم ما اوحى فقالوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجد سيدي عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار ـ كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله ـ ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ في ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت في قمر بير ؛ لان المدارس باساتذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو ابن معد يكرب لابنصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالفية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ! الاحين شارط فيها الاساتذة سيدي احمد بن صالح الافراني ؛ ويليه سيدي

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى البزيدى وهؤلاء ومن تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الانفحه من نفحات المدرسة الالفية ؛ لان هولاء خريجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجد والاجتهاد ؛ فانهال اليها الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذكان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة البومروانية كالاستاذ العربى الساموكنى واقرانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هولاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابو القاسم التاجارمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيتقبل الاستاذ كل من وردعليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛ وكان طلبتها فى ذلك العهد لايتجاوزون خمسين ؛ ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزية والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابكثرة المجتمعين

بغاث الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وانوضع اسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم مراسية لئلا تتزعزع اركانه تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانه واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبنى على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة مايدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم مايتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسلات لسانه ؛ فذلك

... الرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لاينساها ولاتلتبس ... ها ان امعن بعد فى طرق العلم الشىء التى يدفع اليها متى شدا فمن ... الطريقة مسار الاستاذ فى تعليمه ؛ فيثها لكل من درج بين يديه فعادت ... لكل من يعلم من الالفيين بعدا فلئن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك ... صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدوتلميذه وقد ... الاجرومية التى يقراها لابد مرتين فى اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود ... ان لم يدرك معناها كله الان فانه يجدها فى حافظته لماسيأتى ؛ وقد قرا ... المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات ؛ وهذه هى متون ... فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها ... مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ ... كل الشواهد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى ... ايضا الا بها ؛ وهو وطبقته يطالع النجباء لهم الدروس التى سيقراونها ثم ... هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين ... المبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لايمضى للتلميذ سنتان فثلاث حتى ... الالفيه والرساله فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقاقية ... والالفيه بالاشمونى ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على ... ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شىء من حديث ... وحساب بعد ما الم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى ... الاربعاء وفى يوم الخميس يتلو فى كتب الادب التى كان ... من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى ... قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات ... والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب ... كبيرا ؛ ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يتراسى على ... الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يمتلى ... الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من الفضة ؛ والثمرة ... ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة ... الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولايتخطون هذا النظام ... يستعين بحذاق تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على ... ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لايمكن ان يهتدى اليها الا من ... بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى ... الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .

هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار ... بها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالت عليه بعد ان كاد يتخبط فى بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال .

العشرة الاولى

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة البومروانية التى كفته مؤنة تلاميذه ؛ وابقت على مااقتصده فى مسجد الزاوية قبلها وامدته بشرط آخر تأتى له به وبما فى يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هى معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريح الى خزائنه حبة واحدة؛ ثم طلعت السنة التى بعدها فاذا الناس يتضورون سغبا؛ ويسقطون بالجوع فى الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية ممحلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم فى التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ وراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشرى

زار الشيخ سيدى المدنى الناصرى تلك السنة الغ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذى مرؤة يواسى اويسلى او يتوجع ؛ نفض الاستاذ شكواه الى ضيفه فقال له وعيناه مغرورقتان بالدموع – كما حكى من حضر – اننى ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ واهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم والفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نامر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتاجج اسفا ؛ فكان السعد الذى كان ازاءنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى باعيننا كيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهدأه الشيخ بكلمات مسح بها بعض ماالم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هرى المدرسة؛ فمد الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لاتخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهرى من الشعير ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد مابارك ه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لايخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا – فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمم والقى الخصب بجرانه فى الغ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بالغ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافعوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

من الناس ؛ فاقال الله عثرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان لله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة فى ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى مراكش فى اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ راى ان يستعين بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى فشارطه فى مدرسته ليمكن الدروس ان تمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ اليزيدى مما وفى به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا اقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولاينبئك مثل خبير

الاستاذ وطلبته فى وادي إفران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من فى مدرسته وادى افران ؛ فقصدوا الشيخ سيدى المدنى ومعهم الاستاذ اليزيدى ؛ والدراسة سائرة فى طريقها ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدنى هذا ؛ واظن ذلك فى سفرته هذه

اياابن القطب احيا الدين جهرا … وجدد ما وهى وازاح جهلا
الينا كى نزوركم وكنتم … لذلك فى اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى … وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومد للضراعة نحو ربى … ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
ولم عليك من ربى سلام … به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تاكرت ان يشتوا قراهم بياتا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا فى تلك السنة ؛ حتى كاد يكون بلاثمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة –نحوكيلو– من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى ان حلوا بتيمولاى اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على المومنين ان يبتغوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١ﻫ والاستاذ مشغول بارباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطيني صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فقضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ﻫ

الاستاذ مع رؤساء إيليغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ ﻫ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فابى ان يقيله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سياتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفلت قبل ان يالفك الرئيس واما الان فلا لم كان ذلك ديدن الاستاذ الالغى فى كل الرمضانات حتى لحق بالملا الاعلى .

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ ﻫ الى سوس فنزل ازاء تزنيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ ﻫ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البنيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ ـ جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه ـ كما سمعت ـ ان يقيد ذلك فنفذ له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ـ٦ـ فى الملحقات بترجمة الجد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدته الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ ﻫ والانسان اسير الاحسان

روح الاستاذ تلتحق بالرفيق الاعلى فى مراكش

مااثبتنا الاستاذ منذ وليته الاول ؛ فصاحبناه فى كل تقلباته المختلفة ؛ وفى جميع مقاماته التى يترقى فيها ولاشك ان القارئ يدرك سمو هذه الهمة الفذة التى هى كلها تطلع الى المرتبة العليا التى لا يعلى عليها ؛ ويبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين اقبل على تشييد المدرسة كل الاقبال؛ ما نصنع نحن بمدرسة جديدة ؛ والمدارس المبنية فى القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصد ابوابها دوننا ؟ فباى شئ تقوم هذه المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع ان المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ مابنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف النحن رجال مقتدرون املا ؛ ولكى يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ اوانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هى همة الاستاذ ؛ وهذه مقدرته التى برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التى اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التى تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هى التى شحذت همته ؛ وارته انه لايفوز فى الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شبيبته وكهولته هى التى اوحت اليه الفكرة العليا التى ينفذها فى شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجبه ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذى لايلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالى ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا النووى ؛ والفاتح الشهير اسكندر المقدونى ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التى يتاتى لمن كان فى وسطه ان يقوم بها مايزاحمهما به فى شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة اذ ما يمكن فى كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى يبورك بن عبدالله بن يعقوب السملالى فى همته وفى علمه وفى قصر عمره .

كنا غادرنا الاستاذ بين تلاميذه فى مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢ﻫ ثم فى ـ ١٣ ـ من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ ﻫ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والدى فى موالاة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمى فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لايبالى بجسده ؛ فى قضاء مهمته .

وإذا كانت النفوس كبارا — تعبت فى مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ! وتشرفا بالمثول بين يدى صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع ثلة من اصحابه ؛ وداؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احواز ناامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير •

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاؤه ؛ فمالـوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعـهـم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولايدرون باى وجه يردون على اهاليهم ؛ وباى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بدره الوضاء بامصلوحت ؛ وحفروا مهله بايديهم هناك ؛ ثم افردوه فى رمس تسفى عليـه الريح والمور •

وهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حواليها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجـه النهار وهم فى صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غبرة ترهقه قترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق بـه استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يـكـون الاحرار الاباة ! فى امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ! حق على من رزىء بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير علـيه شعفات قلبه ! فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر •

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموتا
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننـــا	جميعا لفى حزن عظيم كما انتـا
والسنتنا تتلو العزاء واننـــا	على جزع كنا عليه كما كنتـا
أسلوى وقد فات الذى كان عـدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفوتا ؟
وكيف التسلى والذى منـه نشاة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى؟
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا؟
فاى لبيب ليس يعـذران راى	صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الـذى	له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليد الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهمالدتان سنا وهمة وتطلعا الى المعالى ؛ فالتحم مابينهما التحاما ! فقد رايـت كـيـف ناب الوالد عن الاستاذ فى المدرسة البومروانية ؛ ثم نـاب عنه فـى المدرسة الالغية فى رحلته هذه التى التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ! فمـرا برمس الاستاذ فوضعا تجاليده فى التابوت فاقبلا يغذان السير ! فدفناه عند اهله فى وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تاسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ! فكان القدر يعل فى ذلك موعظتين

اولاهما ان ماتمسه الاستاذ بيده فى ايامه ؛ واشاده فى صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التى لاتمسها الاعاصير الالفية ! والقواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد المؤثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لابـد ان ينهار اما اليوم واما فى الغد ؟

والاخرى مانهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز !ولايمكن ان ترد باعمال المتاخرين الادنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيها فان الرواح المولى لجار الى الله فى عليبها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت الاعاصير الالفية ! والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا!وما لااسس له فلابد ان ينهار • والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا فى كل ماتمسه يده ! وقد جعل اللـــه البركة فى عمره ؛ وانزل اليمن على عمله فبنى وائل وولد وعلم ؛ وكل ذلـك فى اثنتى عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهـى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال فى المحظوظين الذين اخذ الله بايديهم ؛ ووفقهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد فى رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبدالله خليفته فى المدرسة

هنيئا لشيـخـه محمـدا	من كان فى الهمة فردا اوحدا
من يفعل الخير الذى قد فعله ؟	يعمل فى العمر القصير عملـه

قد خلف الذى عليه يجرى   فى حال موته بغير ذخـــر
لانه اكرم من كريم   باى عزم مقعد مقيم
قد فاق بالجد والاجتهـــاد   اقرانه من زمن المهاد
ففاتهم وسلموا فى السبق   منمثله فى الغرب اوفى الشرق؟
وهو الذى قد شاد فى بلدتنا   مدرسة شادت له كل ثنــــا
وغرس العلم له تلامذة   عديدة لهم فهوم نافــذة
وحبس الاحباس ثم خلفا   اولاده ينتجعون الشرفــــا
فهذه الثلاثة التى ذكر   لفاعل اجر بهـا وان قبـر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممــن ينصف الرجال ولايبخسهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح مانزعوا فيه الى الان ؛ وهمالان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكـل مافى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحـدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افــلا يكون ايضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دوكدير ؛ فادلى بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل مافى امكانه ان يقبله الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلـك يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لايتاثـر باى شىء ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية •

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملالى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين كل الاشتهار ؛ فاظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لاتتمشى عليه الحـيل؛ وذلك انه داين سملاليا فى بعض المساغب بحبوب بثمن اكثر مما فى السوق ثم اجله وللاجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملالى ؛ فقال انما ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيهاانه باع بالغلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتــى هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عـليها ؛ فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملاليون وهم يعرفون للاستاذمكانته فألزموا ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجا هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين فأرسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهــى صحيحة ام لا ؛ فأرسلها اليه الاستاذ ؛ فاعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملالى من الرسوم فاحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرته القبائل

اواخر ١٣٠٢ هـ او اواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد الجاطى ؛ فكان اول ما اشترطه عليه امغار محمد بن شروطان ينصف الاستاذ ابن عبدالله فى قضيته ؛ فارسل اليه فى الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطنى رسومى اولا ؛ فقال له سيدى الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكنى سانصفك مما بذمتها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفنى فاننى ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هى نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول مــن الرسوم فهاهى ذى عندى • فعلت ذلكاحتياطا فجعل سيدى الحسين دعوا هما فى يد الاستاذ سيدى احمد بنابراهيم السملالى العلامة الشهير ؛ قال سيدى الحاج احمد البزيدى فمربى الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بالاخصاص ؛ فصاحبنا فجئنا عند الاستاذ السملالى ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والـزم السملالى بالغرم ؛ وكسب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدى الحاجاحمد البزيدى الذى كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالى كم اجرته فىالقضية فقال له الاخر ؛ مثل لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هـو التعاون على النوازل ؛ والتناصر ء لاحقاق الحق فيها وابطال الباطل •

هذه الحكاية ترينا نواحى شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايغلب ولايعطى عامه ولو لرئيس ايليغ الذى كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونـرى ايضا احتياطه فى الرسوم فادركنا انه ممن لايخدع ولايقعــقع لـــه بالشنان فهذه نواح اخرى نعرفها زيادة على ماتقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راى من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ماحمله على ان قال ان ابنى هذا لجرىء ؛ فكان كذلك ؛ فكانمـا كشف له ستر الغيب ومن اولى العقل فقداوتى الفراسة التامة ؛ والتوسم فى كل مايمثل امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله فى الدروس جهورى الصوت فصيحا ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ عـلىفصاحة كذلـك تضرب بها الامثال •

آثــاره

لاادرى اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ ؛ بعد ان راى فــى كل ماتقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذى افرغ ايامه القصيرة فى التعليم ينبغى ان تتطلب آثاره فــى صدور اصحابـه ؛ فما يعدهم له من اثر ؛ واما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثــل ماطوق به ؛ فقد اخبرنى ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان انتســخ

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على انه مع ذلك ابياتا كثيرة فى القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبثة فــى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ماتوصلت اليه ايدينا فى كتابنا الــذى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الغ وغيرهم من المتاخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها ولكننا نسوق هنا ماحلا فى الذوق وحل فى العين ؛ فمن ذلك ماكتبه الى تلاميــذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عــن الدراسة ذلــك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها :

بدت لى احبتنا عبــرة   وخير الخلائــق من يعتبــر
رايت السماء بتلك السنيــ   ـــن من الارض ضاحكة تكتشر

الى ان قال :

فكل الحــوادث اوعيــة   لدر الفوائد ان تختبر
ولكن قليل من الناس مـــ   ـــن بآيات خالقه مـعـتـبـر

الى اخرها •

ثم كتب بعدها : حفظ الله الاخوان المذاكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمه من الشاكرين ؛ ووقى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى ؛ بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليهم

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامــر الله لابنوء المشترى ولا زحل ؛ وحبسنا بالغيوث فى البيوت؛ واتانا والحالة تلك ماتقراون من البيوت ؛ فتاملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضـطـريـن واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده فى الحب والله بمــكان مكين ؛ وقــد قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلامنكم خير خديــن بالصدق زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعده وهنده وصلى الله وسلم على الاتى بها وصحبه؛ وعلى آله وكل من قفى على ملته البيضاء محمود نحبه ؛ ومتعنــا بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر فى ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك فى سفرته الاخيرة :

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطنا وعلى

وبعد ؛ فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستهلال لمصلحة الائتلاف وجمل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع واوعد على الالحاد فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدده الله فيما كان لــه وليــا ؛ فاتخذوه ابا ؛ وتوقيره دينا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جاهلهم ويشكر سعى والفهم ؛ وينصح جهده ويوطىء لجميعهم مهده ؛ وان لايميز بينهم الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم مايحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصى الجميع الامر والمامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى فى جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم الصدقة فى عصرنا هو الصبر والكظم ؛ واحق به الاقارب بالدم والعظم ؛ ثم بالمجاورين والمحاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى فى ذلك كله؛ واعلموا فهما ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مـذمـوم ملـوم وانا استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه ؛ وابضع تعليمكم فى سفر الارجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر والحافر ؛ انشات لكم مودعا فى بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى اخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى نصها :

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛ سيدى الطاهر ؛ وامدنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامــة الظاهر ؛ وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى تكون لاسرار الكتاب والسنة من اجل المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون بكمال الفضل من جملة المشاهر •

وبعد ؛ فاعلم ياولدى ارشدك الله وسددك ؛ واعانــك على الاستقامة والصفاء ابدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامتثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر امته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشقاءه من هذا الاب الدينى صلى الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفــع المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم آكد وآكد ؛ وقد كنت احببت القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك فى كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتي لوالدلادرجهاللهفي مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لى انى قصرت في حقك ؛ ويستقل لى ماادخرت من طيب العلوم في حقك ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرايت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك؛ واذا علمت ـ اصلحك الله من انا ومن انت ـ تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضي الله عنه انما فاق سائر المسلمين بالصدق الذى وقر في صدره ؛ من تعظيم النبى صلى اللهعليه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال المفاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهربفضله العميم الظواهر والسرائر وهو حسبي ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ؛ والسلامعليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذوكيف تربيته ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرته الى جميع المسلمين ؛ وكيف يجب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى مابينهم والى سواهم ؛ واموراً كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجاني المشرب على يد الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ؛ لايعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت في ورقات افتتح فيها والدى كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن همو؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تاليفه ؛ وسماه له (المبدىء المعيد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لاخيه فضله ولايعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثيرمنها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى الطاهر الافرانى فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقيه سيدى الحسن التاسيفتي يخاطب بهااستاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران (وفيها بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

اذا ماهب من افران ريح   هفا بالقلب من صدرى جنوح
يشم بها اريجا من حماهم   فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيق فيرتمى بى   تفكرهم فاززفر او اصيح
ابيت على التململ في فراشى   كان الجسم عمته جروح
وذلك كله من اجل شوقى   الى من وجهه الاسنى صبيح
ابى الثانى وشيخى من حبانى   فاغدو في جداه كما اروح
محمد نجل ابراهيم مجد   عظيم من ابى بكر صريح

تالله بالسيادة وارثاهما   كما يغدو المربى والنصيح
غذانا بالعلوم وليس يغدو   برسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزى عليما   له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛ بعد ماكتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على بربع رطل من السكر فحبذا فقد جاءنى سيدى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندى

على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه؛سلام الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد ؛ فياهذا الجفاء مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظاظة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم ذلك الصنيع من عدم المداهنه واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛ والنبى صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الآدمي وامامه ؛ (لقد كان لك في رسول الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فتارة ذو سرقة   وتارة ذو درقة
وحيث ضيف طرقه   بعث نحوى ورقة
وقصده بكل ذ   اك ان يصون ورقه

وكتب اليه ايضا :

سلام عليك يااخى الشقيق والنـ   ـسبنى وزهرالروض منمطرق الغصن
فديتك ان العلم حصن وساوس   وانت بتحت الحصن فاسعدالى الحصن
ومفتاح هذا الحصن فيما علمته   وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا :

اذا الله اودع الانامل حكمة   بوضع السطور فالعطية جلت
بعد حروف من قصور جزاؤها   بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره :

ياسبعة من سعد سبعة جمعهم   ظفروا بامر نعم ما الامر
فمحو الندى بذكر من لو جال في   صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبى فيالها   من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم ؛ ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر :

اذا رمتم نظما مقفى محبرا ... فزوروا مقامات الحريرى على الوسع
فان الذى قد فاز من فهم ما بها ... سيترع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب ندماه على الشراب :

انشدوا يا خير قوم ... ملحا اذ ما حضرتم
ادب المجلس شعر ... طبق معنى ما نشرتم
عجبا كيف حصرتم ... ولشرب الكاس صرتم
ان كاسا دون شعر ... حنظل لو قد سبرتم
ولكم ارجو من اللـ ... ـه مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها :

انبت فى تملك التصريح ... نفسى وما اجمعه وروحى
بالله فاحفظه امن تملكه ... من بعد ربه ولازم مسلكه
واجعل الاهى من الاولاد ... مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا :

تكلف الاسفار للاوطار ... فى شدة الحر وفى الامطار
من عادة الاكياس فى الرجال ... بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛ فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه :

سلام كما المسك والعنبر ... على من بادران وصم بر
على من له فى ابتدا سيره ... مهابة عال على المنبر
ابى حسن من بغربته انـ ... ـكسار بقلبى لم يجبر
اراني الزمان بشاشته ... بوصلكم الابرك الاكبر
والبسنى حلة طرزها ... سلاما سلاما على المخبر

الى آخرها

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ على فى بدايته

الآخذون عنه

١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المقدم
٣) الاستاذ العربى الساموكنى
٤) الاستاذ ابو القاسم التاجارمونتى
٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
٦) صنوه الحسن ابن الحاج
٧) الاستاذ الحسين الساظاروستى
٨) الاستاذ المكى اليزيدى
٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
١٠) سيدى الطيب الركيبى
١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السملالى
١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
١٥) سيدى على الامرخسينى
١٦) سيدى الحسين بن ابى بكر الاغوديدى
١٧) الفقيه سيدى الحسن التباسنتى
١٨) سيدى مبارك الماكفيشتى
١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السملالى
٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
٢٢) اخوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
٢٣) سيدى سعيد الاعضبانى
٢٤) العم ابراهيم بن احمد
٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المومن
٢٦) سيدى ابوبكر الاكيوازى
٢٧) الاستاذ المدنى الماسى
٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

هؤلاء من استحضرهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هؤلاء اخذوا عنه فى تقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالغية التى تولاها بعد هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم هما اللذان لم ياخذا عنه الا فى المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد السملالى ؛ وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين فى درجات التحصيل ؛ وسترى ان شاء الله فى ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي الاره ان وجدناها كيف نزعه ؛ والله ييسر ولايعسر

ثم اننا لم نسرد هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا لـه والنقابة المختارة ؛ الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدى عبدالله باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقاية ؛ وانما ذكرناهم لانهم الغيون واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذى لاتخلو منه اية مدرسة؛فلانتعرض لهم بذكر ؛ ولانشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لان من فتح له باب المجـد على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او اتيحت له اجنحة يحلق بها في مناط النجوم ثم قصر بنفسه فاحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق يوم العرض الاكبر ؟

اذا مـا اهـان امـرء نفسه　　　　فلااكـرم الله من يكرمه

ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله ٠

مراثيه

لم اقف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذى القاها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد ٠ فهذا رثاء لعلامة زمانه ٠ ورافع راية الدراية في اوانه ٠ الفقيه النبيه ٠ الاغر النزيه الابر ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح بزاوية (تحت الحصن) بالغ ٠ قد قلته حين اصبنا برزية فقده وذهب بنا بعيده

فمن للعلا وللمحاسن والوفـــا　　　　وللحسن والاحسان والسر والصفا
وللرفد والارشاد والقصد والندى　　　　وللحلم والسخاء والصبر للجفـــا
وللخوض في بحر العلوم بفلكها　　　　وتجرى ويجنى من فرائد ما اصطفا
وللسقي في النادى الندامي بديهة　　　　كؤوس نظام الشعر تنسيك قرقفا
يعل الندامي ما هداه وانـه　　　　بكل الذى يهوى نديمه قدوفي (١)
فنفس عصام سودته وعلمـت　　　　له الكر والاقدام لبس الذى قفا (٢)
لتبك عيوننا الفقيـه محمـدا　　　　بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمحياه للورى　　　　شريعة احـمـد وراثـة مصطـفـى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة　　　　تراكمت الامواج منها على شفـــا
فلولا على صنوه وشقيقـــه　　　　تسلت به الاحلام حين له اقتفـى

---

(١) ماخوذ من قول الشاعر ٠

تمل الندامى ماعداني فانني　　　　بكل الذى يهوى نديمي مولع

(٢) نفس عصام سودت عصاما　　　　وعلمته الكر والاقدامـــا

لنا لك بنا الاحزان من كل وجهة　　　　ايارب نوره ضياء بلا خفـــا
وابرزه للانـام شمسا وقدوة　　　　وسرا وترياقا غليلا لهم شفى (١)
فيشفي صدور المومنين بنوره　　　　لما فيه من اسرار ربه والشفا
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر　　　　فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغي امام عارف معترف له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصامية وفكرة اياسية ٠ حافظ للترتبة ٠ ادبا ومروءة ٠ الى رواية كثيرة ٠ مشارك في فنون ٠ من فقه وعربية وادب ٠ انتفع بخلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده ٠ فعمرهـا بانواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها ٠ مستفتي في المشكلات لمصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام ٠ (ومـن يساجل صوب العارض الهطل) علما وحلما ٠

---

(١) الانام كالاسباب ٠ لغة في الانام ؛ كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ٢٨-١٢-١٣٢٨ هـ

نسبـــه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد •

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله على كواجبات تحتم على ان اؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابيه كل مايعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حبب اليهم انتقاد كل شىء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون - بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك من يسلك هذه الطريقة عقبة كأداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى افتضحت فيه طرق التصوف بكثرة الكذابين الافاكين ؛ الذين اطالوا الاكمام وارسلوا العذبات ؛ وادعوا مالم يكن لا للخليل ولا للكليم •

كيف يمكن اليوم لمثلى ان يجلو على انظار هذا العصر صفحة نقية من التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم ويتانى حتى يدرك معى ما ادركته ؛ قبل ان يخزنى بحمة عذله ؛ او يصل الى والى من ارسل فى ترجمته يراعى بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لايتهمون انفسهم فى احكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك بالف دليل وبرهان •

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير ؛ فاتمشى رويدا رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان ووري فى اللحد وساؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقرائه من اصفى موارده ؛ وساجعل نفسى حرا فيما اقول ؛ واجهر بالحقيقة التى اعرفها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمجة ولاتورية •

اننى الآن كمؤرخ يجب على ان اصدع بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ واجعل فى ذلك رائدى ضميرا ابيا حرا لايغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولايقبل كل مايعثره من يهرف بما لايعرف الا بتثبت وتبصر وتان ؛ ووزن بميزان العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقلى ؛ واعترفت فيما بينى وبين نفسى ان يدى تقصر دونه ؛ فانى اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين يدى القارىء فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لاتدرك •

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لايحتفل بآراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيئين اثنين ثم لايزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لاينبغى اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم •

هاانذا اقدم اقدام من يقول مايعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التى هى ابلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول على حين ان الواحى لايتجاوز آنه ؛ وانا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومتوكل عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتحرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال ماعلم فما عليه من ملام •

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يومنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ واومن بان الكرامات والكشف المشهورات امس عند صوفيتنا اخوات ما يثبته العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتاتى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف ومن لايومن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبته العلم الحديث اليوم ؛ فليول عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسلاخنا ولسنا فى مسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبى كى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا متحجرا سامحهم الله •

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلتة من الفلتات ؛ فيبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب وان حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاولى بادىء ذى بدء كشىء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فان صاحبها لايلبـــث ان يجيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل مايتصل به قبل ؛ حتى تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ بآثـار صاحبها فينالها حظها من العجب •

كان فى الغ فى عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل عظيم لايقوم به الاخر؛ فاحدهما الاستاذ على بن عبدالله الذى ستقرأ فى ترجمتهما نقرأ ؛ فتوقن انه من اعاظم الرجال ؛ فلما تسمح البوادى بمثله وثانيهما صاحب هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ماستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه فى مهمه قفر فى جنوبى الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم فى فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمخضن ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ على بن عبد الله نفست به والدته فى محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق فى جانب آخـر يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واجدة من (رقية) والـــدة الاستاذ ؛ وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قـــد يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد فى المهاد ؛ ومن ذا يعرف الا اللـــه اذ ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بـحور العلم والادب ماتزخر به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عـن عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ مابين وادى نون الى درعة الى الحمراء الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛ فيجتمع عليها الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفيأها فى الهواجر اللوافح كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتـاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذى تخرج به قبل ذلـــك الاستاذ محمد بن عبد لله فى دارهم يكرر له سوره وقلما يذره كما يذكر العم ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج فى القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس فى الممسر

الصغير الذى هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضاحك عليهم ونقول لهم اعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدى على بن احمد يوما ادعوا لى انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ وما كنا ندرك مدلولا لـما اقترحه لاننا لم نعرف فى بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كـــر الغداة ومر العشى ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فـكـانت آمال الصبا واحلام الفجر صادقة فى دور الرجولة عند متوع النهار •

فى مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى يمت الى آلنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس فى مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها فى الطريق التى تسير فيها الاسرة الصالحية بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين ـ كما يطلقه عوامنا على العلم ـ فى المدرسة ؛ فلترسل هذه كذلك ابنها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التى فيها ذلك الاستاذ الذى يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس اهله فى العمل الصالح ؛ وفى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون •

فى مدرسة المولود

كانت السنة التى التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هى ١٢٨٣هـ وفى السنة التى بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به فى مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو فى تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدى الحاج يعزى الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه ؛ فغلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفنى؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله ؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدى؟ فقال له تعرفنى بان الظل لا يتراءى لجسدى ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فى مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم فى المدرسة المولودية ؛ اذا باعوان الرئيس الايليغى سيدى الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاءه الـى المشارطة فى مدرسة تازروالت ؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذا شوكة وهيبة لايمكن

منهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيبى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فانام انا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث سيدى عمر الاكضيبى ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك في المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك في ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبة (اى الدروس) لسيدى علي ابن احمد ؛ يعني صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك في تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه الحلقة الاولى في التعلم .

في مدرسة تانكرت

لامرما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه فالتحق سيدي الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيبى بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راى اهله ان يلتحق بابني عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التاياسينتي في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة في بيت مع شرفاء من اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهير ؛ وسيذكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فثوى هنالك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما ياخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل في نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاادرى من هو وانما ذكر ذلك في بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه في الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

في يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؟ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطي وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر لهم مايدل على مقام عال في معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التى تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن امغار محمد المجاطي فقال انى اطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق في القدر ان لقد السهم فاستجيبت الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم مافي ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان .

ملاقاته بالشيخ سيدي سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاى العربي الدرقاوى الشهير المتوفى عام ١٢٣٩هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائرة كالعراقي والبوزيدى والمدني والدباغ والبدوى ؛ وممن لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاويه الشهيرة بازبزض بمراكش ؛ وقد توفى في نحو عام ١٢٧٠ هـ فبهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفي مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدري الامي الذى تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته كسيدي الحاج الحسن التاموديزتي ؛ وسيدى الحسن التيملي دفين قرية ارازان براس الوادي وسيدي خالد من افلاوكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدي الحاج صالح الاكماري وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفي ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفي والعلامة ابى فارس الادوزي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزماحي وسيدي محمد بن ابراهيم الافراني مدرس مدرسة تانكرت التى فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سنذكرهم ان شاء الله في تراجمهم او نستطردهم في تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد ويلبي الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التى يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان علماها الافرانيين من اجل اصحابه المتقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لي بالشيخ سيدي سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نعرج اليه ؛ وهو جالس في مكان منتبذ عن الطريق فرايناه يحد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشى ساقنا اليه سائق السعد فاخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لي بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هي التى فيهاما فيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفي بعض رسائل المترجم مانصه ؛

(وقد كنت حين لقنني شيخي مستغرقا فيه ساى الذكر من ذلك الوقت الى قيامي من بين يديه وبعده ؛ وليس لي شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبي حتى انى لااقدر ان اقطعه حتى في حال الاكل الى ان صار خادما من غير ارادتي

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه) انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه فى بعض قرى تانكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية فى اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تيارة فيفان على عقله فلازمه ذلك اياما وقد فقدشعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا ألعقه من معه شيئا من الحليب ؛ لايلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة على بدنه حتى انهم يغطسونه فى نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم بعد لأى افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام عينيه هباء فى هباء وقد الم بهذا كله فى بعض رسائله ؛ كما الم به ايضا فى رحلته الحجازية اذ قال فيها :

قد كنت فى غياهب الغباوة   على شفا يورثنى الشقاوة
وكنت صديان الى دليل   يهدى الى معرفة الجليل
يجلو لى القلب لكى انالا   فى نيل معرفته الكمالا
فيستوى الجلال والجمال   لدى والنقصان والكمال
وتصبح الاقوال والافعال   بالله والاوصاف والاحوال
بينا فؤادى نحوه صديان   والقلب منى واله حيران
اذ فيض الله لنا سعيدا   هذا وكان المبدىء المعيدا
فكان آخذا بنا لله   يرقى بنا لحضرة الاله
فكان لى القبلة فى الامور   وردنى عن سائر النفور
بنظرة اولى لديه شهدا   بدر لكل ما لديه قصدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ   عنها فقال : ليس غير هدى
فهكذا نسمع : نظرة الولى   ترقى الى حضرة ربنا العلى
تركت ماسوى الاله جهرا   فلهجت نفسى بربى ذكرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا   فيما يرى برؤية والرؤيا
وليس لى فى غير ذات الله   مأوى ولا عن حسنه ملاهى
فصلت عنى سائر العلائق   لكونها عن مقصدى عوائقى

الى ان قال :

ولم يزل بنا على الارشاد   الى وصول خالق العباد
فزال ما بنا من الآلام   ومن غيون النفس والاسقام
ورجعت ارواحنا للاصل   من التانس برب الكل
ولذة الحضرة ليست تحكى   بشبه ولا بفهم منكا

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

(ولما من الله علينا بملاقاة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين وتاج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السملالى طينا ؛ والمدرى وطنا بالإقامة قدس الله روحه فى اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية فتبت قلوبنا فلم نر مايملأ اعيننا فى الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛وسرى سر الله فى ذاتى وروحى قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ دهشت دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان فى قربنا ؛ فوصلته لمرقلى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على مابى حتى انى لااطيق ان اسمع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشيء يلهينى عن ذكر حبيبى واجمع عندى فى ثلاثة ايام والحمد لله ما لايجتمع بعبادة اعوام عديدة ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا بملاقاته فى اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقى والكيمياء من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن يضرب فى الحديد البارد ؛ يعيى ولايقضى حاجته ؛ ولايصل اليهم الا من اراد الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

مصاحبة شيخه المدري

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط بينهم جميعا فى ذلك ولايفرق بين الصادق والكاذب؛ ولكن من خالطهم واستطاع ان يميز اعمال الصادقين من الكاذبين منهم؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة الا فيما غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ مايتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من رجالات هذه الامة فلارجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد الغازى الكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا فى بعض ابناء اليوم الذين يخبطون خبط عشواء فى الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا مايردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغال بلااله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا لانتجاوز ان نقول فيما بيننا : من جهل شيئا عاداه ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب مانراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لايغتسل من الجنابة؛ وانه ···· وانه ···· مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولايوجد الا فى ايديهم ثم لايكاد منصف من ذوى المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قدامرضى

عن كل شيء ونفض يده من خضخضة منصبه ؛ ثم لايطيب له العيش الا بالانقطاع اليهم ؟

ماهذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثـم يتهافت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لاتبالى ان كانت فى بطن الخابية من المغرقين ؟

ماهذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقين ثم لايلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلـن انـه ماذاق قط حلاوة يثلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ماهذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمـنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لايشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لايكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمـال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألأ نورا ويتشمشع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لاأكذبك ايها القارىء ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدى غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين الحنيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لايجد قلبى عندهم مايجده عند الاخرين فهذا كل ماأدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدى شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه ـ كماقال فى رسالته المتقدمة ـ من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلقت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فاتى مانسخ حبه الجديد ماكان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبها حب الالى كن قبلها ، وحلت محالم يكن حل من قبل

وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئـك الذين لايلبسون الا المرقعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لايكون شانهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئـك الذاهبين اليه ـ كما يحسبهم الناس اذ ذاك ـ ولابد ان خبر ذلك الجذب الذى يحصل له يحصل لهم فلا يكذبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى مثل هذه الاحوال ؛ لابد ان يقدر ذلك الموقف قدره ؛ (ان المحب بسوء ظن مولع)

فاتى والده حتى عرف اين مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب بغلته ولحق بالشيخ المدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد لابأس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لااريده الا للعلم وان كانت درجة افضل من العلم فليطلبها ؛ فقضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد مترادفين على البغلة •

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقـاه ولكنه لايعثر امامه الا اطراق الراس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك مايسمى فى اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من اول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقلال من الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدا فى ذكر اسم الله وهو لايزال بين يدى شيخه فى المجلس الاول ـ كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له ـ لهذا لم يحدثه والده ماكان يالفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مستمر الاقبال فقاله السحر ، فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد ؛ بالله عليك ياولدى ماذارايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثة العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدها فى بلادنا هذه ؛ وماكنا نعهد الا الطريقة الناصرية فهى التى نالفها ويالفها آباؤنا واجدادنا؛ اوليس يستعجب ان يخرج الانسان من المعتاد مع ان الناس يقولون ؛ العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع الناس ؛ فقال له الولد ؛ وما ذا ظهر لك انت ياوالدى فى البيع والشراء فـى القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتسافر به الى قبيلة آيت صواب حتى تبيعه ؛ وهل كان المعتاد فى اهالينا الاتجار بالقطران؟وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ماليس معتادا عند اهـله مزاولته ؟ فقال له الوالد ؛ انى ياولدى اخترت هذه التجارة لقلة راس مالـهـا ولكثرة ربحها ؛ فانى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزبيبا مما استبدله به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا ياولدى ماحملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل ومايجده القلب من ورائها كثير ؛ ولايلبثك مثل خير •

هكذا استدارت المحاورة ؛ ورأى الوالد ان لايحرج ولده ؛ فهو الى ايناسه احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعمهم الناس .

فى مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتمام معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربي الادوزى ؛ اما فى اواخر ١٢٨٩هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزانة الحضيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طرره بفوائد نفيسة وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة الادوزية لاستاذه ابن العربي ؛ واضاءة الادموس للهلالى وكراسة فيها ابيات متفرقة فى النحومما يحفظه عادةمن يقراون الالفيةوغيرذلك مماتشتت بين الاوراق لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فضاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ماكان حصله فى السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتقانا للفنون واكبابا على التضلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ الادوزى فاتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذذاك ـ كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود ـ ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد ـ كماسترى ذلك ـ وبلغ ايضا فى الفقه شأوابعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحى الذى ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذه هذه المكانة السامية التى ترقى اليهابملازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة اقبل اليهم الاستاذ فقال : ان سيدى على اكرام ـ وبذلك يدعى هناك اذ ذاك ـ يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام ـ نجيا بينهم فقالوا

والله لانقبلن ان يقوم هذا الرابط فى مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس واراد ان يتصدر ليرين منا ما لاينساه ابد الابدين ؛ قال فاسترقت سمع ذلك فتحيلت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى انى مع الناس قليل من الطلبة انتجعنا عليه فى غير المجلس العام دالبة البوس وذلك غالب ظنى الان .

قلت وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين نصها ؛ (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة .

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمآل ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراكش وجعلنى خليفة على الطلبة لنذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرا لم نمكث ؛ فلاتتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرا ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شىء من درهم ولادقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان امكن ؛ فان للتاخير آفات واقروا منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نحبه)

هذه رسالة نقلنها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدفة من بين رسوم السان الطبى من اسرتنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان يقع له الانصبه ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا فى البيت لسيدى عمر الاكفيبيى ؛ كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة لقد معاودتهما للانصبة ؛ قال ويجلسان معا فى براح ؛ وربما يكون الجو باردا فينالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتاسف بعد ذلك حين صار ممن تلمذوا لصاحب الترجمة ويقول واحياءاه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لايستفيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينا ملك ستر صمته ؛ وفارق انزواءه المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة اكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفى يوم جاء السان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما منعنى الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينبس ذلك النهار ببنت شفة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواءه ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة .

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يترقى فـــي المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالا دائما لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها •

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت فى حين ونحن بالمـدرسة الادوزية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما القاه بغتة ؛ فاجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليـه وأنا اقول في نفسي انه بلاشك راى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهـواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتي عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجي منا ياخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجيبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته مني ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه اللـه وهو في ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيضي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى •

* * *

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربي الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمـة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحـــق ايضا بمراكش ؛ وقد مكنه والده دارهم يشترى بها مايريده من الكتب ؛ ولكنه لـــم يشتر الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل مـــا احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازه باجازة كانت محفوظة عندى بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفار عـــلى الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشباب سادرون ؛ لم ندرك بعد قيمة المخطوطات ؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوقلة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرمـوق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلابد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عما وراء اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف امامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها احباس تشاكس حولها الورثة ؛ وقد كان الاساتذة سيدى الحاج ياسين وسيدى على المجاطي وسيدى محمد بن عبد الله الالفي وسيدى الحـاج محمد الزريدى تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاى واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل عقدتها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اباه فيالج القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرهــا وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لايابهون بالتاريخ ؛ ولكن المعهود انهم لايفرطون فيه في رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون معجبا من فقيه جديد من الغ لايزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرني من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فاراهم فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ؛ ان تجول خيله فيما يجول فيه فقهاء عصره في هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجيراهم ويتسابقون اليه لم لم نعرف له انه جال في مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى الذى قطع على الفور ؛ كما سنرى ذلك ان شاء الله فيما ياتي

في التجارة

اطلت سنة ١٢٩٥هـ فاتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا مدخر ولارخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس في هذه البلاد الامن مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرع الاما كان من معمر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفأ اليـه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالي ممن عاصر صاحب الترجمة في المدرسة التانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس فاتصل به صاحبه هذا ؛ فقارضه ستين ريالا او مائة ـ الشك مـن العم المخبر ـ فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهـه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيــه الكوسالي حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة ؛ فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة في غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهالينا افضل ماينحل به الرجل ؛ وينبه به شانه ؛ ولايستحيي رجل اياكان في النزول الى مزاولته ؛ فبذلك انبع الفقيه الغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شيء عزله لم يكلل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فوكرض مشارطا ومعلما

كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجع من المدرسه ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشان لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مادرس في مسجد قريته فعلا له بذلك ماتغبط بـه اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آلنا قد رجع ؛ وهاهو ذاقد جرب في تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقايض في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لاينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيهها سواهرون فليبيعوا وليشتروا وليقايضوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاول به في نظر الاسرة ان يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد اللـه الذى تصدر في المدرسة البومروانية ؛ فاحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليلتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيهها شان كشأن الاسرة الصالحية من فقيهها وليس هذا الذى اقوله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احاديث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة ـ تمليها على في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانـا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيهها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكـن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا الخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذى جاء بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التى كنت لااريد ان يتخطاها ؛ تعنـي بذلك كونه شيخا مربيا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماساقه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الغ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادىء ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المـدونـة الايفشانى ؛ وسيدى مولود الصوابى والحاج محمد البوزاكارني ؛ وآخرون ؛ واخـال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥هـ لان الاستاذ الطاهر بن على اخبرنى انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهوهناك مورخا بسنـة ١٢٩٥ هـ والعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتتح سنة ١٢٩٦ هوالامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابى ـ وكان يحضره اذ ذاك ـ ان ذلـك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

الم صلة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعـة شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ماياتي •

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ماحمله على ان استناب صاحب الترجمة في البومروانية ليتمم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة فكان من بين من ياخذعنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ؛ الاستاذ على بن عبدالله الذى رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمت همته الى التجارة • والاستاذ احمد الزرهامى وسيدى سعيد بن عـلى الاعضيانى وسيدى الحسين الساطاروستى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركيبـي وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالى ؛ فكان يـدرس مـع هـؤلاء الشادين زيادة على متون المبتدئين : الالفية والرسالة والمختصر والتسهيـل والمقامات الحريرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك في كـل مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق التلاميذ بالمدرسة الالغية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديـدة وكانت السنة ١٢٩٧ هـ •

العزم على المشارطة في المدرسة الوفقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبدالله صاحبه هذا على ماقام به هنالك ؛ ثم صار يفاوض الوفقاويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم (وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمي

الطريقة تنقض عليـه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفض يده من الدرقاوية ؛ وانه نسي شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذهو بالمدرسة الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى من الاخذ بادوز ثم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الـذى تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدرية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزتـي فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول العراقى ؛

والفتى مـن سلبته جملة   لا الذى تسلبه شيئا فشىء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حيـن تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقـطـع بين يدى شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه   وان جاد بالدنيا اليهانتهى البخل

بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستـقـبـل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالى يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ ياخذون عنهفقال لـه وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ وبيده عكازة ياامام اليس تدريس العلم ببغداد خيرامنهذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لماطلع بدرالسعادة فى فـلـك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليل وسعدى بمعزل   وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بىالاشواق مهلا فهذه   منازل من تهوى رويدك فانـزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد   لغزلى نساجـا فكسرت مغـزلى

وقد انشد له ايضا حول هذا المقام فى لقاء آخر :

قد تيممت بالصعيد زمـانا   وانا الآن قد وجدت الماء
من سرى مطبق الجفون واضحى   فاتحا لايـردهـن الـعـمـاء

وقفة قصيرة بالقارىء

احب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوينا صفحات غيرة لميلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها ـقليلاـ فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ أفليس أنه محظوظ فى كل هذه السنوات التىيتلقى فيها ؛ حتىختمذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه وتفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بينجماهير من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيـحـا واسرةلها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لماجال فى مجالات التدريس فى الـمـدارس كان نزعه فيها لايقصر عن نزع ابنعمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لايرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولايتنازل ضميره الى انيذر تلاميذه الذين هم افلاذكبده الا فىيدمنيراه كنفسه فى الالقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كلهذا لم يستهـو صاحب الترجمة ؛ ولااستمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك منكل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملا مابين جوانحه ؛ غير تلـك

الارواح التى تجول فى كثير من فقهاء عصره الذين لايكاد احدهم يتسم ومضة من حظ او يجد مضغة علمية مربحة من مدرسة واقبالة صغيرة من بضعة تلاميذ حتى يقول الذى اسمعه الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريف من العلم الشريف؟

حقيقة ان مايقضى فيه الفقهاء اعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيـف والانتصاب فى المدارس وهى من المساجد التى لايعمرها الا من آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينيـة والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى السابق اليه يحمد المتسابقون ؛ ولكن امثال صاحب الترجمة الذى خلق الهم هذه المجالات ورايتنا همته تحفزه الى مقامات اخرى غير هذه لايمكن يكون هناك شىء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء ولامثله فى مجالس المدارس

فليت شعرى ما الذى وجده هناك ؛ ولم يجده فى المدرسة ولافى علومهـا المختلفة ؟ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين القـوا مناسيهم وراءهم ؛ فاقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا فى هذه الحكاية الآتية:

وقل سيدى سعيد بن همو الشيخ المعدرى الى داره يوما فقال لمريدتـه الفقيرة عائشة الهشتوكية : اخرجي واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين ؛ هما فى طريقنا حديثا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ماسلمت ؛ ـ وهى تعرفهما وتدريس ـ فافاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما : انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لايحسبون ان لله علما الا مافى تلك النقطة الضئيلة التى تقتلون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنقطتكم هذه ؛ واردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون عندنا لاتخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم الـتـى يخوضـونـهـا ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ماانتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لايدركون منهم مـا ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة الـقـلـوب ؛ وانشراح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن : وكيف معرفة الله ايتها الفقيرة ؟ فقالت الكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لا انا العامية الاميـة التى قل حياؤها فثرت بهذيانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحـاج الحسن لابد ان تتكلمي ؛ فقالت لاادرى مااقول ؟ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي ياماه ؛ انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا؛ فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال لي ياامي هنا مثل تذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف).

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ فلبمعي النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مباديه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ويظلون ويبيتون في تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ثم امل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك انما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتاثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافي ايديهم وعن كل ماهم فيه؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتقفى دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة بالية بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من ان كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة؛ ان يطلق كل ذلك المقاومة من مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين يقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا من مريديهم وهو شيخ المريدين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع ان يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين.

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لمما تجب المحافظة عليه [illegible] ما تجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وباى نص يستدل من يامر [illegible] المروءة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيهات ان [illegible] بعد ؛ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتولع [illegible] في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرح به المحدثون والفقهاء ويسهبون بذكر حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامره شيخه ان يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لا تستدير دورة الزمان حتى يتراءى في عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تغشى انوارها اللامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المنصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر ؛

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني　　　او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني　　　وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجادلكم ادلة حججا انتم ادرى الناس

من نومه فقال لي ياماه : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا! فقلت له كيف عذوبتها يابني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي ياامي عنا مثل تذوقيها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذى تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ماكاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف).

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة فى اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم فى كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لايجدون فيما عندهم من مختلف الفنون مايبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لايوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلابس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون فى طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التى تجثم فى ضفاف البحار فلاتكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ فلبمعى النظر ايها المؤرخ منذ تاسس التصوف فى القرن الثانى واستقل كعلم خاص ؛ له مباديه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ويظلون ويبيتون فى تتبع دقائقه ومقدار تاثير كل دقيقة من دقائقه فى نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تامل معى منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التى تقع فى مختلف هذه القرون وترى ماهناك راى عين ؛ فيتضح لك انما يستغرب فى ذلك الوقت ؛ يثور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كماهم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين مايواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذى يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافى ايديهم وعن كل ماهم فيه؛ حتى ليامرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتقتحمها دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ ان يجول فى مرقعة عليها بين الفرق وبين معارفه ؛ حتى يزول منه مايمنعه من كان معروفا فى قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة؛ ان يطلق كل ذلك المداومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك فى الاوساط التى كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولوطرفا ؛ افلايسع من يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لابالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين.

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لمماتجب المحافظة عليه كما تجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباى دليل وباى نص يستدل من يامر بخرق المروءة التى هى كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيهات ان يلتئم بعد ؛ فكيف يربى انسان انسانا فى الدين الاسلامى بهتك المروءة والتوقح للتكفف فى الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا مايصرح به المحدثون والفقهاء ويسهبون به فى حججهم ويسوقون مايسوقون مما يشهد لما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامره شيخه ان يفعل ذلك لايلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لاتستدير دورة الزمان حتى يتراءى فى عصره كشمس انكشفت عنها السحائب السود فى يوم صحو فتشرق فى عليائها على الكون ؛ حتى تعشى انوارها اللامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لايكاد معظمهم من المتصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول مالاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعذركم على نمط مايقوله الشاعر :

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني ... او كنت اجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ثم اننا لانكثر معكم الجدال ؛ ولانجادلكم ادلتنا حججا انتم ادرى الناس

كيف تلقيواانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لايسلم من مرضه المزمن الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقئت عينـــه فحينئذ يبرأ ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجوزون له ان يداويه بما ذكر وبماتبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثـل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخـــو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فـى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناها العلمنا بأن الغاية تبرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال ببتر اليد ولابفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على ان المروءة التى يامر الديـــن بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عـوائـد فـى اللباس وامثاله يغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تقليب اللباس يوم تصلى صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشياخنا ذلك ضربة لازب لكل مريد مريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لايداويه الاذلك ؛ وطرق التربية شتى لاتنحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ماجربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كتربية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فاحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه مانريده وراءه عرفتم متجهنـــا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا .

والسؤال الثانى : اننا رايناكم تكثرون علينا فى اتخاذنا هياة مخصوصة للمريدين مادامو يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبى صلى اللـه عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولابشارة يتميزون بها عـــن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائن ؛ لايـفـضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فـــى الجواب ؛ اوليس ان لكم أيضا أيها الفقهاء هياة اخرى خاصة بين المسلمين؟ فمايكاد احدكم يتاهل للتصدر وينساق الى صفوف العلماء حتى تراه انتحى ناحية فيخرج الينا بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؟ فماكان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك : ابو يوسف ؛ ونعم القدوة ابو يوسف ؛ ولـكـن

لماذا لاتقولون مثل ماقلنا لكم ان قدوتنا الجنيد والغزالى وامثالهما ؛ فتقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجنيد والغزالى ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقى نحن وانتم فى الوسط لتدركوا ماعندنا ؛ مثل ماادركنا ماعندكم ؛ فنتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لاتمام مانريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتمييز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندى ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالـف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف .

هكذا يتحاج الفريقان ما يتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لايخفى على ذى عينين

* * *

طرق اذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحية الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ماادركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد جامع ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمد يديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقى فيه كل ماامتدت به اليه الايدى ولكنه سرعان مايسقط وراءه ؛ فيتتبعه الصبيان زرافات ؛ والهمج الرعاع الذين من دابهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فثار ثائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كانها فى غيابات الجب؛ وقد علمت ان مايقال محقق ؛ فلاسبيـل الى تكذيبه ؛

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر   فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

واهلنا السعيديون ابعد الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن ذلك همما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ؛

واسفف ترب الارض كى لايرى له   عـلى مـن الطول امـرء متطـول

ولذلك استبعدوا لصور ان ابنهم الذى يعلمون منه مايعلمون يسف الى

ذلك او تندل به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اهاليهم انابنهم بلاشك ممن اصابهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او الم به مس من جنة ؛ والا فلا يتصور فى انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولــه مسكة من عقل اولمحة من تمييز

اذن الشيخ سيدى سعيد المعدرى لتلميذه هذا ان يجول فــى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم بازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفى وكان ممن له المام ببعض اقواله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الغ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسملالة وهى اذ ذاك كما ابتدات ثم فى قبيلة ايت وفقا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للصمت لايسمع منه الاعبارات التكفف لاغير وقد قصده فى ايت وفقا سيدى محمد المدونة الايفنانى تلميذه الذى كان اخذعنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومروانيــة فطلب منه الدعاء والح عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحمق اوطلب دنيا اوجاه وانه انما فعله ليتخلص به نفسه من شوائبها فأجابه هذا حين الح عليه فــى الدعاء : لااو يحلف الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبى يقول يــارب لا لا

لقد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيا به مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لايحير الجواب لابيه ولا لامه ؛ ولايتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد يأتى عليه .

حكت لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كــبدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلا ادع كل ماتصله يدى ؛ وامكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ماعندنا ؛ ثم لايعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينفلت الى سطح الدار فيصرخ الامن يفثأ جوعتي الملتهبة الهائجة ولو بقطعة مــن الخبز المكرج (٢) فاننى ياعباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ايوائه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه اما معين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهــب

---

(١) الطبى بضم فسكون : الحلمة الزائدة فى آخر الضرع ؛ وذلك مثــل مشهور فى اشتداد الشىء

(٢) كرج الخبز : اذا يبس وفسد

بابنه الى فريع ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ماصابه ربما جاءه مــن تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة فى واد واهله فى واد

فى صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابنائها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ وبهجة نفس الاطفال الام المرزوءة فى عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايقاس نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ؛ قالت لى فمادخلت حتى ناداني ــوهواول كلام سمعته منه ــ ياماه ماهذا الذى فى رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدى ؛ فقال اوعليهم فلماذا وضعتم على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدى انك ياولدى جننت ألم تجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجبا اوكنت كذلك ؟ ولكننى الان استرددت شعورى قالت فثاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى ... فاقبلت مسرعة الى مطبخ الدار وفيه نساؤنا مشتغلات بالغداء فاعلنت بشرى فارتجت الدار كلها فرحا فاقبلنا جميعا مستديرين بولدى على وقد حضر فين الغريب ... الكبل فازال كذلك ولدى ماعليه من اللباس الخلق فاتيته بكسوته البيضاء من صندوقى فلبسها وارتدى برداءه ووضع العمامة على راسه فارسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاقيمت حفلة كبيرة ... الجيران والاقارب فاقبل المهنئون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والــده ... ؛ لم يزل ملازما للفراش من مرض كان الم به ثم ازداد بماوقــع ... فى صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امراة من القرية فصارت تناديني وصوتها ... الى الان رايت ولدك قد استدار بثنية (تالات نيت عيس) ويذكــر الله جهرا ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحمــل الصبر ... بطلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المعدرى الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيغمى) فبت هناك عنــد اسرة من معاريفنا ؛ ثم تعقبنى من اخبرنى بان زوجي والد اولادي قد خرجت روحه اثر خروجى من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم واتكاهن مصيبة فهذا ولدى العالم الذى هو كل منيتى وآمالى فى حياتى قد عانه العائنون ولــم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتنكب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كانه مداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي ولب مهجتى قد مات عنى فوقفت فى حيرتى لا ادرى التقدم الى الامام لافتش عن ولدى ؛ ام انكص على عقبى لاشهد مأتم زوجى ؟

هذا ماحكته لى رحمة الله عليها فاها لاذنى ؛ وكانت لذة الحديث ممتعــة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدات افتش عن اخبار والدى هذه ؛ فيسر الله لى من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ماوقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عندذكره لشيخه المعدرى ؛ فقال بعد ان ذكر ماحصل عليه بملاقاته معه :

تركت ماسوى الاله هجرا ‏ ‏ فلهجت نفسي بربي ذكرا
وقبحت عندي ملاح الدنيا ‏ ‏ مما يرى برؤية والرؤيا
وليس لي في غير ذات الله ‏ ‏ ماوى ولا عن حسنه ملاهي
فصلت عني سائر العلائق ‏ ‏ لكونها عن مقصدي عوائق
بدلت احوالي بخرق العادة ‏ ‏ لطلب الاخلاص في العبادة
وكان في تخريقي العوائد ‏ ‏ افضل ما يجنى من الفوائد
ولست تعرف الذي ثم سوى ‏ ‏ بفعله ان كنت تارك السوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا ‏ ‏ ماأقرب الاخلاص ممن نبذا
فاختلف الناس فذا يقول ‏ ‏ جن فاين القيد والحبول ؟
والبعض قال انه مسحور ‏ ‏ اين رقى المسحور والبخور؟
وعند جل الناس كنت احمقا ‏ ‏ فلم يكن فعلي لديهم منتقى
فكل من جهل شيئا عاداه ‏ ‏ وكل من عرف شيئا ناداه
من بين فرث ودم يسقينا ‏ ‏ لبن معرفته يقينا
ذاك بفضل الله لابغيره ‏ ‏ يوتيه من اراده لخيره

قضى صاحب الترجمة ماندبه اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط في سلك المتجردين بين يديه ؛ لايتنفس الا باذنه ؛ ولايلتفت يمنة ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلي لاستاذه مولاي عبد السلام : انني اغتسلت من علمي وعملي الا مايأتيني على يديك ؛ وقال الجيلاني البغدادي في عينيته المشهورة ؛ يوصي المريد بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل ‏ ‏ يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشي في رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه ‏ ‏ فلا يطمعن في شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم لم لايفلح ابدا ؛ ومن اجال نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا في كثير من الجمعيات والتنظيمات كالجندية وشبهها ؛ فلايختص به الصوفية المربون لاصحابهم ؛ فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلك لتلاميذه حين رجع شيخا مربيا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امي ثم وفقنا الله فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما في هاجرة تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعا للزاوية في بسيط المعدر ؛وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايالفون مزاولة المهن دما

كصاحب الترجمة والناموديزتي وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذي تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابيننا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان في صدري قلب يستسيغ حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حمارة قيظ ؛ فراى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومماوقع له في هذا الصدد انه كان صائما مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) براس الوادي ؛ فاقترح عليه اهل القرية ان يطلبوا من الله الاغاثة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب الياس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك في هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقضي هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى ابتهج الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولابد ان نكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله مايكون ثمن جميعه ست ريالات حسنية ؛ وهي الاذاك خصوصا في هذه البلاد المقلقة مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هناك ؛ فوقف ينادي

الامن يمد لي لله ست ريالات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشا فيردها فيقول انما اريد الست ريالات دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب في السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مدبر ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت كرامة اكبر من اختها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء متاعهم وتلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسرهم من حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل مافعل كسب من ماللئيم رزقه الله بالتوبة مايستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين في بسيط المعدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة؛ فقال المترجم مقترحي انا ان لاافقد طوال عمري من يعينني على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة راى مرة اذ ذاك نفسه كانه راع يرعى سائمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت الـه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي - انذرناكم يابني عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعي والمراعي التي اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذا الترعاية للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالري الذي لايغادر عطشا؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى الناكرتى الافرانى حضر مرة فى موسم منمواسم صاحب الترجمة لاول بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحى الغ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الغ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة؛ فى كل طائفة عشرات او مائات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له : الاتتذكر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة •

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراياها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى راس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبينما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاءالتوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المومنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآيةان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا لحديث وذلك اليق بسياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المومنين ينبغى ان لايفرط فيه المومنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرءاة يتراءى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولامقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسافى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرخ الشباب •

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ ھ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ ھ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سنذكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ايرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقده فدله على صاحب الترجمة فى حكاية ستتعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقى صاحب الترجمة يتعهده دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الى ان

توفى هذا عام ١٣٠٨ھ ؛ وقد اخبر احد الذاكرين انه مارأى من شغلته لفيه وافرغ عن كل العوالم جميعا ؛ ولازمت فيه محبة الله فاسنه اهله واولاده ولفيه حتى لايبالى بطعام ولايشرب الا رجلا واحدا ؛ قال : طرقنى وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريبا ؛ وقد وصلتنى نوبة السقى بين الجماعة ؛ فبينما عليه فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انحدر على من ثنية تصاقب قريتنا فما ان سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعرى ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيت الماء الذى يندفق من الصهريج فوقفت فى مكانى حتى مربى الرجل وهو فى مرقعته والمسبحة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لايلتفت وعلى محياه انوار تتلالا كانها انوار الشمس فى الجو الصاحى ؛ فتبعته لعلى اساله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل شجرة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسائله ؛ وهو لايجيبنى ولو بكلمة واحدة ؛ ثم اجترات فمددت يدى فزحزحت غطاء وجهه فنهرنى بهذه الجملة : ماكان ينبغى لك ان تسال الا عن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت بين يدى الله ؛ هذا كل ماقال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فالبست فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت فى قلبى نكتة منه ثم لم تمض الاسنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه ؛ اول من التقى به فى القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت صاحب الترجمة فى هذا الحال ورايت كيف كان حاله فى طور التجريد ؛ فانه كان اذا ساح وحده فقد رايناه كانه احد رجال كتاب (روض الرياحين) والمذكورين فى (الرسالة القشيرية)

فى جبالة

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بتال زاوية جبالة الدرقاويين بواسطة شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاى الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٣ ھ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدال جبالة فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه يوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فارسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ ھ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم •

اخبرنى الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسى انهم مروا به فى اداوتانان ذهابا وايابا كما حدثنى سيدى بلعيد التيزكيتى ان هؤلاء مروا اذ ذاك بدكالة فباتوا فى مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا فى الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جبالة وهم يسيرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد هيئوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرنى الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين ياخذ بعض المختصر عمن نزل بزاويتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظى ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج علي السوسي ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج علي فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك في سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا .

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدراى صاحب الترجمة اهل الزاوية ياتون بالماء من بعيد ؛ وتنالهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد مَن يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لايجيبهم — وقد دخل ايضا في الشروط التي من بينها الصمت كما بيناها فيما تقدم — وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ماكان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاى العربي اومولاى الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب مافعله وسمعت ايضا ان مولاى العربي او مولاى الطيب على اختلاف الروايات التي نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحي الدائم ؛ وسنجرى في قلبك كذلك ماء حيادائما ؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذي صح عندي من جهة السند فهو ماأخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدري ابن شيخ صاحب الترجمة قال : بينما والدي ووالدتي في تلك الايام التي كان فيها سيدى الحاج علي في جبالة جالسان في مشرقة دارنا يوما وبين يدى والدتي شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا بابي تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امي لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذاك ؟ وما الذي اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى علي اكرام —وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء— ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى علي الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى علي الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا ياعليان» او كما يقول له

هذا ماكنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جبالة واما فقراء جبالة انفسهم فيوردون حكاية اخرى ؛ يقولون ان اهل سوس هؤلاء اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة هادة الى جبالة ؛ بل يقول بعضهم ان سيدى الحاج علي حمله فوق راسه من سوس الى جبالة ؛ حتى حص شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلع وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء الفقراء ويمكن ان يشترى هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان آخر قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحص شعره بذلك فعاد اصلع ؛ فخرافة من [illegible] والذي يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن [illegible] في الخدمة سرا ظاهرا وربحا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحص [illegible] راسه اذ ذاك ولم يكن اصلع ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض الناس زمن شيخوخته (نعم) انه ثبت عندي انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير [illegible] سوس الى جبالة)

[...] صاحب الترجمة إلى شيخه

[illegible] لك ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا [illegible] فلننصت لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكي لنا [illegible] كما قال بعض الالفين :

وما مخبر عن الغنى مثل نفسه ... فحدث بما قد ذاقته زمن الوصل
[illegible] لسقى الرحيق بكاسها ... فعدت صريع الكاس والاعين النجل

الرسالة

من علي بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدى الحاج [illegible] وسيدى ابراهيم وسيدى محمد بن الحسن وسيدى مبارك وسيدى ابن [illegible] الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربي ومولاى الطيب واولادهم ؛ الى شيخنا وقدوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقرة عيننا وانسنا وعزنا وحيانا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد [illegible] شمسه ؛ وانبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء الكمال والمعالي في يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع ويسجد في رمسه وكيف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل في معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذي يتبعه الوبال وكل من يشتكي عليه بعلته يشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاضمحلال فهذا الشيخ الجليل هو الذي انقذنا من الظلام الذي اسبل علينا البراقع وداوى

بترياقه فينا السم الناقع ؛ وقلنا السمع الخرق على الراقع ومدانا في شبكته واقع وانا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لايغادر صغيرة ولاكبيرة الااتى عليها باللامع فجازاه الله الجزاء الذى هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ماخلقناله من الاخلاص الساطع ؛ من أشارت اليه الايدى بالبنان بانه حامل راية العرفان على رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاى سعيد بن محمد احمد الله عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من المسك والريحان ؛ تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية مادام وجود واجب الوجود ؛ الذى هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا الى دار أولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من لقينامنهم بعدالدخول ؛ الذى تقول لناهو وارث سر مولاى الطيب وهو ذو الحاجة منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكى التقى السخى النقى الوفى الحفى الذكى الوذعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاى عبد الرحمان ابن مولاى الطيب؛ فرحب بنا اى ترحيب وسالناعن احوالكم واستقصى الاخبار استقصاء الطبيب فأخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما في رؤوسنا حتى شفى الغليل وبرىء العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد ؛ وحتى فرحت بنا الاشجار والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد الاعيان ؛ وزرنا مولاى الطيب في بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته به في حياته لما دخلنا بيته كاد لحمي وعظمي يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة وكيف لاوحال مماته كحال حياته (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم الزيارة التى اتينا بها ؛ وهي ثلاثون ربعا ؛ عشرون بوجهها وعشرة في ريالتين والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عناووقاهم ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع في بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولابمن اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا من الفقراء جاءوا على وجه الله مااتوا بشيء بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه في عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

احوال الكمال فمن الى بشيء فلنفسه واماهم فمستغنون في القلوب من ذلك والحمد لله بقي الخير في مكانه كما قلت لنا ؛ في الوقت الذى مات (١) مولاى الطيب ا رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاى عبد الرحمان مقامه ؛ وقد صح ذلك المقال بفضله ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخواتنا فان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى البلد ونسيح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذى اراد الله ولو في مارس ؛ وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابداورايتموها في السفر كما رايتموها في الحضر ؛ جزاك الله بكل امر ظاهر او باطن حسى او معنوى ؛ نرى فيباكم فيه متى وقفنا عليه وسلمنا فيه الارادة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين في السفر كالحضر والحمد لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرتنا به وارسلتنا اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والقارىء لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من انواع عديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء الى مولاى عبد الرحمان الذى نعلم عنه في آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامي الذى اسروا توجيه النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف ... ؛ وكما يفهم ايضا منها نظريات اخرى لاتخفى عمن يالف ان يستنتج ... البواطن من الظواهر ؛ مما لافراغ معنا الآن حتى نتعرض له فاله ... الى ان نفهم هذه الغمرة الروحية التى ماجت على المترجم فالسنة كل شيء ... قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء ... الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدرى الناس انى توجهنا

في فاس

في الالسنة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه حين حلوا بفاس مرجعهم من جبالة ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن لم تكن في ذلك الآن حتى على ظن؛ الا ماكان من خلوة اختلوها هناك في محل مشهور في خلفه مدرسة الوادى سان امكن ان يجد فيها غريب ماوى ـ فخرج احد الفقراء فاوصاه صاحب الترجمة ان يتطلب في السوق بالجهر وهو واقف عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك في فاس ؛ والا ما اخبرني به

١) توفي مولاى الطيب ١٢٨٨ هـ
٢) ايام ثورة الريف

بعضهم والله صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم في مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب ـ كماتسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء ـ فاعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا اليها ؟ فاقترح عليهم انيكونوا اضيافه فاضافهم مرات في داره وهذا الفاسي احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي.

ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلي

وراهم شيخ بزاوية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فراى من أهبة جدهم ماراقه	فأتوه للتسليم والملـقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انااعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صحبالرضا الصمداني
اعني الامام الدرقوي العربي كـ	ـنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	ـحب العارف المذكور قطبالآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الىهذه القضية التي وقعت لهم بفاس

واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح عام ١٣٤٣ هـ بماعلمت به انلصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك وذكر انتحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحلمعاصحابه عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني من ان اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين بزاوية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطيبي ومن معه من حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلاباس ولله الحمد عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الىجهة فم تاتلت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناني معهم في السياحة ونحن في البلد بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهاانا ارسلت هؤلاء السادة ياتوننا باخباركم وياتوكم باخبارنا لاغير ؛ واما الأمور فكل شيء في رؤوسكم ولانحتاج انذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل في الخير مالاتوصيه عليه ؛ وغير العاقل لايفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير الزاوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولى بذلك ؛ فقد وصيت سادتنا اهل مراكش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولى بذلك ؛ وكذلك انتحرضوا

الناس على ذكر الله والورد وتلقنوه لعباد الله ؛ فانتم اولى ان تفشوا من الناس وتجلبوهم الى الورد بكل ماامكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛ وسيدي الحسن الركانبي يلزم الرحامنه لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت لله من قدم اساسها وبناءها ومايضرها ومايتفعها ومايصلحها ومايهدمها واياكم والميل في الطريقة ؛ فانكم احتجت للمال والحال ولاتتركوا واحدا منهما وكونوا ترابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون في الحين والزموا الصدق في القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما في ايديهم فلايرون فيكم الطمع الذي يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندكم من الفلوس فلابد ان يروا الشيء الذي ترقعونها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لابد ان تطمئن القلوب ان لم تشاهد (قال بل ولكن ليطمئن قلبي) فالفقير اذا ذكر الله تعالى يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدينةموضعها في اللباس ولا في الفراش ولافي الماكول؛فالطريقة ابتداؤها الجلال وانتهاؤها الجمال وعظموا كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولاتغيروها ؛ وهذا الفقير العاقل لايقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من كثرة الذكر او كثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم بهمته العلية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته في مقاله وحاله ؛ فكل من رآه او جلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا ورفيقنا سيدي سعيد بن محمد المعدري السملالي حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربي في جبالة كل من رءانا اوسمع بناواحرى انجلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشتاقون الينا من بعيد لافي الذكر ولا في المذاكرة وقلوبنا في الملكوت كما قال سيدي علي الجمل ؛ علي في الحانوت وعلي في الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدي الخضر في فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثةعشر يوما الا قلنا له لمشي « والله ماتي بكم ربي الالى لاغير وكنا نغيب في كل ليلة ونهار في الذكر والمذاكرة ووقعت لنا في فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لاينشاالامن خرق العادة ؛ كما قال في الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن منكل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلي ؛ فهو قريب من ربهغاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة مابنيت له في كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هوكونها موضعا لله تعالى لان الزاوية في الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذاكر ان يجلس في ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سمي بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولاتهملوها ؛ فالله يقويكم وايانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠–١٣٢٧ هـ

في محاورة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استاذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ماكان يلابسه من احوال الصوفية وجراءة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقي ولاتذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقته التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتمي رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقرر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويحلق بها في سماوات مجلسه بين سواري القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزي يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع مانقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التي لايتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ مابين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزي فهو زي المساكين الذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا ؛ واما حكمك

بانه لايتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن له الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزي ؛ ومن الذي يزعم لنفسه انه له هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيد واتباعه ؛ فقد اثنى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد مابين السماء والارض ؛ فان ذلك لايضيرهم لان عليهم ان يسيروا في الطريق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبذلوا جهودهم وأما أن ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذي صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلاشك انه بها قائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بأن فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابي علي الدقاق وعبد الرحمان السلمي والقشيري ومولاي عبد السلام بن مشيش والشاذلي قد انقطعوا ؛ وان ماكانوا معروفين به في ذلك العصر قد انقطع في هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التي تخوضون فيها ان بينكم وبين المكانة التي كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد مابين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما تقررونه في دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل ــصاحب الترجمةــ في هذه المحاورة كما حكى ذلك احد رفقائه المتثبتين وقد كان المترجم ممن اوتي الجواب المسكت وحسن الفصل والقول الفصل في امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب في المحاورات ؛حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلايقال له كلام الا أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المتثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التي بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهري بحديث الافك الذي مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها في بعض وهي لعمر الحق محاورة عجيبة يكفي من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبه كلاما طويلا ابى الاان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسيه طويلا ــ وقد جلسا حين المحاورة فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم في امثال هذه المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولـعـل الله راف بذلك الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة •

تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى انلحق بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذى يصدر عن فاس الا ولسانهيتدفق على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتـمـعر ان ذكر المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابا جمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عـند ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكرا طيبا خالدا •

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعـهـم فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم ـ كمااخبرني به مخبرون ـ عجبا من فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذاكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخرمن السوسيين انه بات في زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لوكانت تلك الناحية من القبة تتكلم لانباتك عن احواله واذكاره ومذاكراته في تلـك الايام التي قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهـرا واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا

ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذى يتبعه السلويون الابرار كل من الم بهم وكل اناء بالذى فيه ينضح ؛ ولاينبئك مثل خبير •

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه

استاثر الله بالشيخ سيدى سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفرة فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تـحـت رئاسة سيـدى الحـاج الحسن التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعدر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فارسلوا الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم ايضا ذلـك النـهـار الى تاموديزت فالتقوا هناك ـ كما حكى لى كمن اخبره من حضر ـ بفرح عظيم وبشر آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدى سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعدر حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم وسط ساحة زاويته •

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

فاذن سيدى سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفه ؛ وكانوا الجماء الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين راوا ان يعينوا فيما بينهم من يقتدون به ؛ ويجمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعله في القرى ؛ اجالوا القداح في ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدى الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لاوالله ماانا لها باهل ؛ فكما انه لايحق لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله فكذلك لايحق لي ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم التفت الى الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدى الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولايعدو لهذا الامر ؛ ولامعنى في كثر القال والقيل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتي وليهما وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا في سياحات في انواع متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرني من رآه في تلك السياحة والطائفة [illegible] في طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متحادثين في العاديات ؛ وهو منشد [illegible] يمشي مطرق الراس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وعيطبوره ؛ فلم يخرج [illegible] الدور ايضا ما كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات [illegible] ؛

[illegible] اهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذى خرج فيه صباحا الى المصلى وخرجت جنازة والده العشية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد عرفوا انه توجه الى الغرب ـ وذلك مايطلق على ماوراء مراكش في تلك البلاد ـ فايسوا منه ؛ ففي يوم كان احد اخوته يحرث عند (تيزراايفسولوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلق اخوه زوج الحرث والقبل ركضا يثب وثبات المستعجل النشيط المرح الذى ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الـدار البشارة البشارة الحي على جاء ؛ فطارت امه ؛ فاول ماقالت لابنها اجر الى الغنم ائتنا بكبش

تملك الوالدة من ولدها على تقبيلا وعناقاوضما وطالما امعنت النظر في وجهه ولوكان لايزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شب عمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح •

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعدها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ والذين بعده الى ان كان ماسنذكره

لطمة تردة إلى أهله بالكلية

قرات معى ايها القارىء حالة صاحب الترجمة فى هذا الدور الذى بقى فيه بين الفقراء بعدموت شيخه ؛ كمارايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل مارايته انه ممن يوثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية : الخمول كله نعمة والظهوركله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لايبغون به بديلا ؛ ولكنه نفض اليد من ذلك وقنع با نيكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انهيحكى عن نفسه انه منذ توفى شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشادالعباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذى لايومن مكره وقدحكى عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو فى قرية اينشادن قائلا يقول له : (زد هان اردن ران ادتزايادن) (اى زد امامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رءاه كماقال عيانا فى مسجد قريته فى ثانى الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويابى الظهور كل الاباء ؛ وقال انذلك كان على اذاك كنقل الجبل ؛ فيقنع ان يؤدى تلك الوظيفة من ارشاد عبادالله تحت يدى سيدى الحاج الحسن فكانفى تلك السنوات يبذل جهده فى الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ماكان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيا اسبابه .

فى لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كايتلينغ افولوسن افياسن امان) معناه (انما يكون فى الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التى تضم فى صفوفها من يفسد عليها رايها ؛ فانها لايلبث رايه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينهماوقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعةمنيشذ عنهاوعن مبادئها وان تزيا بزيها

جلس اصحاب سيدى الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفى يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب فى ناحية المترجم فى اخرى فتجاذبوا المسالة بادب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعدانى المجاطى حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدد تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ماكان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث فى ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له : فى كل مرة يامدعى

تلج فى المذاكرة وتابى ان تطاطىء الراس لمساويك ؛ ويابى لك امثالك الا ان تواجههم الجدال كانك لاتعرف مقامك ولاتنتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس اللاطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا ؛ وماقاله الفقير ابراهيم بن الحسن الايعدانى من ان صاحبه لايسلم فى المذاكرات اخذهمقلوبامما يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدى الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدى الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الايعدانى فكان هذا وامثاله يريدون ان لايروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كان ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد فى نطاق الاجماع الذى وقع على اتخاذسيدى الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ وحول العقول امثال الايعدانى موجودون فى كل طائفة

اثر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم مما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالديناميت الذى يفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط ما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى من الايعدانى الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ ثم يكون لذلك اثر جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباج اديب الرباط اذ قال

يبقى الرجال من الرجا	ل اذا تنافرت القلوب

اذا كان هذا فى مطلق الجماعات التى تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بالفقراء الصوفية التى لايضمها غير العاطفة والشعور

[illegible] مركزه ببلدته

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن فى ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدى الحاج الحسن التاموديزتى وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على تزلوا بقرية ابن سليمان ؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى ؛ وفى اليوم الثانى اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا فى ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففى وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج فى المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه ؛ وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على مالابد منه من الاشغال فثارت الوالدة فى وجهه ؛ وقالت له والله ماانت بمغادرنا ؛ ولابتارك لقرية اهلك وموطن آبائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزوج ابنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فاستعانت به فى محاولة استئصال تلك الجذورمن صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت اأكون امه ارى منه قرة عينى وفلذةكبدى وابنى على مستقبله من الامانى ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجتنت منه الثماريتقلب على عقبيه الى حيث لااراه ولايرانى ؛ لا والله لايكون الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا على فالح عليه انلايفارق الخ ؛ وقال له فيما قال : فاذاذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ ابقى هنا فى غربة وحدى ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا مالميكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدرالعلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا على بانه خاوى الوفاض ليس عنده مايعتمد عليه فى هذه البلدة الشديدة الوطأة فى الحياة؛ قال واماقى المعدر فهناك من ساتزوج من عنده ؛ فاجعله بادىءبدء معتمدى ثم هى بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لايحتاج فيها الى مايحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ماتتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتاخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لاخينا بد من ان يسلس لماطلب منه وقد راى الامور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية

فى بعض الرسائل للمترجم انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولابد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزالت تلك الصعوبة عن قلبى ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحى وكان ذلك فى وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفى نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الانفى اخر العام ١٣٠١هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى انجاء فى رمضان ١٣٠٢هـ كماترى

قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لاتكون الا فى الغ ؛ فلنبدا منذ الآن فى تاسيس الزاوية ؛ ففى اول شوال اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لايليق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامراة تسمى تابوريشت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ثم ابتدأ البناء فى اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول مابنى اذاك بناء ساذجا على الكيفية التى تمشى عليها المترجم فى جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذ ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالغى :

بيت اتيح الخير من وجهاته ... فاتيح ما ينكا الحسود القالى
مثوى السعادة والسيادة والتقى ... ومزار كل مهذب مفضال
سلم الله العرش اركانا لـه ... بنيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما ... يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بدا من ديننا ... وانضح به ربنا بثوب الحال

والمترجم فى اول رسالة له المام بما وقع له فى هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذى يتكرم على عباده ويتفضل ويولى من يشاء من عباده بفضله ولايسال عما يفعل ؛ الذى معرفته هو اقرب لعباده من حبل وريدهم فلذلك نجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لانى موجود معك واينما القلوب الت وهذا المقام لايفهمه الا من وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا فى غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى فى الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلى وجدناه كماقال جاء الحق وزهق الباطل فسرنا والحمد لله فى الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما فى الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبل فجر اليوم الثانى لعيد الاضحى عام ١٣٠١هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا فى ذكر الله فقال لى اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتى لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد فى عشية ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسى ؛ ولااقدر ان اتظاهر [illegible] اصلا عن ان اربيه ؛ وقدكان شيخنا سيدى سعيد المعدرى ارسلنى الى [illegible] مع فقير ؛ فقال لى اعطيناك الاذن فى الطريقة عام ١٢٩٩هـ فقلت له ياسيدى نفسى لاتريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لى بهم فقال لى هذا [illegible] وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسى ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لى بالعجمية (زدهان اردن ران ادتزايادن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لانى مستغرق فى حضرته ولكن قلبى لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوى ؛ فاجتمعت همتى لذلك من غير ارادة منى لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يكون المأذون فيه رغما على انف المأذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاى العربى ببركة الاذن جاءنا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالى والشاذلى ومولاى عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ماذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء ادرى بنفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

١) اى زد امامك فان القمح سيزداد

قرات الاسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنابعد ذلك مانقول ؛ الا انالفقهاء يقولون ان من راى من نفسه اهلية للقضاء اوالامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وانيقبل وظيفته ولابد ان عرضت عليه وانيطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجبعليه انينال ذلك ولوبدارهم ؛ هذا مانعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ومكارم الاخلاق للناس حين يتتبع القرى يستقريها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انهامضى فيذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لايعرف مللا ولا سئامـــة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لابد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هووراء ذلك كله قد ايدبالتوفــيق وعاين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم بهمن معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلكونحن لابد عارفوهمما سياتي من باقي ماننتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها مايــبرر تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ علىحين انكثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا اننجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لايمكن انيحملوا عـــلى اقرانهم هؤلاء ماوجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العامللعامة جعله الغزالي فرض عين علىكل ذيعلم ؛ وذاك نفسه هــو غالب مايشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادي عشر من ذي الحجةعام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كا ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافي والقوادم ثم تتابع آخرون فيالسنة نفسها فكانكل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك في بابه الصوفي الكبير سيدي الحسين بن مبارك المجاطي مــن

(الاصفريني) كان عابدا كبير المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عنا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصري فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم فشكوت ذلك لسيدي المدني فقال انني لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما القن للناس مابايدينا تبركا ؛ ثم قال شارطت في مسجد من مساجد دوكادير اقرا بالتسبيع فلقني ؛ ففي الحين وجدتني منقطعا الى الله ؛ وقلبي قد جليته الطمانينة فاستجاب الله دعائي في الحين ؛ هكذا يلتقي الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماسار بمعالم طوال الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢هـ ثم اتبعها بتاسيس زاويته ؛ وهو الآن اذ رفع عقيرته بالمناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تزري به ماكانوا الفوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشي وئيدا في مرقعته لايشغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهوذا يلقي اليهم بوجه آخر واول مافعله تاسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد بها ظاهرا ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه قبل ؛ صلوه الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذي يجهل العلوم وفضلها من المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة في الغ وقد كانت انباؤها احدثت ماحدثت حين اعتنقها وحسبك ذلك ؛ ثم القى عنه هياته الجميلة . فجال في مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعمامة ... مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين لزل ... امرائهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؟ ويعلن انه شيخ يستصدر لتربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالتربية ؟ كل ذلك عجيب عند اهل القرية كمايعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينفض من خموله المتراكم فجاة ؛ ومن اطراقه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الراس وهانحن اولاء لنتنازل فنشارك هذا البعض من القراء في عجبهم ونظهر بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق في دعواه هذه فيمــا سياتي من سيرته التي سنتتبعها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم في هـــذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم في بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا مانسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ماقاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ماقاموا الا لنفع العباد ؛ ولتهذيب النفوس ولكنهم لايلبثون بعدان يتجمعوا الشهرة والاقبال ان يلمسوا العباد ويغرقوا في شهواتهم الى الاذان ؛ فلسان كل انسان لايعطيه بدرء كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال الضخام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند المصات تظهر التركات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل والعود اعوج ؛ ولبعض الالغيين :

خيل السباق تتساوى فى ابتدا	ولايرى السابق الا فى المدى
كذلك الرجال كـل يزعم	لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

فى تلك الجلسة التى انعقدت فى دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد الله ومن ام المترجم فى عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر ايضا ان تنظر له سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لايعقل الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولا بنت للحاج ابراهيم الايغشانسى فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد ثم ذكرت بنت(حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها ممن عادته ان يتجول فى البلدان ؛ ويتكفف فى الاسواق ويمشى فى مرقعة ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداويين يصرخون بالاذكار فى كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذى يعرف به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛فالاقرب منه ان يجر ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذاتقول حوكا وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا فى الخطبة ؛ وهو الفقير مسـعود بيليوش التيبيوتى بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تفلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل بالمراة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد من اعمام المترجم شاهدى عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما فى عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ماجهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور ويوجد نص ذلك فى الجزء الثالث من كتاب (من افواه الرجال) وكان الزفاف الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا فى هذه السنة عند المترجم وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتذاكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثنى العم الاستاذ ابن عبد الله انه جاء فى عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده مع اصحابه فى ذلك البيت فى ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له اوكنتم فى ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذى يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج به من الزيت لقنديل فارسل فى الحين الى الفقراء اناء من زيت يسرجون به

أثر الحياة الجديدة

سايرنا حياة المترجم من عهده فى الكتاب فالمدارس فمنقطعه الى المصدر فسياحته ؛ فجلنا معه وهو فى مرقعته مجردا عن كل شاغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه فى هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتعدد للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذى كان خيم عليه فى كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا فنراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدر لزعيمة الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لابد له من حالة تعلن بلسان حالها ؛ انه غير محتاج الى ما فى ايديهم ؛ ولامتشوف الى مافى جيوبهم والا كان ذلك كحبالة من حبالات القناص تنفر الناس بادى بدء اكثر مما تهديهم وتقود ازمتهم ونحن نعلم من حال النبى صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هيأة مستحسنة فى قومه ؛ لاتقتحمه عيونهم العيون ؛ ولاتشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم فى حياته الجديدة ؟ واية هيأة سيسير بها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب فى العادة قبل هذا الطور وماكانت بالاريب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له فى حادثة قبل ان يلبس بحالة الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ فى هيأة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب فى عليائه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزى والد امغار بلقاسم الآن الازويسى اليوم كان معنا فى تلك السفرة سيدى على بن احمد وهو فى مرقعته وسبحته وعكازته يملأ الجواء بهيللته لايفتر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه هيأة التى كانت تلائم ذلك الطور فى حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذى يقتضى تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لاتنفيرهم بمجرد الرؤية ولاتستعبد قلوب وعقول كثير من الناس الا مماتتاثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذى يعرض عن كل احد لايبالى الا عن خويصة نفسه ؛ فانه لايبالى بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ فلا تلائمه مرقعته التى تخف بها مئونة الاهتمام باللباس فى كل وقت ؛ من تجديد وغسل وتبدل وذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكون مثله مثل الناس فـى العادات المالوفة التى لاباس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليمكن التاثير المطلوب .

هنا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع المعهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلايترك مجمعا فى القرية ولاقى

جيرانها الا الم به مؤانسا اولا لنواعظا مرشدا ثانيا ؛ وكان مع ذلك للمايفارق الاستاذ محمد بن عبد الله فى المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده لكل من آنس منه قبولا ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء فى جماعته ليمكن ان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخا ؛ حتى تسرب ذلك الى العوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده فى تلك الناحية متى اطلق فلايسمى الابه عنداصحابه وعند غيرهم؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيأته التجريدية التى ما كان زجه فيها الا انضواؤه تحت لواء شيخه المربى ؛ والصوفية لايشترطون تلك الحالة الا لبعض من لايزالون تحت نظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلاباس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم فى الرائية الشريشية وامثالها من الكتب التى تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية ؛ فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لايحصل الا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديدا وسموه به فلاينادى ولايذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل فى غمار الناس فننعته منذ الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريبا فى كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسيح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى قد بذر بذور طريقته فى قبائل كثيرة فى سوس فى انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فاقا من مسارحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيرا للعهود واستنهاضا للهمم ؛ فلهذا ذهب راجلا فى صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة اقا ؛ فبقى هناك الى ان امضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجالات لاتطمئن نفوسهم كثيرا لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه فى المبدا اعظم بهجة وسرورا مما يستهوى كثيرين فى مثل موقفه ذلك ؛ من المراشقة والمغازلة فى مخادع الغوانى ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء فهيهات ان تبقى منه لفتة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يؤدى من الحقوق ماينال به الخيرية التى اوما اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولاباس ان نلقى فى اذن بعض

المتغربين المترفين ان التعبيد هكذا اثر عرس حدث فى ماشاء من الاهل ؛ ليس مما يستنكره فى عادات اهالينا ؛ والبر بالاهل انما يطلب من الرجل بحسب بيئته التى يعيش فيها ؛ وماكان مقبولا متسامحا فيه فلاتبعة على من اعتنق فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعبيد الشيخ اول عيد ثانيا عن امرأته الجديدة لاباس به عندنا فى البيئة الالغية التى لم تعهد شهور العسل

مراجع التدريس

كثيرا مانرى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المخيمين المنيبين ما لم يذوقوه مابين الطلبة المماريح المفاريح المفاكيه ؛ ووجدوا مابين ايديهم والقاء مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون فى متون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مماعبر عنه بعضهم اذ قال ؛ «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لايجدون بعد ذلك من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التى يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كمايقتحم الرغم الخائف ارضا شائكة ؛ والحق يقول من يقول ؛ «ان التصوف اذا سبق تمكنه فى فكر الانسان يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة «كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجئ منه شئ» ويرحم الله ابا اسحاق البلفيقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء يذكر الله الحمراء بكل خير اذ قال ؛ «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها ثم بعد ذلك يذيقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا مايقال فى الصوفية والعلماء ؛ لايزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف لم ينشب بعد بكل هذه الشوائب التى اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى ضده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لماينسف اربابها هذا الاسفاف المخزى حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والمنجهية والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم الى الوادى فالتقيا على القرى واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصال حتى القرعى (١) فذهب رواء التصوف والعلم معا ؛ فاختلفت النيات فضرب بين الطائفتين بسور من بعده حتى لااتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟ اولا تكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ماهم فيه ؟ فيكفر بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا فى صوفية المتاخرين وفقهائهم فقد يشذ بعض افراد من الفريقين فيعلم كل واحد ماللاخر من مكانة لاتنكر ؛ والشيخ من هذه الفئة القليلة من الصوفية التى وان تبحبحت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة لم تنقض يدها كل النقض من العلم واهله فقد رايته تصدر فى مدرستى تيكوكين وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذه شعارا وجعل مبدأه دثارا

(١) اطم على الشئ : غمره والقرى كغنى : جدول الماء اصطلحت ؛ حرنت والفصال جمع فصيل : صغار الابل والقرعى : التى اصابها القرع والجمل الثلاثة امثال عربية

وسترى معنا ايها القارئ اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة فى الباقى من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من الارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفهعلى الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ واناوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١)لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثل الاستاذ سيدىالعربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقيه الحسينالتاطاروستى والفقيه احمدالتازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهبذ الشهيربلقاسم الساجارمونتى والفهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالغية والفطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فبين يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيعالثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الغ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعزعليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحى تامصلوخت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فىقبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد مناهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراءى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجبا لكم نبيت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هـــو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكانالرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول انتامعشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احياؤنا قام به امواتنـــا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣هـ مدرسا ؛ فجال جـولات الافذاذ فراتمنه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨هـ فاذا هو هو لم يزده تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخذم ؛ وبعد تمام السنة سلـــم الوديعة الى ربها وألقى المقاليد الى العلامة ابى الحسن ابـن عبـد الله (انالله

(١) بضمتين : القوى

يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) فودعه الاستاذ شاكرا عمله فى تلكالسنة ثم نقل كاجرة المشارطة الى الزاوية خمسا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت اول مادخل الزاوية من الحبوب منذ اسست ! ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان

يَنهَضُ بِهِمَّةٍ عَلِيَّةٍ إلى ما هو بِصَدَدِهِ

ان الثانية من السياحات التى قام بها الشيخ بعد تلك التى ذكرناها الى اقا ؛ هى سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدى الحسين ابن مبارك الجاطى وسيدى بوهوش الدوكاديرى وامثالهما من قدماء مريديه الذين ارتشفوا منه الرشفة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن ينتسبون الى سيدى سعيد المعدرى فجال هنالك فى املن بالارشاد الخاص والعام مما كان بعض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت الا ذالاتلك القبيلة الى رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ! فيسهب فى تتبع ماشاهده الناس من قلوبهم اولاحين تاثرت بكلامه تاثراعجيبا ؛ وبما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه فى سياحته ماكان يراه من المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضونعن اهل قرية الا بمقدار املاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد بخلاف ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عنانيعرض او يصرح به بين الملا كما هى عادة المرابطين السائحين؛ وكل شغله الشاغل تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عمـــن مدها الى اى انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبث ذلك بلسان موثر ووعظ يفلقالصخور ويقرع الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجاب تلك الهيأة التى يذكر بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون بها فضلا عن انيروها؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى مايذوقونه بسببه اذ انقلبوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتذوقونه قبل اليـــوم مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا فى مدرسة فوكرض قال وممن كاناخذ عنه اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيفى والرجل الصالح سيدىالحاج الحسن من أيت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال ثم كان ذلك هو السبب الذى جذابى حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) وقد ذكرتكل ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم انهذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠١هـ فرجع الشيخ الى الغ لـــم

(١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل حم

صار لايبقى فى زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله ومايجوز ومايستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التى افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفنه كافنه ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادي مناديه ان يجتمع الناس فى المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامـر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا مايكون الرجال داخل المسجد والنساء فى فنائه ؛ ثم يطلع ـاذا كان الوقت ليلاـ الى مافوق السطح ان وافـق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليـم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛وكثيرا مايامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ماأراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب فى قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ماكانوا لايسمعونه قط من عالم ؛ ولايقوم به بين الناس عالم ؛ والعلماء فى غفلة عن هذا الواجب كانهم لايحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان فى اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والـتى تجاورها فراى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذى كانوا يسمعون به ابله فامرقعه وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومبتهلا بالدين ابتهالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ماكان كل الناس جاهليه ثم لايجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بايديهم ثم كان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بمايعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لايحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد : «حدثـــوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم فى حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همـه ويجعل على عاتقه القيام به فى المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذى يبذله فى نصحهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوا نهجه فسرعان ماتكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لاينشرحون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله فى كل من يتصدى لامر كان ماكان ؛ حين لابد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لاتخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

فتسحب الناس الاذيال الفلوذينا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى فى الحب غيركم وصادق ليس يدرى اله صدقا

سياحات اخرى كبيرة

فى منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينيفون على الاربعين ؛ مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية ؛ فيقلبه ماشاء وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمه ؟ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانـه اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ فى ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد كان ساح اليهاقيل هذه المرة فتكون له فيها يتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه المسمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما هاءالله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راى فى منامه رؤيا بان سميدا سيقصده فسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلـة فلم يكد يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ فى ذهنه ان هـذا تعبير رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ فى ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فراى الراءون انه مـن طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه فغرق فى الحسن الى اذنيه فى اكبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هـذه الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكـونـوا للزاوية خداما ؛ ينذرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاويـة الشيخ سيدى محمد بن يعقوب التاتلتى ؛ فعزف عن ذلك على عادته فى مثل ذلك مما تلهم به قسلب البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على مابين جنبيه .

فلا ترج الود ممن يـرى انك محتـــاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى "محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هى التى كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نـحـن والمريدون فى قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر بهذا البرا ؛ فقام فى الناس بالارشاد والتعليم والنهى والامر ؛ والتبشير والانذار وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه؛ اوسمع من مواعظه وانه مادخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه وعن دينه ومن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟ كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لايمل ولايضجر والاعجب من وراء ذلك كله انه لايقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث الركبان ؛ فشغلت بطرائفها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفه ؛ ولم يزحف اليهم بعد باسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لابد منه ؛ كزيارة تقدمها كل قرية الى السيد الناصرى ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ماهم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتمود كل قرية نزل بها موسما حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريبي فمن دونه ؛ والناس اتباع رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبنى نور وجهه وملكت مشاعرى انوار تتالق من اسرته على حسب تعبيره فنفضت يدى من تلك الساعة من كل ماعندى فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالى ودارى وكنت بعد عزبا فانسانى ما رايت كل ماكنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى الدار ؛ بل بقيت فى سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد على بعض الناس مالاقدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه ان شاء الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك الجهه مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالنى الذى كان له شان عظيم بعد هذا الحين فى قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادى حتى حللنا بزاوية سيدى الحسن التيملى بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعدر قال ومما سمعته من الشيخ فى تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معممن كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض ذهبا ؛ ولاقصد عندنا فى كل هذه الجولات الان نصادف من يتعالى الى معرفة ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هى مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا وفيها نمضى حياتنا (وقد ذكرت ماحدثنى به هذا الحاكى فى جزء خاص من كتاب (من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى ايفران فاداى فايمى اوكادير وقد صادف قبولا عظيما فى فايمى اوكادير كان هو السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى الآن ؛ وقد وقعت له فى هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها لانها مكتوبة بتفاصيلها فى كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا فى اول عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فاداوتانان وقد مر على مشهد ابى السحاب فاخذ عنه اذ ذاك سيدى على التنانى المقرىء المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه سيدى سعيد التنانى الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل ذلك فى ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه فى القبائل التى كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالغيين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطئهم عقبه وهم كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحود ببرله غيرملتفت لما فى صرته .

ان الاسود اسود الغاب همتها · يوم الكريهة فى المسلوب لاالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السويرية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥هـ ورجوعه فى اوائل رجب او فى اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الغ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفى كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالغيين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانيهم من فقهاء كتاب الرقى والتمائم؛ وانه من صنف آخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكتاف السماء تساميا · فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدى فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك فى سياحته السويرية التى رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه فى ذلك مراء ليوية ولكن كيف يحج ؟ وليس فى يده مال ؛ وهل يطير البازى بغير جناح ؟ او يخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرفاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حسب الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكانه سمع بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشىء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلااحب انا الا ان تسلفنى مااتوقف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ وراى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيىء من يومه ؛ وقد نهضت همم آخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوفق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت فى مبيضتها واخذت منها نسخة وهى على ماهى عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها وغيرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا او بيتين او

اكثر لاتمام معنى ماذكر؛ اوبحث لعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الفية حسنة مفيدة؛ وهي تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب ؛ فيصف كل ماراه وصفا تاما ؛ فلنذكر منها بحسب منازله ماتيسر ملاحظين للاختصار ؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا ... ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين فى الشتا ... والصيف رحلة بها المن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان ... بخير خلق الله والقرءان
وارسل الرسول بالبشارة ... مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة :

فى عام «شسه» (١)وبيوم اثنين ... يـز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى ... والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفى القلوب حرقة الفراق ... وانما يسلى رجا التلاقى
ان الفراق قطعة العذاب ... بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشييع ... كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائر والولهان ... ومسبل الجمان والسكران
لكننى ودعتهم لله ... فليس عن ودائعى بساهى
ورجعوا والدمع فى المحاجر ... كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه ... اخو العلا السميدع النبيه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبدالله الالغى الذى هو المقصود هنا ؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايفشانى ؛ وستراه بحول اللهفى ترجمته ايضا ؛ ثم ماذكرفيه الاستاذاحمد الزيمامى ؛ وستراه فى ترجمته ايضا ؛ ثمقال وقد نزلفى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشييعا ... لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم ... بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الركب بنا سيرا الى ... زاوية الشيخ طفاوة العلا

١) ١٣٠٥
٢) ١٧

سيد احمد بن موسى قاصدين ... اخص احباب لديه لازلين
من اليات اخلاقه ووصفه ... وعلمه وعقله ولطفه
باله المحفوف بالعناية ... واله الموسوم بالولاية
ذو نسك وورع وزهد ... وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد ... والشبل فى المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالح ... ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل ... نزله فنبل خير نائل
قل ما اشتهته نفس النازل ... تناله اليد بلا مناول
وفى الصباح كنت فى صباح ... فى ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال ... والحب فى الله دوام الاتصال
وارسلت امه خاتما السنى ... لكى يزاد قبر سيد قمى
وبعد ما اوصلته لقبته ... ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا فى اساكا عند الابلاغيين

ثم حللنا اسكا فرحبوا ... بنا وفى ثانى المبيت رغبوا
فشكرت السنتنا احسانهم ... بطلب اصغوا له «اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا ... نيران فتنة بكم تنطفىء
فقبلوا ثم وفوا فغدروا ... فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل فى المعدر مسكن شيخه سيدى سعيد

ثم الى منبع عين سرنا ... وجنة تلالات فى دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة ... وزهرة الدنيا بهذى الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد ... شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس فى احوال شيخه ؛ وسترى ماذكره فيه حين تقرا ترجمة شيخه هذا فى (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان عند ... ماوقع له يوم ملاقاة شيخه ثم قال بعد ما اطال

الى المنزل الذى فيه الكلام ... من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا ... فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه فى سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد المريدين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ   حصل بالوداع مثل النفخ
منه لماسة بحصن السافلة   نزل ركبنا بحصن الوالية
ماسة موضع الكمال طـــــرا   منبع اهل الله حقا جهرا
من كان من اهل القلوب يدرى   ما قاله من كان حلف خبـــر
رايت مرة بها اذ سحنـــــــا   سرا من الاسرار منه بحنا
وتلك لى الاولى بذاك حنا   قلبى لها وحبها قد سنـــــــا
فكم بها من جملة الاحباب   كلهم ذوو صفا الالبــاب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انثنى الفقيه سيدى عـلى   كذا ابـو سالم الـحـب العلى
قد حصل الفراق والجمان   ينتشر اذ توادع الاخوان
فرجعوا مع البزمامـى احـمـد   خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله فى المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحالنا الى المـزار   لدى احبة عزيزى الجارى
جيران وادى سوس اهل الخير   اهل المحبة لنا والغـيـر
ثم حللنا دار سيدى الحسيـن   مقدم لديهم بكل زين
وكلهم لم يدر ماذا يـفـعـل ؟   عند نزولنا وما ذا يعـمـل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا   فزال ما بنا لديهم مـن عـنـا
واكرموا ثلاثـة الايـــام   غاية مايكون من اكرام
وعندهم رايت فـى الـمـنـام   بشرى رايت ملك الاسلام
سلطاننا سيدنا المولى العلى   ابا على نجل سيدى علـــى
فى غاية الفرح فى منزلـــــه   مرحبا بنا بوسط اهله
فقال مذ خرجتم فرحــــــت   وكل ما اشتهيتم ابحت
وقام فى خدمتنا بنفســـــه   مفضلا بقلبه وحــــه
فـاولت بملك الـمـلـوك   لحبه سلوك ذا السلـوك
ومن هنا رجع عنى الشبقيـق   الصنو ابراهيـم افضل رفيق
وهو باهل الله ذو اعتناء   ولطريق القوم ذو اقـتـفـاء
ومعه بعض من الاخوان   فرجع الكل الى البلـــــدان
فرجعوا بمركب الـبـغـال   كانت لنا حاملة الاثـقـال
ثم الى السويرة الـكـراء   حمارة وناقـة حـمـراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس   تبا له من معبر ذى بوس
اياك ان يسل فلا تعبر بــــه   كيلا تكون راسبا فى قلبـــه
ولم يكن يهلك فى الوديـــان   الا المجربون بالـطـغـيـان

ثلاثة عـنـا منهم امان   البحر والسلطان والزمـــان
ومعنا فى قطعة احباب   لولا هم تـقـطـعـت اسباب
الا على الغفلة ومن تقطـــف   وكل من ممن اليها يعطـف
والصنو عبد الله كان راكبا   فرس بعضهم فكان بالـسـبـا
لانه وبسمة من قـــــرا   قد ازمعوا ان يقصدوا امالقرى
فتعب الكل بهذا القطـيـع   وبعضهم اشفى به للنــــزع
وفصل واد ليس فصل النحـــو   ان كنت ذا عقل وحلف صحو
يعمل فـى معموله بسيلــــه   الخفض فالنصب برفع رجليــه
وكل ذى عقل وخلن حـــزم   فلا يطالب قطعه بعوم
فليقطع البر لراس الوادى   محاذى الضفاف فـى البوادى
فهو يرى جميع ماكان يشـــا   من فجره الى حنادس العشا
من ملبس ومفرش ومشرب   وماكل وكل خير يجتبـــى
لان ما فى ذاك من عمارة   اضفت على السكان حسن الشارة
ومن رذالة لفوق سيرى   كل الامانى لديه فى القـــرى
الا الامان انه مكفـون   بسبعة لـديـهم مدفـون (١)
ولا يجوز نبشه من قبـــــر   معروفهم هو عظيم النكـر
ولم يخلف وارثا فاشتغلــــوا   بنقض عهد الله فيما عملوا
هواهم اهوى بهم فـى المهوى   اسرع بهلك من اليهم اهـوى
والحكم للغالب لا للنادر   بلادهم تعمر بالـبـنـادر
اما الصلاة فمن الـرجـال   قليلة فكيف بالـعـيـال
واديهم يذهب بالابـدان   وجهلهم يذهب بالاديـان
فارتكب الاخف من ضريــن   والويل اهون من الويليـن
وبعد قطعنا شكرنا شكرا   فى حصن منكب وصلنا الظهرا
وكلنا زار ضريـح سيدى   ابـى القنادل بشوق الزهد

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اوزير ثم فى ايتامر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم خيار الصالحين ؛ ثم فى تمنار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال   حاجة وهو مـن ذوى الافضال
مرامنا البيع لبغلة لنـعـــا   هل بنقده نلم شملنـــا
ومثلها يحبها الـعـمـال   وعندهم قـد توجد الامـوال
قبل طلوع الشمس قد طلعـنا   لكن من الدخول قد مـنـعـنا

(١) ضمن هناك التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فـى مواراة الميت وتغييبه عن الانظار

وشددت حجابه علينا   وسددوا رماحهم الينا
فابوا التقريب والترحيبا   وءاثروا الاقصاء والتانيبا
طال بنا الوقوف ثم ملنا   الى الجدار ثمت احتللنا
نقبل كل ذاك بالافراح   من ربنا الفاعل بانشراح
وكان عنده الكثير الفقها   عرفني من بعضهم ذوو النهى
لم يدر ما يفعل وهو ضيف   رجاء شيء من لدنه حيف
نحن ذوو زاد وهذا الصيف   نبيت حيث لايكن سقف
لموضع في خارج قد ملنا   مع جميع الفقها ؛ وقلنا
شيئا من الوعظ لهم فاذنا   اذ ان مغرب فقالوا امنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل   من حيلة يجني بها المؤمل
لكي نبيت احسن البيات   مع جميع الفقها السادات
فقيل لي سلم عليه حينما   يريد ان يدخل كيما يعلما
لانه من خارج بمعزل   عنا لدى الصلاة قرب المنزل
فقام للدخول بعد المغرب   والناس منه في هوى ومرهب
وليس يجترى عليه احد   كانما يخطر منه اسد
حاجبه يقوم ليس يجلس   يلازم العبوس ليس ينبس
يرعى له بطرفه الخواطر   وكيف ان اشار بالظواهر
وكل من كان بتلك الحضرة   قلبه انتشى بتلك الخمرة
فجل ءادابهم الظواهر   وفي بواطنهم المناكر
فقمت امشي فتلاقيت معه   مسلما فلم يرد ان يسمعه
فدخل الدار بغير رد   سلام من سلم ؛ بل بالصد
فدخل الكل ونحن كنا   تحت الجدار وبه انسنا
الى ورا العشا وقد نعسنا   تحت الجدار ما راينا الكنا
جاء الينا حاجب محجوبه   وافق حقا اسمه محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما   ترى وسبحان الذى قد قسما
فقال قم فسيدي يدعوكا   لاكان من ياسيدي يجفوكا
وذاك انه جرى في النادي   وهم يجولون بكل واد
ان قال بعض الفقهاء ها هنا   فلان من فضله الهنا
بالعلم والصلاح والخيرات   ووعظه يطير بالمهجات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم   ونفخوا وهما بغير ضرم
فحسن الوصف باذن العامل   فاشتاق ا ن ينال خير نائل
فقال للحاجب قم فات به   لتستفيد من سنا مطلبه
فقمت في الحين بقصد الوعظ   له بحالي اولا واللفظ
وجدتهم في قبة مصنوعة   بزينة وفرش مرفوعة
واذ رءاني زال عن منصته   يشير بالجلوس في اريكته

مرحبا بقلبه وقالبه   وقال كل مرحبا اذ قال به
فهو كالقلب وهم كالجسد   مبتدرون ان اشار باليد
فقلت اذ رايته قد اقبلا   وكان للنصح له مستقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان   رايت نفسك بنصحنا فحسن
فقال لي اهلا بنصح الله   جازاك عن نصحك لي الهي
فقلت للحاضر من رعيته   ومن يناديه من اهل طاعته
هل انتم تامرون طرا   نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
فقال كلهم ا انحن نهمل   منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
فقلت ان امر بالخمس لكم   اتتركون في الوقوت شغلكم ؟
فابتدروا بقولهم لوامرا   بالعشر اديت بوقت اسرا
فقلت للقائد هل انت ترى   من الذنوب ما عليك في الورى
فكل من ترك في حكومتك   اى صلاة فهي في رقبتك
في سائر البلدان اذ حكمتنا   عليهم جهلت او علمتنا
ضيعت دين الله في احكامكا   وهي عظيم ذاك في اسلامكا
ان الفريضة عمود الدين   كما رووا عن النبي الامين
فقد رايت من يحول داركا   تركها بله بنى جواركا
احسن كونك عاملا ولا   تجعل في الصلاة ذاك العملا ؟
بالوعظ والضرب وقتل الحد   وذاك في الدين تمام الجهد
انت خليفة الامام الاكبر   فانت بالتنكيل في ذاك حرى
فارسل الرسول للمؤذن   فجاء في الحين فورا لم يبن
فقال من لايرد الصلاة   اعلم به فلن يرى النجاة
من ضربنا وحبسنا وكل ما   يرده لها الى ان يختما
فقلت ليلي مسجدا في الداخل   تجمع فيه مع كل داخل
فقد قد وعدت بالبناء   له بذا العام بلا مراء
ففرح المجلس والاسماع   وفي الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر ؛ ثم الى دار القائد الحسن التكنافي ••• له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره في السياحة السويرية المتقدمة ••• يقول فيه :

•• هنا لاخر الحينا   في صحبة صحت ولن تبينا
•••• غاية ما ترحيب   ومفضلا بنعم وطيب
•••• شنشنته للكل   عادة اهل المجد اهل الفضل
•• قائد التكنافة   فالبشر منه الخلق واللطافة
••• حسنة وطبع   لانت به اصوله والفرع
•• كلنا قبل ذا بشهر رحنا   لديه بالاخوان حين سحنا

فكان ان وصيت عن بنـــاء ... مسجده في الدار باعتناء
فالآن قد وجدتـــه مكمـــلا ... فكان ان صليت فليه اولا (١)
في اليوم الاول لنا بـــرمضان ... وهو كما رووه افضل زمـــان
فكان دائمـــا به يصـــل ... هو ومن معه وكل الاهـــل
وهكذا فلتكن العمـــال ... اولا فهم على الورى وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدي عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعدري وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السويرة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسويرة ... ونحن في الصوم وفي الهجيرة
نزولنا فيها لدى اجلـــة ... احبـــة اعـــزة اهلـــة
رباطهم احسن به مكانا ... تملاه الأكارهم الوانـــا
ينسى بحسنه لك الاوطانـــا ... ان كنت ناجيت به الرحمانـــا
مع الذين فيه من كرام ... يجنون ما يراد من مرام
وكان قطب جمعهم للـــه ... من فكره دوما على انتباه
خديم اهل الله حيث كانوا ... محب اهل الخير حيث بانوا
سواد عين مقلة الاحباب ... ومنه نور مهج الالبـــاب
اخلاقه علت به ذرى العـــلا ... ووليت منه المكارم ولا
الفى به عند اللقاء الفرح ... حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
يتابع الانعام والمئونـــة ... مدتنا هناك والمعونـــة
واهل داره عـــلى الدوام ... بـــزادنا اشتغلن مذ ايام
اعني اخا الكمال سيدي عمر ... امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
وهو الموقت على السويـــرة ... الطيب السمعة والسريـــرة

ثم اطال الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيه هناك يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة ... لدى السويرة بطيب عشرة
ولم نزل مدتنا المختـــارة ... منتظري سفينة التجـــارة
تاتي لقصد سعة المعبرة ... في الدين والدنيا بـــلا معرة
لان ما يركبها الحجاج ... تضيق حتى يكثـــر اللجاج
ثم اتت فسار سيد الـــى ... وكيلها مرغبا ان يقبـــلا
فقال لي وكيلها النصرانـــي ... تركبها انت بلا اثمـــان
غيرك بالخمسة من ريـــال ... لطنجة وذا بـــلا مقال

---

١) كذلك بني المسجد فـي دار القائد المحجوب المتقـدم في الحيـن ؛ فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابـــي ... تقسم ماترك كالاحبـــاب
فرجعت بلدا الى اربعـــة ... مع سدس لواحد في العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله ... لله بل الهنا قد عملـــه

ثم استطرد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لايصدر الا مـن مـوحـد عرف الله ؛ وجال في ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

ولبني سوس من المغاربـــة ... جد علوا في الدين منه غاربـه
واهل (ولتيت) عليه جبـــلوا ... من ضمهم سهلهم والجبـــل
فاقوا بذلكم اهـــل سوس ... طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
فاقوا برغبة لدى التديـــن ... والزهد في الاكثار والتزيـــن
وبحياء في النساء لايزول ... ورثه فروعهم عن الاصول
وعفة ورافة ونيـــة ... وهمة كهمـــة الصوفيـــة
وقلة مـــن الحطام الفانـــي ... وكثرة الخوف من الديـــان
فهذه الخصال قد فازت بهـــا ... (ولتيتة) فـي كـل ءال شعبها
ثم بهم يمتد ظل الديـــن ... في كل ما يلي من القطين
جميع من يحوزهم قد وصفوا ... بوصفهم وبهم قد شرفـــوا
يقـــر جيـــرانهم بـــذاكـــا ... اذ ادركوا من يمنهم ادراكـــا
وذاك ظاهر وقد تبينـــا ... والصبح لايحتاج ان يبينـــا
ذاك ومن كانوا جـــوار سوس ... افضل في الاركان والاسوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كـــذاك ... جيرانهم ايضا فحقق ما هنـــاك
جيران اهل سوس في الحدود ... فاقوا جميع الغرب بالشهود
فـجـل تر الاسواق والمداشرا ... فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
من كان في مخدع امه جهـــل ... كل الذي بدارها لم يتصـــل
وذاك جهل منكـــر خصوصا ... انكان عن ذي قدوة منصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى ضـم ... في الدين بين غيرهم تقدمـــوا
جميع اهل الشرق امـــا فيسا ... بهم يقال بيس بيس بيســـا
فبدونا اعرف بالاديـــان ... من بدوهم للحفظ للقرءان
وذاك كله شهير يـــذكر ... في كل مجلس تراه يوثر
وقد رايت ذلكم عيانـــا ... ثم اختبرت امره ازمانا
وذاك كله بنسبة القـــرى ... في الشرق والمغرب من غير افترا
اما المدائن فقد كفى الورى ... في المدن امثل وبعض في القرى١

---

١) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون :

ثمت ودعنا هناك الصحيبا ... للهم مستصحبين الربـا
وكل من نلقاه في السبيل ... يزود منا زائري الرسول
تبركا بالنية المستصحبة ... والكل قد اعلى بشوق منجبه
والدين مهما خالط القلوبا ... فجر من شعابها السيوبا
وكل قلب لايلين بالوداع ... حتى يهم في الضلوع بانصداع
فليس بالممكن بعد ان يلين ... بل هوكالصفحة في الطودالرصين
حد التبرك بنا ومثل ما ... ذكرته من الغليل والظما
ومن تشوق ومن عويل ... عند مرور زائري الرسول
سيف السويرة فمن هناكا ... غادرت ذاك الصيد والشباكا
ثم اتى دور المحاسبات ... وقول هاك في العطا وهات
وليس بعد لك من مصحوب ... الا الذى خبأت في الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامع ... منك اذا ساهلت او منازع
فانت من يزود بالدراهم ... لكى ترى خير فتى مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة في هذا السبيل خصوصا في سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم في الطريق وفي الحجاز متصل لم ينقطع ؛ فلابد من مد اليد بما امكن

وليس في جميعها انيس ... الا دراهم حواها الكيس
لكنما الانفاق بالاجمال ... للسفر من محاسن الاحوال
لانه يجعلهم في الراحة ... وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا في ضحاء الجمعة ... سفينة طويلة موسعة
فقلت باسم ربنا مجراهـا ... في بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهي اول مرة رءاها في عمره

وحيث اجريت العيون حولها ... ولوجهها وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية ... وحركات سيرها الخفية
وجدتها اكبر ما بظنى ... حيث استبنت سرها بعينى
ان يبد من اوصافها لسانى ... فليست الاخبار كالعيان
فذرعها كانه في الطول ... ذرع الثلاثين على المنقول
وعرضها حقا بخمس عشرة ... من الاذرع ان لم تفقها كثرة

فيها ثلاث طبقات تسع ... الفين او ازيد بل لاتشبع
سارت بنا في وسط النهار ... بلا اهتزاز السفن الجوارى
وغير دوخة ولا فتور ... كانما نجلس في السرير
وجدت فيها صحة في البدن ... اكثر ما اكون بين المدن
لانني وافقني هواؤها ... وجوها واكلها وماؤها
فصرت اكل جميع ما اشا ... بشهوة قد وافقت ما في الحشا
وكان هذا الوقت وقت الصيف ... والسير في اليم كسير الطيف
وتجمع الصلاة في الجماعة ... مع القيام ان تحل الساعة
مع الوضوء دائما وكل ذا ... من فضل ربنا الذى نفى الاذى
لان همي كله في السفر ... حفظ الديانات لنيل الظفر
فجاء ذا والحمد لله كما ... احب كل سفر متمما

ثم ذكر مرورهم باسفي ؛ ثم حمد السفر في البحر واثنى على السفن التى تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم مايريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا
ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال :

ثم بدا الرباط في جنب سلا ... كدرتين في جبين يجتلى
بينهما نهر كما التنين ... يسع ما يلج من سفين
وكثرة الزوارق العوامة ... على اشتغال اهلها علامة
فبعضها يفرغ ما في السفن ... وبعضها نزه من في المدن
لكنها ان ولجت في البحر ... تعلو وتسفل كمن في السكر
وذاك من شدة ما تراه ... من موجها ان جاشت المياه

ثم ذكر ان الرباط مبتدا مايطلق عليه الغرب كماانه حد مايطلق عليه الحوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاتهم واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم اخر استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصبابة الى زيارة المشاعر الدينية وقبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال والاهل وتنسى كل شىء دونها

ايلج المتيم الاخطارا ... ثم يخوض في العدا الشفارا
ويعرض الحوباء للمهالك ... كيما يواصل الالى هنالك
ويتمتع بلمحة وقد ... جالس من حبه في القلب اتقد
لمن يكمل الذى قد زعما ... ان كان من حب النبي في ظما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل مايكون ؛ فالبواخر المريحة السريعة الامنه تدرك بها الاغراض؛ واين هذا مما كانمن قديم حين تجاب الفيافي المخوفة ويكون الحاج في برقه عل مشقه هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا ؛ وماذاك الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف بر الاندلس ـ اسبانيا ـ وارسل زفرة على فقدان فردوسه العجيب ؛ فذكر القرن الذى سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر ايضا ؛ فاثنى على الذين نافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ؛ ثم ذكر بنى السين الفرنسيين الذين امتدوا اواسط القرن الماضى الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وينتظم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم فى البلاد ثم قال : مادهينا الا من استنامه حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذى يلم بأن كل امه تركت الجهاد ؛ ولازمت اذناب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب والمغرب الاقصى فى هذه الجهات ؛ ثم قال :

رجع بنا الى الذى تركنا ... فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقى هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هنالك ؛ ثم ذكر سبتة وذرف عليها دمعه ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذى نزلوا به من الباخرة على الزورق ؛ ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى فى جبل طارق :

فاذ نزلنا ودخلنا فى الزقاق ... دير بنا حتى غدونا فى نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا ... وطرف كل شاخص الينا
كاننا قردة فى الملعب ... ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان فى الاصيل ... قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت فى المنزل كيف يوجد ... ومن نؤمه ؛ ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى ... كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس فى الجبل غير الكفر ... سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون ... من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص ... والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل ... اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين ... فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول ... من لم يحز منها فماله دخول
ثمت جزنا الباب والاوراق ... تهد حتى دخل الرفاق

فظلت اسال من القصر الذى ... باخذ امر الناس خير ماخذ
فهو يسمى عند كل بسعيد ... خليفه السلطان مولانا السعيد
قد كان رقا للذى كان عنسال ... قبل فاعتق فزحزح الشبال
فخلف السيد فى المقام ... فكان من افاضل الاسلام
جئنا اليه غرباء معلمين ... بما اردناه من النزل الامين
فقام مسرعا يفتش كما ... يفعله لسيده من خدما
وذاك ما يدل ان كان له ... مع ربه اخلاص ما عمله
كنا «يح» (١) اصاحبا اخوانا ... ونبتغى جميعنا مكانا
ولم نرد تفرقا فوجدا ... نزل به «يه» (٢) من ريال عددا
خمس ليال قد عزمنا المكثا ... هناك فى جبلهم والبلبثا
ويجب الربع لكل ليلة ... وذا غلاء ما سمعنا مثله
ثم هناك ما يكون اغلى ... من ذا الذى كنا ذكرنا قبلا
وقيل ليس موضع فيه الغلا ... نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
وذاك كله من اجل الثروة ... وما لهم من جاههم والقوة
ديارهم جميعها قصور ... كجنة لو كان فيها الحور
كذلك الاسواق جمعا بنيت ... مثل عروس يوم عرس جليت
فيدهش المبصر مما ابصرا ... مما يغر كل من قد غررا
تقول زهرة الدنا باسرها ... وانتهم بسرها وجهرها
ازقة قد فرشت بالعود ... والكنس من طبعهم المعهود
كانما فرشت احسن القصور ... للوافدين يوم انس وحبور
اما نظافة الظواهر فلا ... تسل فشانها لديهم قد علا
لو رزقوا نظافة البواطن ... بالدين كانوا خير كل ساكن
لكنما الدنيا لهم جنات ... لهم بها النعم والمنيات
ولاغترارهم بها اجتبوها ... ثم حبوا فى الحزم ما حبوها
فاقبلت عليهم اقبالا ... ولم يسروا من وصلها مطالا
لكن من دخل هاتيك القصور ... وكان من فراشها له السرور
فليس يرتاح الى العشاء ... لما يصمه من الضوضاء
فعربات الخيل والبغال ... ترتج فى الانهر والليالى
ولست تسمع كلام صاحبك ... من كثرة الهز الذى بجانبك
وكل بنت من بنات الكفر ... تركب فوق عربات تجرى
وكل من يريد الانتقالا ... ينقله ذو العربات حالا
كذاك من يريد نقل الامتعة ... فانها تنقله وما معه
وكل زبل بالمدينة وما ... بيده يسرى بها نقلها

١) ١٨ ٢) ١٥

فهكذا كـفـوا مئونـة العمـل   مذ قربت اليهم كـل الامـل
لذا تراهم والرؤوس في السما   كان كلا منهم ابن مـا السما
حقا لهم مقـامـة فخيـم   لـو كانـت الدنيا لهم تدوم
لـكنهـم ومـا اشد جهـلهم   قـد اهـلـكوا انفسهم واهلهم
اذ حرموا اتـبـاع دين الحـق   والرشد والخلـق معا والصدق
لكـنهـا الاديـان بـالهدايـة   من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمكن له المرور بتونس فتتبع ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها مدينة جارية على البحر :

فجملة القول لمن سيدرى   ان هـذه مديـنـة في البحـر
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو   فيعلم العلام ان ليس الـغـلو
فـكـل ماتسمعه عـن السفـن   فلاتكذب ما وعـت منـه الاذن
فليس راء مثل مـن قـد سمعا   ولا الذى يجهل مثل مـن وعى

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع انني راقبت انا بنفسي الهلال ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قـال بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن   مـن قـلـة اعتنائـهم بالسنن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد   روقب صحوا يوم سبت واحد
ومـا جـرى للتونسيين سوى   ان تبعوا الحساب دوما باستوا
صاموا بيوم جمعة فـى الابتدا   فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنما القارىء يراها ؛ وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجـاجـة بـربـعيـن تـرخص   وليس فـى اسواقهم مـرتخص
وعندهم صنف مـن المـزيباع   بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟   فانـهـا اشريـة لاتستـطـاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابناء اليوم اواخر ١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه ؛ بل في قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالين (١) والمز بنحـو خمس وعشرين ريالة فرنسوية بله النعاج التى بلغت خمسين في بعض النواحي فمش رجبا تر عجبا

ثم وصف بناياتهم فيها فقال :

بتنا بها باقبـح البيـات   في قبـر عود كذوى الممات
لانـنـا لـم نـرد السفلاء   فهل نـمد (ربـمـا) كـراء ؟
وذلك القبر عـلى ضيق بـه   امتـد كـلـنـا بـه لجنبـه
وذاك كـل مـا يحب المعيى   ان الفضول خلق اهل الغـى
وانـنـى فـى البدو قد الفت   صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول في وصف ضبط المالطيين :

فلهم الـحـزم عـلى الـدوام   فـى كل مـا يفعل للتمـام
قد نظموا الامور بالتوقيـت   فانتظمت لـهـم على الـوقـوت
فكل مـن فـعـل شيئا يسجن   بقدر فعلـه ومـا ان يفتـن
فيهم المسجون مـدة العمـر   او مات جيفة كجيفـة الحمـر
مـع عسكر مشـمـر مصفـف   ملفـف مـزوق مخفـف
كانه في لبسه الدبى (٢) وقـد   يظهر كثرا وهو قل في العدد
يقـف او يمشى عـلى المزامـر   فصوتها الناهـى لهـم والآمـر
ولـهـم خـان فـخـيم فاخـر   حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتـهـم تـقـاد بالخـيـول   وانها في جريها مثل السيول
فتلك مالـطـة وذى اخبارهـا   قد استنارت في الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال :

ثمت لم نبت بها اكثر مــن   ليل طويل ضيق الجحر خشن
كـانـه مـوج عـلـيـنـا سدلـه   ارخى ليمطر علينا ويلـه
وفي النهار سار فلك فهـقرى   بنا الى تونس انس من يسرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول في الراكبين وفي اهل المركب :

ترى الجميع في الصباح قائمين   بالغسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فـرض الصبـح   اداؤه سـبـب كـل نـجـح
وتـلـك عادة لهم مستحسنـة   حسنة بـالـطـبـع اى حسنة

---

١) ثم في ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال في الغنم وفي غيره
٢) الدبى بفتح الدال : ولد الجراد

كنا مع اليهود والنصارى   مجتمعين لم لاضرارا
كل له دين وعادة فلا   عاذل كيف كنت يبدى العذلا
لكن خير عادة للمسلم   فى ملبس ومشرب ومطعم
اقبح بعادة النصارى ابا   كانوا عل الاطلاق ليس شيا
ليس لهم فى منظر ومسمع   حال شريفة وحسن مطلع
صورتهم فى حالة اللباس   اقبح مايكون عند الناس
وحال اكلهم كاكل البقرة   فى كثرة وسرعة مختصرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيا   بينهم فذاك مما ارتضيا
فعزلة وخلطة سواء   فالقصد ان يمتلى الـمعاء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم مابين يديه وصفا عجيبا تعجب بعين حسن يصدر مثله من الشيخ الصوفى الوقور قال ؛ :

وقد رايت واحدا فى المركب   يلتهم الخص التهام الـلـهب
والحفل كلهم اليه شاخصون   وهم بلحظهم لديه غائصون
وفى يديه الخص والخبز معا   يقرض منهما بموسى قطعا
وورق الخص غليظ وطويل   مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلطمه والخبز قطعة كما   يلقم فاه قنفذا ملمما
فقلت ان المضغ واف بالمراد   يحصل منه قبل زرد ما يراد
اذا به يبلعه باسره   فى لحظة ثم انثنى لغيره
وهكذا كانما جن الرجل   او خاف ان تنسد للطعم السبل
وهو ينفخ كاحتدام القرم   ان فتح الشدق لاخذ اللقم
هذا ومقلته ترمى بشرد   متى اجيلت فى وجوه من حضر
كنت امامه فصرت اعجب   من صنعه والوجه منه اعجب
فقمت فى الحين فامسكت القلم   بعد صلاة وقراءة «الـم»
اثبت للسامع هذى الطرفة   يسمعها اذ لم يمتع طرفه
فربما حرمت الابصار   وتمتع المسامع الاخبار

ثم كتب فى اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا وذكر ان هنالك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

وربما تجد من جابهم   من مسلم بالزى قد شابهم(١)
ومن تشبه بغيره نسب   له وفى الصحيح حقا قد كتب
«ان الطباع تسرق الطباعا»   وذا مشاهد فلا نزاعا
ما الكلب ما القرد وان كل قبح   اقبح من طبع جهول ما صلح

---

١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهياة المحدثة اقول ياليت جدهم يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل عل تونس ؛ فلاقت تونس من رحالتنا مالاقيه دائما من الرحالين كالعبدرى وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيامذهبا من الذكر الجميل قال ؛

عند الضحى بعد البيات ليلا   فى البحر بانت تونس كليل
تلالات فى البر مثل الدرة   فى نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب   وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح   والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاضل   سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال   اوصافها التى لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم   والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة فى ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون فى فصل طويل ؛ وذكر سواريه وان فى بعضها مايظهر كانه حروف لكلمات محمد وابى بكر وعمر وعل ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابيحه الكثيرة ؛ فقد كان يتتبعها حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء وان من رءاهم فيها بلغوا الذروة فى الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجناب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس:

وربما يراجع المشكوكا   اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يساله يجيب   بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى   بالفهم فى الدروس كالزهر الندى
هذا ولاترى سوى تواضع   من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس عل   ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع فى ضمنه تسامح   تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس ؛

حضرت فى صبيحة مدرسا   برخصة قدمها من انسا
فى جامع الزيتون يوم اثنين   فكان لى اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما   وان انال خير من تعلما
والفضل بالاجماع عند العقلاء   لاهل علم الدين لا للجهلا
فكان يدرس ابا الضياء   درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون   قدوتهم فى الفهم والفنون
وهو كبيرهم عل الاطلاق   حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم   فكان فى تقريره فردا علم
اجدر به لذاك ان يكونا   قطبا لمن سواه مكينا
فكل وصف كان يوصف به   فقد غدا ارفع من منصبه

وكل ما يمكن ان يزيره ... ذو قلم ان كنت معه تره
وبعد ما اتم درسه وقام ... جميع من معه دلفت للسلام
فبعد ان تمت توابع السلام ... جالت بنا في الدرس افراس الكلام
فقلت قد كان بصورة كذا ... تقريرها عكسا كما قد اخذا
فجلت معه وانا لا احتذى ... الا الذى اخذت خير ماخذ
فاذ راى الفجر بدا في السدف ... قابلنى بطبع كل منصف
فمال لى مستجمع الاطراف ... اذ ادرك الصورة بالانصاف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه ... ينظر ان يعينه لسنه
وهو كبير السن قد يعتمد ... وخير عمدة لشيخ ولد
ووسمه محمد النفرى ... من اسرة حسبها سنى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

بى رحب الشيخ السنى ترحيبا ... وفتح التساؤل الرحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطى ... وعن تعلقى وعن مرتبطى
واننى ممن نحا الحجازا ... كيما ارى بالحج ممن فازا
فقام مع ولده المذكور ... يصحبه ببره المشكور
فقال لى ولده مكانكا ... فسترى الرجوع منى ءاتكا
ومد لى كتابه كى يونسا ... وهل ترى مثل الكتاب مونسا؟
فحين اوصل اباه رجعا ... ثم ذهبنا نحو دارهم معا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا ... ارى من النعيم صنفا صنفا
تطوعا منهم واكرام غريب ... هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من خزانات الكتب في نواحيه ثمانيا وعشرين ؛ تستعاد منها الكتب ؛ زيادة على دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد افاض فى وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر أن من جملة مئاثره كون أبى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ؛ ثم استطرد شيئا مما يتعلق بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى تلك المدينة مقاما منسوبا له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زارهذا المقام فحادث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى ؛ فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ ؛

فدلدن ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقى هنالك اناسا التى عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثنى عليه كثيرا ؛ قال :

كذا لقيت جبل المعارف ... ومركز العلوم واللطائف
شارب كاس الخمرة اللدنية ... فى حضرة شريفة صمدية
من عام فى مقام جمع الجمع ... وقام بالوتر حيال الشفع
له من الفهوم والرقائق ... رسوخ من كرع فى الحقائق
ولو رايت صفوه لشربه ... من بحر وادى عشقه وحبه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر ... فازت به تونس خير مصر
السيد المبجل الشيخ السعيد ... ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا ... وفى المعانى والمذاق اصغرا
ولاخيه ولد على ... على منارة العلا على
لله دره لدى الافهام ... يعجب بالحدس او الالهام
يجلو بفكره صدى الاوهام ... فهو به فى الكر والاقدام
ولم يزل فى حالة ازدياد ... للرتب العليا وفى ارتياد
لكونه ملازم القراءة ... مرتديا متشح الجراءة
متسما بسمة الصلاح ... منتجع الفلاح والنجاح
همه نحو الذرى تعالت ... وكل همة تهم نالت
فكان اخذا للاسم الاعظم ... عنى مع الاب له المكرم
بوصفه المعلوم والمشهور ... ينتج فى الحين بلا شهود
سبب ذا ان اباه قد راى ... رؤيا فقصها على لنبا
قال رايتنى الان لديك ... ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا ... فى عالم الارواح فالقلب وعى
فقال لابد من الاشباح ... تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فيحصل السر على الكمال ... فى الحس والمعنى على التوالى
فكنت معهم على المدام ... وفى المعانى خمرة الكرام
أجنى ثمار الوصل بعد الهجر ... فى روضة العشق براح الفكر
قد لمحت انوارها للجانى ... وزهرها لقاطفيها دان
والكون كله لنا اشجار ... قد غردت من فوقها الاطيار
والدهر كله لنا اسحار ... والحب قد حلت له الازرار
ونحن بين الحور والولدان ... فى جنة الاذواق والمعانى
لا نسل عما جنت اكفنا ... من اهل محبب ومن ملى
فولنى عادلها ان تولنا ... كل غريب عند اهلها رسا
خيام الرحمان ثم بنا ... فكل من يصفهم سيجنى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ؛ ثم اتبع ذلك بعبرة عن احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت الحماية بيد امرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجالا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس «اخر يوم» له بتونس ؛ فكان بينهما ماكان من ااوهات وزفرات على ماكان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاقبها ؛ ثم قال :

فبعد ان مضت لنا ايام   بتونس كانها احلام
«يه» (١) نكون ثم كنت في الخميس
كريت بـ «العاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم   مسيرنا نجوب موج اليم

ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها :

احسن بها مدينة للخير   ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر   به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف   يمشون في مرصوصة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطرق   فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب   (ماحسن المحراب في المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ماشاهد في المدينة:

صرت اجول في الازقة وفي   وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل   والبذل للاموال كيف يعمل

فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا   وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا   يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق   مع تواضع لدى التلاقى
قد كان في زاوية الربانى   المدنى العالم الصمدانى

فمر في ذكر الشيخ المدني ناشر الدرقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ مولاى العربي ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرد ذكر ولده الذى لايزال

---

١) ١٥   ٢) ٨

... في عالى الاستانة ثم في عشى اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة لقوها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

... ولم نقطع عباب البحر   حتى راينا كيف وقع الدهر
والقىء والميد على الركاب   تسلطا بالسقم والاوصاب
... مع ناس قليلين حصى   ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسى بهم المركب في مرسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك ... مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر ... ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب مشى برفق   بنا بقنديل بذاك الفتق
تكون ذا الضيق مثل الوادى   مسيج الاطراف بالاوتاد
لندفع الرمل فلم يزالوا   لتوسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم ... بجدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حواء ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل ... مايفعل ثم ذكر نزولهم بحدة موضع الحديبية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان ثم ذكر اغتسالهم بذى طوى ؛ فدخولهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد ... في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

وابرح مايكون الشوق يوما   اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون ... ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي اثناء الاجتماع قال له احد الحاضرين ؛ انى ارى ما ارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح ما ... ياخذ عنه وان يتخذه شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة اخرى ... فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله من الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رافقوه ... ؛

ثم لما وقف الناس في عرفة وقفتهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها ... مع قلة ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة واخرون بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى الحج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدى القبر الشريف في المسجد

---

١) عرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابنى الشيخ سيدى محمد وسيدى علا فالجميع في مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى انذلك خير مايدعى به في ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب في هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب في سفينتهم فوصلوا السويرة في الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم في دار القائد على بنكنافة فقال لهم انا لم ننس اى واحد من اخواننا هناك في كل مالم ننس فيه انفسنا في الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك في الحضرة الربانية كما كنا نجدنا في الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد سالغاس فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محـــور حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان في البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله في كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد في رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاعتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) في اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يفتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم من الاقوال بمقدار الملح ؛ في الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه في زايته الالغية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء - كمايقولون -

[illegible] يمشيها في السياحات وكان من عادته التي التزمها [illegible] عمرو بن حمو المنصوري : ان يتتبع القرى متمهلا فلا يكاد [illegible] الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم [illegible] بان الحق الذي عليه لكل الناس يحفزه الى عدم التريث [illegible] ؛ وكان دائما يسيح في طائفة المريدين المجردين من اصحابه [illegible] سوى من يلحق بهم من الفقراء واصحاب القرى [illegible] قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو [illegible] الا الله» (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون [illegible] ثم ينزلون في المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر [illegible] ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرا الحزب فيسكتون [illegible] فيها الاذكار خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم [illegible] الى الحديث الذي يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث [illegible] صلوا العشاء وتناولوا ماأتى به اهل القرية من العشاء توجه [illegible] اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون [illegible] بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد [illegible] بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين [illegible] في ايام الصيف وكثيرا مايمضى غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع [illegible] حتى اذا راى النساء اللاتي الفن منه سماع الوعظ الملح الى المسجد [illegible] ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما [illegible] فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن [illegible] يعمل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام [illegible] واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون [illegible] خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان [illegible] ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يحرمونها [illegible] ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى مايقرؤه في لوحة خاصة [illegible] واستعدلهم مايقرؤه ، فكل من دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي [illegible] الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدي محمد بن يعقوب ان [illegible] ؛ ياعظيم الجود يامولانا يبلغ المقصود يامولانا ؛ وليعلم ان لطلق الناس [illegible] دعوة عند مزاولة العالم حصادا ودراسا وتدرية للمدروس ؛ [illegible] الدبالج الى مشاهد الصالحين

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى انذلك خير مايدعى به في ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم في دار القائد على بنكنافة فقال لهم انا لم ننس اى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانيـة ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كـمـا كـنـا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لاتختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلـد سالفا فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محـور حياته

انحياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لاتغير فيها : جولان فى البلدان لاينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليـم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيرى وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرءان وبالحديث النبوى ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاعتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالـم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئـلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم مـن الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمـل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالغية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة من لايعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء ـ كمايقولون ـ

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها فى السياحات وكان من عادته التى اقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن همو المعدرى ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت فى قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذى عليه لكل الناس يحفزه الى عدم التريث فى مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح فى طائفة المريدين المتجردين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او أزيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله الله لااله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون فى المسجد ولايدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرا الحزب فيتلون سويعة يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم يتوجه الشيخ الى التحديث الذى يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلوا العشاء وتناولوا ماأتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعلى صوته بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك فى ايام الصيف وكثيرا مايمضى غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راى النساء اللاتى الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما فى الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد • وعما يصلى به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما فى وقت خاص فى السحر ولو لم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقراوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يخرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى مايقرؤه فى لوحة خـاصـة لان لكل واحد منهم مايقرؤه ، فكل امى دخل معهم لابد ان يفـتـتح الحـروف

١) كان المعتاد فى الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان تقول : ياعظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا ؛ وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاولة اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدروس ؛ وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهيجاء ؛ كما انه لابد ان يقضى ماعليه من الصلاة ؛ امر لازم ولابد ان يؤدى التبعات جهده ثم يقيلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لايترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ماعرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر من ينتسبون اليه كمريدين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحى سوس ابثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عددا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان اخرون يدورون مثله فى القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائما الشمم والزهد التام ازاءه؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين .

عمله في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولايهلل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذ ذاك يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية يتنفل ويذكر مايذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرا الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولايمكن ان يفارقه الا فى الضحى ثم يصلى الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انعزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضا اصحابه صلى بهم ويقرا الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرءان او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولايشتغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الغ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملاها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا وهو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى ورده القرءانى ؛ وهو على مااشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولاسفرا ؛ ثم يضطجع هنيهة لـم يتوضا فى السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله فى زاويته غالبا .

لمع من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان ندرج بين اقرانه فى عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستتابتهم وزجهم فى العبودية الخالصة وقد ذاعت اخباره بذلك فى الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه ءاخر رجال الجد فى الطريقة ؛ فقد بلغهم مافيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لايمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانما خلقوا لهمته العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لايضجرون ولايكلون ولايسامون ومن رءاهم بين يديه راى شبابا فولاذيا مخلصا لبى نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمته كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ وكثيرا ماتكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد التنانى وسيدى الحسين بن مبارك الجاطى وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستثارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ يتركها هياما بالله وجؤارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ومن قائل ماقال الثعلب؛

رام عنقودا فلما ان راى المنقود طاله
قال هذا حامض لما راى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المتابهى فاتبعه بخنشة ريال مغربية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسها فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى فى النباهة حين لاينخدع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله : اننا نريد اصحاب الهدايا لنهديهم الى الله ؛ لاهداياهم والشيخ الذى ينفق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التي يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما في الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة في تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة فياحدى سياحاته في جبل درن (١) ومتى صلى في زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى في مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه في دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه في الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتي بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا ياتي بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقى الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاحة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفي داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل في دار القائد الحسن النكنافي وقد مر هذان الخبران في طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله في جميع النواحي التييطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب في ملازمة الصف ؛ وفي المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحابالطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية في الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لي لماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فيلذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ في زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل في القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التي تجعل الحريرة في وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له في بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات في الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

---

١) ومثل هذا التشديد في حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما في كتاب (التشوف)

[illegible] وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اولوما [illegible] في اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان اية الايات في فطام نفسه عن [illegible] التي تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن [illegible] كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالةواحدة [illegible] فيه يواكل مجالسيه كانه احدهم ايناسا لهم كما هي السنة [illegible] اوكال السرور على بعض المريدات من صواحبه الاخذات عنه فيتناول [illegible] ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين [illegible] فترة بعد فترة يعلنون بينهم في بعض السياحات تقليل الطعام الا [illegible] معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحصل [illegible] وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتي من لايتحرون الحلال بالطعام [illegible] فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر [illegible] الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ في نفسه وديدنه مع [illegible] ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون ممايريدون [illegible] ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم [illegible] قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتاثرون بذلك وكثيراما [illegible] الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له [illegible] ؛ يعلى حص يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى [illegible] نسمال الشيخ يحيط به من كل جانب حتى في مسكنه ؛ فان بناءات [illegible] ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه [illegible] القاع الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرفكيف يبنى [illegible] لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالحسيدى [illegible] عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه في مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ [illegible] يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على [illegible] عليه ومن سياتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة [illegible] التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون مانيط بنا من ارشاد [illegible] حتى نفنى اعمارنا ونفائس اوقاتنا في جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ [illegible] اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد امر الفقراء [illegible] يحرثوا ماسيحرث في مبدا ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن في [illegible] العباد لافي شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالي الا بما نصب [illegible] نفسه وجعله محور حياته ومما يعتني به الشيخ عنايةالمؤثر التعليمولذلك [illegible] كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائي المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كماانه يرسل من فيه اهلية لتتبع الدراسة في الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فؤلاء الاساتذة ؛ سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدى الحاجمسعود

لم ينفق الذهب المربى بكثرته   على الحصا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقدضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقيلولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشترى بها حمارا ياتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقى الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاحة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجدفى داره ليصلى فيه مع اصحابه؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكنافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحى التىيطرقها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم احتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالغى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءعدمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لى لماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وابيك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحريرة فى وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

---

١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقملون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر اونوما اضطجع فى اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان ءاية الايات فى فطام نفسه عن الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه من الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالةواحدة دائما لانه قد يواكل مجالسيه كانه أحدهم ايناسا لهم كما هى السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما ءاخذ به نفسه ءاخذ به كذلك اصحابه المتجردين فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحمل القصاع وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتى من لايتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه وديدنه مع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مايريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لايتاثرون بذلك وكثيراما يقول لهم الشيخ لايحل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبنى ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذى يراد تابيده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سياتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن تاركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء أن يحرثوا ماسيحرث فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن فى ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عنايةزائدةنشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كما انه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيمينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد الزبدى والعلامة سيدى الحاج مسعود

الوفقاوي وسيدي محمد بن عبد الله الزيكي والقاضي سيدي مسعود الشياظمي وسيدي الحسين التيمولائي الافراني وسيدي بريك بن عمر المجاطي وعشرات امثالهم هو الذي دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدي عبدالله ابن ابراهيم ؛ وسيدي موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدي عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا في العلماء والقراء الذين ينفعون في المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء في السياحات ؛ كالعلامة سيدي محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدي احمد وسيدي عبد الله ابن القاضي وسيدي عبد الله خرباش وسيدي مبارك الميلكي وسيدي عبد الله الركراكي وسيدي محمد بن العربي القارئ الاوصالي وسيدي على التناني وسيدي الطاهر السماهري وسيدي عبد القادر السباعي ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات مايرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ماهم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهم ان ماهم فيه هو عين مايطلبه التصوف منهم حتى ان سيدي عبدالله بن محمد يقول : انني ما استفدت الا في المجالس التي كان خالي الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له؛ كثيرا مايهمون ان يطلقوا ماهم فيه فيلمرهم ان يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم في اعلى مجالات التصوف الحقيقي وقد اثنى يوما الاستاذ سيدي محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال .

هكذا الشيخ يربي كل واحد في بيئته ويرقيه في محيطه ؛ ويراعي كل لون من الوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ماكتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية : «ان الشيخ الكامل هو الذي ليس لتربيته لون واحد» كماقال بعضهم في حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفي (الاخلاق المتبولية)للشعراني ما معناه : ومن اخلاقهم – يعني الصوفية – انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ماهم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولايرفعونهم من ذلك المقام؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة اوكما قال ؛ الى اخر ما في كلامه .

هذه قبصة صغيرة من اخلاق الشيخ في تربيته وفي احواله وفي اجتماعاته ويكفي من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه في كتاب (الترياق المداوي)

الشيخ في انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية في سوس الطريقة الناصرية وحدها ولاريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة في كل مظاهرها؛ لاامت فيها ولاعوج ؛ ولايجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال في طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لايعرف منها الا اذكار انفراد يذكرها من تلقنها ، ثم لااغراق فيها في اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ماعرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقراء اميين ءابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلااستثناء ناصرية ؛ ياتي اولاد الشيخ الناصري فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واحتفال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، حتى الف الناس هذه الطريقة ونشأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فتلقنوا منه الطريقة التيجانية كسيدي الحسن بن الطيفور الساموكني نزيل تزنيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدي عبد الله بن محمد بن احمد الادوزي نزيل العوينة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدي سعيد الدراركي نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدي احمد بن محمد من ءال حساين الطاطاوي المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدي الحاج الحسين الافراني نزيل تزنيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدي الزبير البعمراني المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطي وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدات الطريقة التيجانية بسوس ولكنها في مبتدا امرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعتزون بها ولايعرضونها عرضا ، كماكان الدرقاويون يفعلون

وفي الوقت الذي دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشي يد في نشر الاولى ؛ كان لشيخ اخر مراكشي يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدي احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاي العربي ، ورد عليه من سوس اولا الحاج مبارك البوزاكارني الكلوشي ؛ وبوتكلاي الذي اسمه الحقيقي هو الحاج محمد اليلغي ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدي سعيد بن همو المعدري الثاني منهما الى ان كان السوسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدي الحاج مبارك العالم الجليل الذي له مؤلفات راينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدي عبد القادر البعاريري ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري الامي طفحت ساحته بكثيرين ؛ فيهم علماء خناذيذ كالعلامة سيدي محمد بن ابراهيم التامانرتي والد شيخ العصر سيدي الطاهر بن محمد الشهير ؛ وكالعلامة الاديب سيدي الحبيب البو سليماني الجراري ؛ وجنيد زمنه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي والعلامة المدرس سيدي محمد بن المحفوظ الادوزي وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كلهم تتلمذوا لهذا الشيخ الامي وبالشيخ الامي سيدي سعيد بن همو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التي لم تولف في الناصرية ؛ كملازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة في الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيللة على نغمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار في الطرقات وفي الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ؛ وما كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره في كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوعها ؛ فكان الشيخ يسيح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله في ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التي تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك في الشرق من قديم ؛ وقد قرات انا بنفسي هذه الفتاوى التي اتى بها سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي لما حج علم ١٢٩٣هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولاننس ماكان قاله سيدي على الجمل لمولاي العربي لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لااله الا الله والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له : «ان هذه الاذكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعني سيدي العربي بن احمد بن عبد الله الذي اخذ شيخه عن آل ابي المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر في الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما في القلوب لا ما في القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لاتقدم ولاتؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على ما في النيات والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبي في الفرس :

وما الخيل الا كالصديق قليلة — وان كثرت في عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها — واعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدي سعيد لأميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله في تلك الاحوال التي ينكرها الفقهاء السوسيون ؛ اجلس في جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدي سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدي الحسن بن احمد التمكدشتي انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدي الحسن التمل الايرازاني وبتأثره بحال سيدي سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدرقاوي بمراكش من اصحاب سيدي محمد العربي المضغري او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك في ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين في ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال آخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراها الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذي يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالغي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتي قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق في كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذي يكتسي لونا خاصا مع كل هذه الفرق التي يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة في نفع العباد فمتى جلس الى مطلق العامة فانه لايحدثهم الا في التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك في مجامعهم الا الذكر المعروف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون آخر يستمده من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمي ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام في حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظهم وعظا يكسر شرة ماهم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتان وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ماهم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم في كل مايرفعهم في مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم في ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع لصيته يدوي في كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرد في عصره بما لم يتيسر لغيره فنشا ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية وازاء الذين يكبرون شانه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالابد ان ينشا من اقوال تصدر حسدا من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبيعي ما دام البشر لايخلو من ان ينفس بعضه على بعض، ومن حسدة يتقولون ويصطادون مايدعمون به كل مايقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين في غلواتهم ؛ ولاسيما ان تلقفوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل مايعن لهم فتراهم يقولون مايقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون ماعسى ان يجده المطالع في كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالغي الذي كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولاعرف منه انه دافع قط ولااجاب

ولاالظر ولااستشار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياته ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم :

لنا عند ربع العامرية مقصد — اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شانه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامة سيدى محمد بن العربي الادوزى يخفت شيئا فشيئا حتى كان مالابد ان يكون من شفوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقه ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهماء الامه وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فان هذه المواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم به هو الباقى الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح «فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض»

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى رحمه الله فى الشيخ الالغى شىء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فثار فى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا : «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا اخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام اخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى : «ماكنت ارى من سيدى على بن احمد الا انه سيكون ذا شان فها هو ذا ابتدا فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة ١٣٠٦ هـ والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوال عام ١٣٠٦ هـ فقيل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك» وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك اثر مازاره الشيخ فى تزنيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فى بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرنى هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن يحيى التملى المتوكى : «اشهدوا يامن حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم ياخلفاءه وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه مادى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبدالملك فى بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم الشيخ بمواعظه المؤثرة حتى تاثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاى العربى الدرقاوى بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التى كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو اخر الشيوخ الكمل فى هذا الشان قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعينى مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم فى وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنى غيرهم اوراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه اخر اصحاب الجد فى هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح : «ماوضعت يدى فى يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيدشتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ماتعول عليه وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطغرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالغى عام ١٣٠٨ هـ : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لايتصف بها الا العارفون

الافذاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك الجهة»

وقال الشيخ سيدى "محمد التظيفي : «هكذا يكون الفحول لايخافون من احد ؛ فانى اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تغيض عيني وبحلرهم واما العفريت سيدى الحاج على فانه لايهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقاني فهربت منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر؟»

تلك اثارة مما امكن لى جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب انني كلما جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه ماراه من الشيخ اسمع منه عجائب وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لايلتفت الى غيره الا بمقدار المامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا هذا بعد الغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه في اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لايصل الى حد الغلو الا في قليلين جدا ولاجلالهم لمقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعاوى قل فيهم البارزون بعده الى المتسمخة حتى ان من برز منهم لايرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايته وخبرته وكنت به من المومنين وما راء كمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلمي ان الله يراقبني ويكتب عني ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدى على بن الحبيب التيجاني الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدى محمد ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم بما بين الطرق في ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية هي الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك نرى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا ظاهرا في جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربي الادوزى الذى كان ينادى في موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشهاد بان الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راى غالب من اخذوا عنه خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط في يده يوم يرى نفسه مصاهرا للشيخ الاكبر في الطريقة الدرقاوية على بنته – وانا ابن بنت سيدى محمد بن العربي اكتب هذا – ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك القصيدة التى تاقف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل اخر

وهاك ماقاله الاديب على بن الحبيب السكراتي :

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى من (تحت الحصن) السملالى الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لايحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان في اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسى في حال ويصبح في حال اخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات وياخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذ وقف على الشيخ سيدى الحسن بن مبارك التاموديزتي مع الفقيه سيدى محمد بن العربي الادوزى يتحادثان في ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيبه وقالا له : «ياشيخ هذا الذى انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتي سبق المترجم الى هذه الطريقة ولابد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدى محمد بن العربي الادوزى) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتقرع له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلى الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدى محمد بن مسعود المعدرى وسيدى سعيد التنانى ؛ فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لى يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدى قال لى اعندك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لى هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدى احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجلماسى لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدى موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما ذكره في زيارة سيدى موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمت على الرحيل وقف على النبى صلى الله عليه وسلم وانا ببحيرة قرب دارى ؛ فقال لى اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لى : «لاترحل من بلدك وقال لى كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قال رحمه الله فطابت نفسى من يومئذ بالسكنى في بلدى فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنيا فى الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لايستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره فى الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق : درعة وحوز مراكش وحاحة واداوتانان ؛ حدثنى بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لايكادون يعصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاى عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقيه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم فى الفاضل قول الحسدة ؛ وهوفى الحقيقة كمال للمحسود :

واذا اتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بانى كامل

فقد كتب له العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى بعد مصاهرته له فى شانها قوله :

بعثت اليك بعض كل فان راعيـــــــته كنت كل راعيا يااخى حكما الخ

(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذى مطلعه : (جزاك اله العرش خير جزائه) (ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا : (لاتصاهر فى سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التى قالها ابن العربى لماودع بنته ومطلعها : (فراق بنتى صعب الخ)

(ثم قال) : اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدى محمد بن العربى الادوزى واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدى سعيد المعدى وبيتهم بيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدى عبد الله بن صالح ـ بل هو عبد الله بن سعيد ـ فى غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها :

وما مات من ابقى ثناء مخلدا   وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله ؛ حكى ابن الجوزى فى بعض مجالسه قال : «والله ماجتمع لاحد امله الاوسعى فى تفريقه اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلط فى طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الى ولده الكبير سيدى محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهى شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله اكبرهم سنا سيدى محمد وباقى الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشاوا فى حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ابيهم من التيقظ والتشمير عن ساق الجد فى الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالى فى الذين يخالفون «اباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم»

انتهى ماكتبه المؤرخ الذى حاول ان يخالف القول الاتى للمؤرخ الاكرارى فى بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقى الابيات المتقدمة توجد فى ترجمة الوالدة (رقية) فى القسم الثانى ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المريبن ومحراب المتجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين مربى الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قامع الشهوات والمجلى عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدى الحاج على الدرقاوى طريقة العبلاوى نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنشا ـ يعنى السحت الحصنى ـ قرا العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقير سيدى سعيد المعدى وعلى منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره فى الجد والاجتهاد وجال بطوائفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويقطع بعضهم بالدرة ؛ يسوس كلا باللائق به ويكون لداء قلبه متنبه ـ كذا ـ فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده مستمعوه ؛ اخذ فى نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما استلات اهواءهم بالايناس واطمانت محافله بالايناس ؛ قلب لهم ظهر المجن ومد شباك الزوايا لما انى وعن ؛ وقرا (القها ياموسى فالقاها فاذا هى حيـــة تسعى قال خذها ولاتخف) فانه الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح وساد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فحباه ولم يقل مكنوزى وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر الابيات التى اولها : «بعثت اليك بعض كل الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الا انه ليس التكحل كالكحال ـ هكذا الكلمة بخطه قائلا ان الالف للسجع ـ (ثم ذكر الابيات التى اولها :«جزاك اله الخلق خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ماانتقده فى الابيات) ثم قال : «هذا شعر الفقراء فليسه قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها : فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ ـ يعنى ابن العربى ـ منشكيا وللقضاء مسلما وراضيا ـ (ثم ذكر ابياتا اولها: فراق بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهر وعصى للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة وزاد فى القحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها : لاتصاهر بسوس درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا مـــن الله المنان ان يمدنا برضا الاشياخ والغفران ويقيل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحـــواه الجنان ؛ ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال وعام وعزد واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه الحمام فادى الامانة ورضى باخشام وذلك فى ٤ـ١٠ـ طلوع الشمس يـــوم

السبت عام ١٣٢٨هـ فقال سيدي الحاج ابراهيم ايريفي «ايطاس (اي نام) الشيخ رحمه الله ورضي عنه «امين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له في وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفي عصر السبت ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذي لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل في مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع في احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته في التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاي اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما في دار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذي حفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجي النساء في مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربي في ترجمة والدتي في هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد في كتابي «الترياق المداوي» و«طاقة ريحان» واما الابيات التي اختصرناها فانها توجد في ترجمة الوالدة في القسم الثاني) على انني اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع في جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهي من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدي محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ في اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوي كريم يخاطب الجناب النبوي :

مالي سواك وسيلة لله ثـــ ... ـم سليل روحك غوثنا الصمداني
شيخ الحقيقة والطريقة من غـدا ... نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلي نحر عاطل ... ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالـة شاذلي زمانـه ... فـرد الاوان وسيد الاقـران
شيخي ابو الحسن ابن احمد من بدا ... في العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المـنـار واحييت ... «اثاره بعـهاده الـهـتان
ذوهمة فعـالـة وعزيـمـة ... صوالة كالسيف يـوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى ... والعلم ليس الخبر مـثـل عيان
اما الفراسة والكلام عـلى خـوا ... طر حاضريه فـثـايـة الرحـمـان
وله من التصريف امر واضح ... لمداخليه بـدا عـلى الاعـلان
هذا على ادب يحيل بعر الامو ... ر عـلى مشيئته ربـه المـنـان

يا انجل احمد يا من علت بكم ... رتب سمت قدرا على كيوان
الدين الهمام الشهم ياذا الهمة الـ ... ـقـعساء ياغوث الكبير العاني
ياذا الجواد حتى يعد الجود مـا ... كعب وما هـرم ومـا البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجان والـ ... ـدر النضيد فذا نفيس فان
فلكم لدى الارواح بالعرفان بلـ ... ـه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمـة ... صمدية مـن سرك الصمداني
وغسلت من ادرانها وحبوتها ... علقـا نفيسـا غـالـي الاثمان
وسقيتها من خمرة نبويـة ... ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يباري البدر في مجلاه او ... يرتاب في شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا ... مداد فـي الاسرار والاعلان
احييت رسم الدين بعد دروسه ... وخبو نور الحق بالطغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى ... خفضوه بالدعوى مـدى الزمان
وبسرك انصلحت عصائب صقعنا الا ... ـسوسي من قاصيهم والداني
وبك المعارف والحقائق تجتلي ... صرفا على رغم الحسود الشاني
قلدت اعناق الرجـال اولي النهى ... منهـا عقـود الـدر والعقيان
فاذا وراء النفع يطلب شاهدا ... بجلالـة التخصيص للاعيان
هذا الامام العارف الفاسي ابو ... زيد من الغر الكبار الثمان
قد قال ان شهود نفع الناس من ... اهل الولاية واضح البرهان
بصحبتهم ما منحوا من السر الـذي ... خص الاله به ذوي العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكم ... العارف الاسنى ابـي عثمان
قد قال انك في مقام الشيخ غـو ... ث زمانه الجمل الرضي العمراني
هذا الى ما جاء عن اهـل الصفا ... ثر غيـره فيما لكـم مـن شان
يا من عليه الباب مسدود انخ ... واحطط رحالك في هنا وامان
هم بباب الفضل والكرم الـذي ... من حل فيه ثوى اعز مكان
في حضرة قدسيـة نبويـة ... هـذا عـلى بابها الرحماني
فاذا القلوب عدت عليك وارجف الـ ... ـعادي واشمتك انقلاب زمان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو ... د وملكتـه سائـر الاكـوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا ... ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذي ما امـه ذوعسرة ... الا وبـاء يـحـفـه اليسران
هذا الذي تعنو وجوه العارفيـ ... ـن لنـور طلعته كما السلطان
… الهادي المعلم فهو الشاذلي ... او فاض بالاحوال فالجيلاني
الائمة الرجـال بهمـة ... من هم لبه غـدا مقود عنان
وسقاه ارباب القلوب لحضرة الـ ... ـمحبوب مغنى الروح والريحان
شرفا وفخرا ياذا للقرب عـن ... شمس المعارف والهدى الرباني
برزت به في «الخ» ما ادرك عـصـا ... (الخ) لقد اربت على البلدان

السبت عام ١٣٢٨» فقال سيدى الحاج ابراهيم ابريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى منه «امين»

ذلك ماقاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فـــى مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما راى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحـــوم وشرب الاتاي اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى ماقال كونه سلف الشيخ فانـــه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل مابين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ريحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى) على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالفية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى :

مالى سواك وسيلة لله ثـــ   سم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا   نور العيون وعين نور الآن
صبح الظلام وحلى نحر عاطل   ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالـة شاذلى زمانـه   فـرد الاوان وسيد الاقران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا   فى العصر شمس الايمة الاعيان
اعلى من الدين المنـار واحييت   «اثـاره بـعـهاده الـهـتان
ذوهمة فعـالـة وعزيـمـة   صوالة كالسيف يـوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى   والعلم ليس الخبر مـثـل عيـان
اما الفراسة والكلام عـلى خوا   طر حاضريه فـشـايـة الرحـمـان
وله من التصريف امر واضح   لمداخليه بـدا عـلى الاعـلان
هذا على ادب بحبل به الامو   ر عـلى مشيئته ربــه المـنـان

يا انجل احمد يا على علت بكم   رتب سمت قدرا على كيوان
انت الهمام الشهم ياذا الهمة الـ   ـقعساء ياغوث الكسير العانـى
انت الجواد متى يعد الجود مـا   كعب وما هـرم ومـا البحران ؟
ان كان يخرج منهما المرجان والـ   ـدر النضيد فذا نفيس فان
فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـ   ـه الجود للاشباح بالالوان
اوما جلوت صدا القلوب بحكمـة   صمدية مـن سرك الصمدانـى
وغسلت من ادرانها وحبوتها   علـقـا نفيسا غـالـى الاثمان
فسقيتها من خمرة نبويـة   ازرت بما اروت بخمر جنان
من ذا يبارى البدر فى مجلاه او   يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
بعد الكرائم وانـتفاع الناس بالا   مداد فـى الاسرار والاعـلان
احييت رسم الدين بعد دروسه   وخبو نور الحق بالـطـغيان
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى   خفضوه بالدعـوى مـدى الزمـان
وبسرك انصلحت عصائب صقعنا الـ   ـسوسى من قاصيهم والدانـى
وبك المعارف والحقائق تجتـلى   صرفا على رغم الحسود الشانـى
قلدت اعناق الرجـال اولى النهى   منهـا عقـود الـدر والعقيان
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا   بـجـلالـة التخصيص للاعـيـان
هذا الامام العارف الفاسى ابو   زيد من الغر الكبار الشان
قد قال ان شهود نفع الناس من   اهل الولاية واضح الـبـرهان
بصميم ما منحوا من السر الـذى   خص الاله به ذوى العرفان
ولقد سمعت بشارة من شيخكم   العارف الاسنى ابـى عثمان
قد قال انك فى مقام الشيخ غـو   ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
هذا الى ما جاء عـن اهـل البصا   ئر غـيـره فيما لكـم مـن شان
يامن عليه الباب مسدود انخ   واحطط رحالك فى هنا وامان
خيم بباب الفضل والكرم الـذى   من حل فيه ثوى اعز مكان
فـى حضرة قدسـيـة نـبـويـة   هـذا عـلى بابها الرحمانـى
فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الا   ـسعادى واشمتك انقلاب زمـان
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو   د وملكتـه سائـر الاكـوان
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا   ث وذا حمى المستضعف الولهان
هذا الذى ما امـه ذوعسرة   الا وبـاء يـحـفـه اليسران
هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ   ـن لنـور طلعته كما السلطان
فاذا افاد الـعـلم فهو الشاذلى   او فاض بالاحوال فالجيلانى
اخاذ افئدة الـرجـال بهمـة   من هم فيه غـدا مقود عنان
يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ   ـمحبوب مغنى الـروح والريحان
شرفا وفخرا بازغا للقرب مـن   شمس المعارف والهدى الربانى
برغت به فى «الخ» ما ادراك مــا   (الخ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتك الال ... ودلوا الى المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ ... ـطيار جعفر اكرم الفتيان (١)
ربى بحرمته النبى المبتغى ... من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة ماذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة ما تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبتهنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلق بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة ؛ انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامة سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه :

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الاانه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فراى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غيرنائم ؛ فكشف الثوب عن وجه المريض بيده وتفل على يده ومسح بها موضع القرحة فمل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان الشيخ رضى الله عنه خرج من عندى فانظروا أين هو وانزلوه فى محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولا راءاه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا رءاه احد من الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن ... ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التى ... تعوق من تنافر الثانوية
افاضت عليه الروح ماكان مودعا ... بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا ... على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : مامن فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته (او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها من جملة كلام له مانصه : وقد اشتقنا للملاقاة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المرضع ولكن الحمد لله قدبلغنا مرتبه فى ملاقاة الارواح ، تغنى عن ملاقاة الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه • وكيف يكون ذلك عند من يجد

١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد مايتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مريديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام بفقه ؛ وذكر الشىء بترك سواه هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه : ولاتهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرنى بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛ القى فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال : مالكم وللدخول فيما لايناسبكم او مايقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية؛ قدحضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقدفرق المتجردين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمه على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفتنة ؛ فقال لهم ما حاصله : لايخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لاينبغى ان يظن توحده عن شيخه لانه معه بسره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له : انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقنى مرض لزمت منه الفراش ولحقتنى منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انا فيه وبيده المخلاة التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعنى من ضجعتى ؛ واسندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخلاة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شانه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان فى الطريق احس ببطنه تحرك عليه كانه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقى كذلك الى مضى سبعة ايام وهوبحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفى اليوم السابع بقرب الزوال أخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضي اللهعنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر فى جوانب البيت الذىهو فيه كأنه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل لـه الشفاء فى الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة

انتهى مانقلته (مع بعضاختصار) منخط الاستاذ،سقته كتتمة لماهوفىالقصيدة التونسية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتنكبنحن الاكثار منه • لان ذلك ينافى بعضه سنن الكون التى لايومن الابها عندغالب اهل هذا العصر • وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلكالسنن

ومن امداح ابن مسعود فى الشيخ قوله :

باكر بها لمرابـع الـزهراء تلق المنى بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها الفسيح الطرفواه ـــرح ناعما بتواصل السراء
الغالين كللا بغزلان النقـى او وصل كل خريدة غيداء
حسبى هوى فئة تظن وجوههم زهر النجوم تضيء فى الظلماء
نور السرائر فى الاسرة لائح متبلجا فيهـم لـفـرط صفاء
جلى مرايا الـقـوم صيقل حكمـة وهداية مـن عـارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابى الـ ـــحسن بن احمد فارس الهيجاء
ياكعبة ياوى لساحة برهـا اهل القلوب وجلة العظماء
ياروضة من جنـة بـل حضرة تنسي نعيـم الـخلـد باللالاء
يانجعة المرتاد يانور الـبـلا د وملجا الملهوف فى الحوباء
طال التقاعد والتكاسل بالفتـى فسعى لبابك سيد الكرمـاء
قصدى من الكرم العريض اغاثـة بتخلص مـن كربـة اللاواء
برجيل هذا القلب عن كدر العوا ئد والحظوظ وغفلة القرناء
وتعلق بالله فى الاحوال والـ ـــجمع المزيل لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتمـى فى دهره من فادح الاسواء
انت المعز لمن هواه هوى بـه لهضيمة الارجاس والارجـاء
انت الطبيب لكل من جنحت بـه نفس تبوء به الى الـرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى بها قلب الحضيض لهـمة قعساء
انت المنفس كربة المكروب يلـ ـــهب قلبه بشماتة الاعداء
انت المسود والمتوج تاج اهـ ـــل الله باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله مـا تهواه ينـفـذ دون ما ابطاء
انا غرس نعمة سادتى فليتركـوا بالسقى حفظ صنيعة وذمـاء
حاشاكـم ياسادتـى ونـداكم يزرى بفيض البحر والانـواء
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ ـمضطر من منن لكم بيضاء
والجاه اعظم والعوارف جمـة والعبد عبدك رافع الحـوجاء
لولاكم ما كان يـطـمع فـى الندا عـود تمـوه قـواضل الآلاء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ما الحق العرجاء بالوجـنـاء
حييت بنورك شرعة التوحيد وانـ ـتسخ الظلام بغـرة وضياء
واقمت سوق العشق بعد كسادها فغدا بتاجـرها ربـاح زكـاء
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ ـاحسان والعرفان ريح كباء
ويح الجهول اما كفاه تبحر الـ ـسامى يصحبكم كما الحكماء
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
هاذى عجالة راكض ناداه دا عى الحب للتغريد والانشاء
واليكها شيخ المشايخ ترتدى حلل الحياء تميس كالحسناء
بنت السبيل على كلال قريحة مقروحة تبغى جـزيـل حباء
فان ازدهت مماحوت من نشر طيـ ـب سنائها بصفاتك العلياء
فمن اطباء جمال بركم فـلا عجبا ولا تكليف بعد فناء
لازال جودك وابلا ينهل للـ ـعافين بالالطاف والنـعـماء

وحين اطلع على القصيدة شيخناالاديب سيدى محمد بن الطاهر الافرانى قال فى تقريظها :

لاحت فاعشت اعيـن البصراء شمس الذكا باشعـة وسناء
اخفت نجوم قرائح لما بدت والزهر يمحق نورها بذكـاء
وسرت روائحها معطرة فمـا نفح الزهور مـطـيرة وكباء
وهمت بودق بلاغة وفصاحـة ازرى بما يهـمـى مـن الانـداء
وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ ـل تبلج الانوار فى الظلماء
وزهت بطلعتها على خود ثنت اعطافها بالعـجـب والخيلاء
سرت قلوب العارفيـن لانهـا حاكت مديـح معطر الانبـاء
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابى الـ ـحسن ابن احمد قـدوة العلماء
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله اغنى عـن الانشاد والانشاء
العارف الجم المحاسن من له صيت سرى بشواسع الارجاء
وابانها الشيخ الذى دانت له شمس المكارم دون طول عناء
الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ ـمعالى عـن النسرين والجوزاء
ذاك ابن مسعود الامام محمد من معدر قد حـل بدر سماء
ورث المكارم عن جدود كلهم غرر الدهور وكاشفوا الحوبـاء
بشراك انك نلت ماتبغيه من فيض ومن سر ومـن نعماء

وحبيت بالانوار والاسرار والـــ … ــاجلال والاعظام والالاء
ايه ابا عبد الاله فقد منحـــ … ـــت عوارفا من حضرة غراء
لما نزلت بها ازدهت وترحبت … بـك ياحليف سيادة وعـلاء
فامنا بما اولت من مولاك من … فضل عظيم جل عن احصاء

وله فيه ايضا :

قفا بالطلى فى اراكة نعمان … وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
واما بها صوب الحبيب مرابعـا … سقتها غوادى المزن من سح هتان
بها نشر النسيم من كل نفحة … يغار لها نضير زهر وريحان
منازل من اهوى منازل للصفا … نسيت بها فردوس حور وولـدان
اذا ماصبا نجد سرت نسماتها … تمل بها لبى وروحى وجثمانى
وان غرد القمرى فى غصن ايكة … اثار بلابلى بستغريد الحان
اكاتم شان الوجد ثم يبثه … من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
ويروى احاديث الهوى وعيله … فتهتاج لوعتى بجيران غسان
واني لاستحل اذكارهم وما … ازيد. بـه الاصبابـة هيـمان
ولو ان ما الاضلاع منى تكنه … برضوى لذاب من حرارة اشجان
وما شاقنى وصل الغوانى ولاهمت … دموع محاجرى لفـرقة خـلان
بجمعت الاهواء فى حب من غدت … محاسنه فى العصر زينة اكوان
وذاك امام الدين من شهدت له … معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد … ت فضائله كالشمس فى سطع برهان
ابان دقائق الحقائق فاهتدت … اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
وجلى بما حلى به كل مسمع … من الدر ما انسى جواهر تيجان
افاد وهذب القلوب فاصبحت … كزهر النجوم زانها حسن ايقان
مجالسه رياض جنـة ازلفت … تدار بها مدام حب وعرفان
وينقع من انهارها كـل غلة … بها سلسبيل لاحميم ولا ءان
وفيها شفاء كل قلـب مكدر … ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
نتيجة خلوة مع الله جليت … طرائفها لكل غرثان صديـان
لما شئت من معنى لطيف وحكمة … منضدة تزهو على عقد مرجان
ومن مدد يسرى بنور محبة … كما سرت الصهباء فى عقل نشوان
ويرقى به من سفل فرق مشتت … لاوج فناء الجمع منزل احسان
ومن كلمات يفلق الصم وعظها … ينيب بها لله كم من فتى جان
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ … ـزهادة موسوما ببهجة ايمان
على قدم التجريد للحق سالكا … بعزم وصدق فى تبتل رهبان
وعلم وايثار بمـال ومـهـجة … وحزم وجد عن بصيرة يقظان
على سنن العلم القويم لمحجة … بها سلك الهداة من كل ربانى

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم … فزرهم تر التوحيد فى شخص انسان
هم الانجم الزهر السواطع للعلا … اما فى انبلاج الصبح احسن عنوان؟
هم القادة الاخيار شم جحاجح … هم السادة الابرار من غير اعيان
لهم فى السهول والنجود مواطن … عطرن بذكر الله من بعد انتان
هم القوم لايشقى جليسهم ومن … فيوضهم يحظى بما فوق حسبان
هنـاك الهلال مـوذن بتمامه … وللشبل شبه من غضنفر خفان
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ … ـاماجد يافرد الندى طود اقران
خلفت الامام الشاذلى بهديـه … كما خلف الصديق مفخر عدنان
واحييت من رسم الطريقة ما عفـا … وشيدتها صرحا باوثق اركان
وشرفت من تلك البقاع معاقلا … غدت كعبة للفضل من بين اوطان
طلعـت بها سعد السعود وزهره … وهل شرف الاوطان الا بقطان ؟
ليهنا بلاد الغرب انك ناشيء … بها فلها فخار فضل ورجحان
تطفلت بالقريض ابغى امتداحكم … وهل برمال عالج طوق حسبان
ولو مدل فى الباع سيرت نحوكم … على نفس النسيم امداح حسان
ولكنها الاقدار تعـدل بالفتى … عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
«اهم بامر الحزم لو استطيعه … وقد حيل بين العير والفرض الدانى»
بقيت لاهل الدين روحا تمدهم … بنور من السر المويد صمدانى
وازكى سلام طيب النشر فائـــح … عليك به ينهل وابل رضوان

وله فيه ايضا :

ياسيدا مـن نـوره الوضاح … بسمت مطلعـه مـن الافراح
زانت بك الايام غرة اهـتدت … بجبينهـا الاعـلام كالاصبـاح
الف التحايا من الهك يغتدى … ويروح تحمـلـه صبا الارواح
تسقى نديم الروح فى نادى الندى … صرفا بلا مزح رحيق الراح
تزداد منه معـارفا ولطائفـا … ومـواهبا مـن ربـك الفتاح
ماذا يعد الشعر من شرف ومن … مجد خصصت به من المداح
هبنى بسطت القول اوصفت النـ … ـجوم قلائدا لنـفـائس الامداح
من لى بعشر العشر من اوصافك الـ … ـغر التى استغنت عن الايضاح
فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به … فيما يـروم بضاعـة الافصاح
ضاقت به سبل الكلام وضاق وقـ … ـت الكتب من عجل عن استفتاح
لازلت شمس الدين صيب رحـمة … تحيى بـه الارواح كالاشباح

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب … ابى الحسن الالغى ياسلوة القلب
سلام عليكم من محبين ان نات … بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

ويهون الهم لـفـرط تشوق   اليكم كما الظمآن للبارد العذب
فمنوا بفضلا عليهم بـزورة   تزيد بها صبابة الهائم الصب
بهم نجوما للهدى بسنائكم   تزاح غشاوة الخطوب عـن اللب

وله فيه ايضا :

لهنكم يا ءال الغ مفاخـر   فخرتم بها من بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسابنوركم   تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
فابناكم للعلم والفضل والهدى   اله حباكم فى العلا قصب السبق

وله فيه ايضا :

نسمات الرضا وروح سلام   تهتدى دائـمـا لمفخر الـغ
شيخنا الاوحد الهمام امام الـ   ـعصر قماع كل غى وزيغ
شاذلى الزمان روح الـكمالا   ت ومحيى الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن   غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب   وركن فى النوائب اى ركن
هناك احـبـة يسلو فـؤادى   بذكرهم فـيـجلى الكرب عنـى
وهم روحى وريحانـى وانسى   وجنة بهجتى وجـلاء حزنـى
فلا برحت مرابـعهـم رياضا   بساحتها ثمار الوصل نجنى

وله فيه ايضا :

تلك شمس القلوب بانت فتاهو   ام سبى اللب سمع قول الفتى«هو»
علانى فالاسم عين المسمى   بحديث من طـاح عـنـه سواه
وتلاشى بـنـوره كـــل شىء   صار عينى اذا انـــا ايـــاه
ياعريبا هـم الكرام اصيخوا   لعبيد يـهـدى اليـكم ثناه
بلسان عن حضرة القدس ينشى   منـكـم والـيـكم منـتـهاه
ارحموا العبد منة واقـبلـوه   فهو ضيف لكم وفكوا عناه
ياعلى بن احمد من به قـد   طاب سوس وذكـــره وسناه
وتـعـطر غربـنـا بشـذاه   وبـانـواره استنار دجـاه
ياماما قوت القلوب واحيـــ   ـــاء المعارف من مفاض نداه
له در السعيد شيخكم قـــد   طاب فرعا وطاب اصل جناه
عارف السر عـارف وشموس   نـخبة الشاذلى طـاب ثـراه
ان فى القول لاتساعا ولكـن   لات حين استقصائنـا ادناه
فعليكم تـحـيـة وسلام   يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا :

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى   من الروح والعرفان ويحك فى الغ
انخها بئال احـمـد فعليهـم   بانواره غين الضلالة فى دمغ
فلذ بحماه واحتفظ بجنابـه   لتحفظ من كيد الشياطين والنزغ
محلى مهذب الخلائق بالتقـــى   تروق كما النضار بالسبك والصوغ
وتصبح فى روض المعارف نائـرا   فؤادك مصبوغ من الحب بالصبغ

فاجابه الشيخ بقوله :

ايا طالبا سر المعارف فى الغ   فغين السوى عن عين قلبكم الـغ
وداوم على ذكر الاله تـر الـذى   تقر به العينان من كل ما تبغى
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله   يلوح على الاشياء طرا بلا زيـــغ

وله فيه ايضا :

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتـــه   فاهتز من طرب بـل ازدهى تيها
حيتك عنى صبا نسيمها ارج   تحيي به نفس هم كاد يفنيها
يستوهب العبد ان يرعاه خاطركم   كيما ينال لدى مولاه تنويها

ولـه ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين :

ياسادتى الغر العظام الشان   السالكين محجة الـعـرفان
اصحاب عارف عصرنا الالغى ابى الـ   ـحسن ابن احمد نخبة الاعيان
هبت على اشباحـكـم وقلوبـكـم   ارواح نفح تحية الـرضوان
منوا بدعوة صادق متوجــه   متطارح فـى عتبة الحـنـان
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا   ز من المهالك وامتطا الاحسان
فالـعبـد محسوب عـلى ابوابكـم   عار عليكم ضيعـة الـجيـران

وله فيه ايضا :

حى ربع الرباب من تحت حصن   منجدا زائـرا لا وثـق حصن
وبوادى العقيق فـيــه فعرج   بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقرا عنى تحية مـــن مشوق   قاده لهواهـم كـــل حسن
وتمل مـن الجمال ونـب عـن   نازح فى استلامك المازمين
عاقه ان يزورهم سوء حظ   وعسى ان يعود وصل لبين

وله فيه ايضا :

ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ   بذا خليفته الالغى ابى الحسن
ففز من الله بالرضوان واقتعدن   لذروة العز نائيا من المحن

وله فيه ايضا :

ذق مـن كؤوس ودادهم فتصافي ... وترى الهوى وسط المنى متـلافا

كيف الحياة بلا شعور القلب من ... روح الهداية للذى قد سافا ؟

فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان ... يحيا فؤادك تنتعش وتلافى

ان الطريقة قد تبلج بدرها ... في الغ تكشف في القلوب سجافا

من لم يرد من عند منبعها فلا ... يزلن طول حياته مهيافا

مذ ذقت من رشفاتهم انسيت من ... بيـن الآوان قـراحـهـا وسلافا

قد تيمونى من جمالهم فـلا ... كف تعير لغيرهـم اطرافـا

فهم فؤادى واللسان وكل ما ... عندى وما اعتـده اطـرافـا

فهم جمال الكون اجمع لايرى ... من لايراهم غير ما قد عافا

ليس النجاة بكف غيرهم وان ... نال العلوم وعاشر الاشرافـا

فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا ... الصاد ثـم الدال ثـم القافا

لاسيما مثل الامام القطب سيـ ... ـدنا ابى الحسن الذى قد صافى

فاليه كل محامدى جمعاء فيـ ... ـها منية القلب الذى قـد زافا

وببابه القى الرحال لعلنـى ... القى القبول لديه والالطافـا

وانا على لسن القريض اريغ ان ... لايغتدى قولى لـديـه غـرافا

فانا له حسان مدح دائـم ... متطلب من فضله اتـحـافـا

فليعلم الثقلان انى عبد اهـ ... ـل الله من قد مولوا من سافا

اصحاب قطب الكون من في الغ قد ... رفع اللواء وارشد الاطرافـا

فيه القريض اذا اقول يلذ لى ... فاشى اذا ما حكـته افوافا

لايحسب الشعراء انى مـثلـهـم ... القى كلامى في المديح جزافا

فالله يعلم والملائكـة الكـرا ... م ومن هم قد البسوا الانصافا

وجميع من قد ابصروا ماكان في ... الغ الهدى وعلى سناه اشافا

انى كمن يثنى على الدأماء في ... امواجها ان تغمر الاسيافـا

وكمن يطيل المدح في غيم همى ... بالغيث حتى افعم الاكنـافـا

وكمن يشيد بنور شمس الحفت ... بضيائها من كونها الاعطـافـا

هل في البحار وفي الغيوث وفي الشمو ... س سوى القصور لمن غدا وصافا؟

انى يحيط بمائها الثجاج والـ ... ـوهاج مـن انوارها اوصافا ؟

فاذا يكون المدح حقا صادقا ... فيمن شاى الاخـلاف والاسلافـا

مثل الامام امام هذا الجيل من ... فتح القلوب وزحزح الاصدافا

وابان هذا الدين صحوا مشرقا ... متلالا ببـريقـه خـطـافا

وازاح عن الباب من يلقى ولو ... عرضا ولو في ساعة أسدافا

وارى العيون من الغ نورا ساطعا ... نحى الظلام عن النهى فتجافى

فالمدح فيمن كان هذا بعض ما ... فيه قصير مجحف اجـحـافا

وان استعار المادحون من الريا ... ض شمائلا ومناظرا ولطافـا

او من عزيمة باسل متدرع ... يعلو الوغى ويعانق الاسيافا

ماذاك اجمع ما يؤدى ما هنا ... لك سوى مخايل تكتسى اليافا

تحكى كما يحكى الصدا من شعبة ... صوتا لما يجتابها مخطافـا

لكن مـا قـد كـان حقا يجتلى ... بفؤاد من ورد الحمى مستافا

مازال مكتتما وليس يراه من ... لم يغد عند بنى اللوا عرافا

سر من الاسرار يلقيه الالـ ... ـه لمن يشاء فيكتسى الالطافا

واذا يمس كلام صاحبه القلو ... ب يفتح الاسماع والانـافـا

فينيرها نور الهدى فيكون حـ ... ـا ملها لكل اللغو ممن عـافا

لاسعـد الا ان تكون نظيرهم ... ان تبغ من خلاقك الاتحافـا

* * ■

يامن به عاد الفؤاد لا منـه ... من بعد ان ذاق الجسو وعافا

لك مايفوق حقوق من نجلا وقد ... نحيت عن قلب العبيد غلافا

انقلت من سنة تمدى سجفها ... زمنا طويلا سمت فيه تلافا

واملت من رسنى الى جهة الهدى ... وارينتى كيـف الهدى اشرافا

فباى شكر يلتقى من كان من ... جرف الغوايـة والضلال تـلافـى

من لم يفق لم يدر ما غفلاته ... وان ارتقى العلـماء والاشرافا

مـا اغفل المستدمنين هواهم ... وان ادعوا وتنكبوا الانصافا

لكنه هيهات ان يستيـقـظوا ... مـا لـم يلاقوا واعظا لطافا

يضع الهناء مواضع النقب التى ... كانت لـكـل مضرة اهـدافا

مثل الامام اما منا من دابه ... وعظ الورى فيملق الاشتافا

خواص كل تنوقة ركاب كـ ... ـل هواجر في عمره الافا

ماقصده الا انتشال الغافليـ ... ـن وهزه بعظاته الاكتـافا

كم من جهول غافل في اهله ... جعل الهوى في جانبيه سلافا

لم يدر كيف الرشد اوكيف الهدى ... ضخم الكرادس لايميد ؛ معافى

سبقت سعادته فقيد لـداره ... شيخ المشايخ حـامـلا الطافا

فيسيمه رغـمـا دواء شافـيا ... والطب يغدو تـارة عـنـافا

من ياب تطبيب العياء بجنبه ... يبصر طبيب عـيـاتـه كتافا

فاذا بذاك الغفل عاد كانـه ... ما قط عاشر همدا اجـلافـا

ادر العيون تر الالوف وكلهم ... من هـؤلاء تحـولـوا اشرافا

عادوا رؤوس الدين بين هداته ... من بعد ان كانوا هم الاظلافا

هلى يد الغيـة تسدى الى ... الاقوام تهدى مـنـهـم اصنافا

كل ينزل في منازله ينـا ... ول من ثمار نظيره اقطافا

هذا يرى الفردوس منـزلـه وذا ... ك يرى له من دونه الاعرافا

والكل راض والمقاصد واحـد ... ما ان ترى في الممرعات عجافا

فتراهم زمرا اذا ما يرضعو ... ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يواردون عليه هيما لم يصـــ سدر كلهم من جانبيه سلافا
الله اكبر هكذا كنا سمعـــ سنا عن مشايخ هذبوا الاسلافا
كالشاذلى ونجله المرسى ان صقلا الفؤاد وساوماه ثقافا
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـــ ـب الوقت فى اقصاده الاهدافا
بعزيمة فعالة قوالة نهاضة مثل البروق الافا
يلج البيوت على بنى الغفلات رغـ ـما ثم يكشف عنهم الاسجافا
فيريهم نهجا الى خلاقهم لقما قويما لايرى اخلافا
هذى المفاخر لا مفاخر قصعة قد كللت بسديفها اطرافا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به سفن السعادة لاتنى اجدافا
دم للطريقة قائدا فى رتبة عليا تربى الفرش والصفصافا
وعليك منى يامام تحية ممن حباك الفضل والاتحافا
وارع العبيد القدم من بعد لكى يسقى بكأس محبة فيصافى

لابن مسعود فى هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب فى ذلك سهل من امثاله الذين يلقون مايلقون على عواهنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة الاخيرة ؛ اعطاها له فى المعدر ثم بقيت فى مبيضتها الى ان ظفرنا بها؛ وكذلك هذه التى يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بانه ابل من مرضته ؛ وهى :

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد فقد عاد منه للعلا البخت والجد
ولاح لها من نور وجهك نورها وزال بها من برئك البؤس والجهد
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى مكارمها ما لايظن له هد
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت حلوم قروم دونها الشامخ الطود
مرضت فامرضت القلوب وحل فى سويدائها مالاتشق من حمله الصلد
وخلنا قوام الدين قد حان حينه غداة راينا قطبه هزة الميد
فحمدا لمن بالبرء رد حياته فتنبلج البشرى وينكشف النكد
وعاض الى افراحه كل مشهد من الخير واحلولى لراشفه الشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت مكارم قد اشفت وساومها الفقد
وعاد ابتسام منتطاب مؤشر الى فئة الايمان فالشكر والحمد
ففى اليوم عاد الجو ابيض مشرقا وزال ظلام النحس وانبلج السعد
وعاد القرار بعد طول تسهد الى نظرات طالما مضها السهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى وقد امنت وارتاح بالراقد المهد
واصبح فى تلك المعالم نافح من الانس طال عن نوافحه العهد
فماشئت من قوت القلوب تجيش من ينابيعه الامداد ما ان لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
وما شئت من حب النبى وصحبه وشرعته حبا يضوع به الند
وما شئت من روح يروح عن فؤا د صب به اشفى على لحده الوجد
وما شئت من ريحان نور يرف فى ملابس بهجات تغار لها هند
وماشئت من معنى شهود يريك فى مجال الكمال الحق ما دونه بعد
كذا فلتطب اعمار زهر تارجت بطيب شذاهم التهائم والنجد
بهم يحتمى من سامه الدهر خسفه فبورك عزا دونه الابلق الفرد
حمى الله لاجوار جار ابى دؤا د لايستبيح جاره الدهر من يعدو
بهم فى دجنات النوائب يلتجى ضعيف على الخذلان اعوزه الايد
بهم تنجلى الحوباء والخزى والردى بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفى الرشد
لهم همم تفرى الطباق وترتقى الى العرش تحت بطشها الملك والجند
هم اسرتى ونصرتى وبعزهم اصول على دهر به تهضم الاسد
وهم مقنبى وفيلقى ومقاولى وفخرى اذا الناس المفاخر قد عدوا
وهم كرشى وعيبتى وبحبهم غنيت ؛ وكنز النطف يفنى له العد
فياعاذلى كن عاذرى فى تولهى بسر جمال من اشعتهم يبدو
اخالك مختل المزاج وكيف لا يهيجك نور الحق ما دونه صد
فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من الـ ـزمان ففوت العمر ليس له رد
ولاتغترر بالدهر يوسعك الجدى هنيئا فان السم يودعه الشهد
فما قر قارون على كنزه ولا ابـ ـن جدعان بل اودى بجفنته الاد
وغال نديم الفرقدين من اخترا ره الراى لم تلبس له الادرع السرد
فقبحا وشقحا للمفتن تطيبـ ـه زهرة فان وجد رقراقه فقد
وراقب على مدى الزمان الاله واحـ ـتفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه مجد
تهاونت بالانفاس وهى نفيسة وفى غفلة عما يراد له العبد
فلا تحقرن فى الشر نزرا فداحس بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد
وحاذر وان اركبت عزا ممنعا مصارع بغى هزلها فى الورى جد
فكم كان من جرا تهور ناطق هلاك امرئ ينماع من بطشه الفهد
فذا عروة الرحال عارضه البرا ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
اراد اجازة اللطيمة ذمة على الشيح والقيصوم فاغتاله الكيد
وماخاله بالغدر يجسر ضلة عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
الم باقذاع فاوغر صدره عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
ومن يعتصم بلبه لايخاف من مزلة اقوال يضيق بها القصد
وكن نابذا من لم يعنك على الهدى فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
وسر فى محجات الصواب منكبا عن الغى لاتحفل وان عذلت دعد
فهذا امام لاتكدر بحره الـ ـدلاء ولم يخب لرائده قصد
يجود على الالباب من نوره كما يذود من الاكدار ما ان له حد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها   يحل باذن الله ما ابرم الشد
يثنى ابن سعد جوده وابن مامة   نعم قطرة من سيبه دونها الجود
يشابهه فى العلم قيس بن عاصم   والاحنف حيث الغيظفى جمرهوقد
هى الشمس مامن دونها السحب يهتدى   بها سالك البيداء جد به الجـد
هو المورد العذب الذى لايشوبـه   من الرنق التنغيص؛ ياحبذا الورد
هو الجنة التى متى ما اوى لهاالـ   ـمروع لم يستمه ناب ولآحـد
هو الكعبة التى على كل ضامر   الى غيثها الهطال ينتجع الوفد
يفوت القريض حصر عليا صفاته   ولكنها كالـدر ضمنه العقـد
تطيب بـه اوقاتنـا ويمدنـا   بتعدادها من طيب انفاسه المد
ومن نعته من نعت مولاه كيف لى   بتوصيفه والعقل يعجـزه الحـد

* * *

فيايها الشيخ الـذى بشفائه   تراجعت الآمـال وانتعش المـجد
كانك روح الكون بل انت روحه   فمنك له المحيا يراوح او يغدو
فما نحن هنانا الامام وانما   نهنى به الاسلام حق له الحمد
على ان بقيت فى حبور بمتعة   بها بهجة العرفان تم لها العود
فمد الاله عـن الفاضة نعمة   لكم عمرا ينمو به للورى الرفد
وننبع منه كل عين بمشرق   وغرب بها الوراد يغمرهم ورد
فما انت الا الفرد تقصر دونه   عبارات من امداحه حولكم تشدو
لئن سوغوا فى المدح قول مبالغ   يسيح له من فوق ممدوحه مد
فانت سموت المدح من كل قائل   بليغ فما من جزر تقصيره بد
لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد   صريع الغوانى واللهى رشحهاالحمد
واغرب بل اربى على كل شاعر   ابو الطيب الجعفى يقتاده الجد
فجاء بنى حمدان من نفثاته   مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
واسدى لكسافـور ثناء مخلقا   تطيب به فى روضة اللسن الملد
فانت احق بالقصائد ينتقـى   لها الماس والياقوت والسلك والنضد
احق لعمرى بالمدائح فوق ما   يحوك ابن اوس حين فصحه الرفد
لئن كسبوا فى مدحهم كل طائل   ففى مدحك الطول الذى ما له حد
فما انت الا الروح والروح علمها   كما هى عند من هو الصمد الفرد
كسوت جميع العصر حلة همة   منمنمة ارقامها العـزم والجد
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم   مدارك ذوق خالص ما له نـد
فكم قرية ماتت فاحييتها بما   تفجره فيها مواعـظـك المد
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا   بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى   يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
كذاك يكون الفخر بالرشد عندمن   يربون يعلوهم مـن العصمة البند
وما عصمة الصوفى الا احتفاظـه   على النفس الغالى فيكنفه السعد

ففى كل قطر كان مشرق سعده   و(الخ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

* * *

بقيت لهذا الـدين تحمى ذماره   بسطوة شهم دونه الاسد الـورد
وازكى سلام يعبق الـكـون عاطرا   به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدهـا   تظل الندى والعز افنانه الـملـد

ثم كتب ابن مسعود تحتها :

تم تبييضها فى ءاخر يوم منذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨هـ عرفنالله خير الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعودالطالبى كان الله له وليا ءامين

اقول : ان القصيدة اذن بيضها قائلها فى اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ التىكانت فى ٢٨من ذىالحجة المذكور وفى ءاخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابـع   بها همعت للعاشقين مدامـع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى   به رونق الهدى لمحياه راجع
اباالحسن ابن احمد الاحمدىالرضا   ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلـعـة   تضىء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة   عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست   به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم   من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهـب ولـمـحة   تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز   وما لقضاء الـلـه رد ودافـع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجأ   وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طـيـب وتحيـة   عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران   من سفح مربعها الشذى النورانى
فزهت بمسراها البسيطة وازدهت   وترنحت طربا مـن الاظعـان
وتعطرت ارجاؤها بعبير مـا   نشر النسيم بها كنفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها   شمسا يغار لنورها القمـران
فكانها وبها حياة الكون مـو   لانا الامام العارف الصمدانى

الى ءاخرها وقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

والفقيه الاجل سيدى محمد بن علي السويرى المنشا ؛ الاكاديرى الاصل من اصحاب الشيخ قصائد فيه نرجئهالترجمه؛ففى مطلع قصيدة (فيها٣٣بيتا)

قصدت حمى ذى الحباء المديد كـريـم تسامى بـغـير نديد

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر

ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امـولاى ياعـلى ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهـب

ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها٢٢بيتا)

احبه خير الخلق امته التى توالت لها البشرى وقرت به عينا

ومطلع اخرى

المس الجنى بالواحد الاحد الصمد فليس سواه فى المهمات يعتمد

ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجا الورى وياغوث اهل الجود والمجد والفخر

وللاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد عليه اول يوم :

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقـتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مـرتد
حماه من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غـربتـى فقصدته فيانعم مقصودى وياحسن مقصدى

وكتب اليه ايضا :

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهـده
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده

وللعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلالنى نزيل مدرسة سيدى يعقوب وهو من الآخذين عن الشيخ :

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتر زهر على الفنن

نصحت امام الدين نصحا جزاكمن يخص ذوى النصح المعمم بالمنن
فانى منظوم بعقد صحابـكـم لعلى تحت الظل اظفر بالجنن

وللفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل افران ممن ينتسبون الى الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ هذه القطعةفى المترجم ؛ مع هذه الرسالة :

«الا خفى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع للشريعة والحقيقة والباذل نفسهونفيسه فى هداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح والارشاد ؛ سيدى الحاج على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون قدر ماانتصبتم له احتسابا ومقدار ماتلاقونه من الغوغاء كلما طرقتم بلدا بلدا فبصبركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا مؤزرا على الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحقين ؛ فاعانكم الله ووفقكم على ماانتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بان ليس لنا فى الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابيـاتـا حضرت لى فى جنابكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لم اكن اهلا لهذا الشان ولاتريض لى فى ميدانه لسان :

أنت خير الشيوخ فى الاقران وفريد للنصح فـى الازمـان
كل يوم تظل فيه فتـغـدو ثم تمسى تقتاد مـن عميـان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدى بنـى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا ح اماما والـغيـر كالبعـران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قـا ل مقالا قد مر فـى الآذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جهـ ـرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالـ ـشعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشا ك من الله سابـغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى اللهعنه

اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواقوجدهم فليسا محونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب •

وللشريف الركانى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراكش ممن اخذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها :

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناه العالمين ونائلـه

ويوجد ماوقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سياتى ان شاء الله فـى القسم الرابع

وللعلامة سيدى محمد بن عبد الله الالغى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم وقدورد الى الغ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر   على من من اقران وصف يرى
وتوجد كلها في غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه :

ابا حسن منى سلام عليكم   على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففى دار العبيد جماعة   من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا   فاتيانكم والله قصد نظامى
وان نالك الاعياء او عن عارض   فانت برىء من عتاب ملامى
وثم عليك حيثما كنت دائما   سلام ببدء امركم وختام

وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا :

ابا حسن انهى لحضرتك التى   زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشبعه منى الصبابة فائحا   فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه   اتى مسندا الى شفيع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب   ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرتنى وحشة من فراقكم   بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا   الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله :

ابا حسن زرنا على عجل ومن   تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه   لابحر شوقكم مدى الدهر فى غرق

فاجابه بقوله :

اجيب بجثمانى وقلبى لديكم   رهين فما احلى اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضـ   ـه يحظ بنيل الدر منه بلا غرق
وانهى الى عليـاء قدرك اننى   اطير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى   وقلبى الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد :

ابا حسن تمم مسرة عيدنا   باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا   فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسى الطبيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى على بن احمد وبعد فسل خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامتثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله :

وفيت بما تهوى جزيت جزاء من   يرى فى الوصال للاحبة قربته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى   لدى ربه الا بمثواه جنته

واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم   لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى

فاجابه :

عليك سلام ياكريم معنبر   يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلبيك من اخوان صدق تراهم   كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى   لان بهذا الجمع من لايبكر

وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه واحسب انه لم يحضر فى هذا الوفد والالكان هو المجيب :

على اننا لانبتغى غير نظرة   تكون بها الاذيال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى   لحضرتكم ياشيخنا من يبكر

وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة فى زاوية الشيخ الالغية يوم اسست فى شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها :

بيت اتيح الخير من وجهاته   فاتيح ما ينكا الحسود القالى

وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية فى اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهنئا بولده سيدى محمد ما مطلعه :

اتى نبأ دال به دولة الانس   واضحت به العلياء طيبة النفس

وتوجد كلها فى ترجمة سيدى محمد المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران :

هنيئا لقلبى والهناء على مثل   يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبابتى   فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى   لاولى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا   كمن جاءه فى داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الغ • وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمدوالاديب سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الازاغى فرحب بهم الالغيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد الافرانيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر

فقال الشيخ المرجم فى الترحيب بالوفد مسايرا وانلميكن فى مسلاخ الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيب   ثلاثة اقمار ببيض طوالع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم   فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيئت قلت فارة المسك فتقت   فطابت وفاحت النواحى الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفح نسيم الروض والروض ناصع   ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذى الثلاث كانها   (ثلاثة اقمار ببيض طوالع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت   معارفه او علمه المتتابع
امام اضاءت من سنا نور سره   قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارجاء من نفح طيبه   فطابت وفاحت النواحى الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا   هو السيف تاثيرا! فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا   على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازالت العلياء تزهو بنوره   ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثويا (١) زاهى السقف • تلونت فيه الالوان • مما يعد كالبديع بين القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها وتلوين خشب سقوفها عند الرياء الغ • فقد وقف سيدى سعيد التنانى على ساج السقوف فى السويرة حتى تم تلوينه وتزويقه على يد امهر النجارين المزوقين ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الغ • حيث وضعه صانع ماهر فى سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته ثم فرش الثوى وهو فسيح بفرش حضرية من الزرابى المزركشة والمسانـد وبعض الحشيات وراءها حائطى رفيع • وفى ربع من ارباع المكان صف مـن الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا كله غير معروف فى الغ فكان اضياف الشيخ يستاثرون بالجلوس هناك وحدهم فوجد بعض المبتدئين من شباب الغ مسرحا جديدا لقرائحهم ؛ فقد رايت من ذلك قطعا لايستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالغيون يسمون ذلك الثوى (الكايزة) وغيرهم القبة • قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى •

(١) الثوى كغنى : البيت المعد للاضياف

اياتاج هام الفضل ياملجا العانى   وياواحد العلياء من دون ماثان
بنيت لاهل الله دارا ترفعت   بما ضمنت من كل حسن واحسان
تجلت عروسا للعيون فاصبحت   وقد سفرت تزهو بحلية اتقان
سماء كما حل النسيم اذا سرى   على روضة اكمام ورد وريحان
فمن ناصع فى ناضر حول احمر   كما لاح نجم الافق فى الشفق القانى
محاسن تعشو العين منها كانما   تبدت به شهب المطالع للرانى
لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل   ترن بما يزرى برنات العان
تذكر وقت الدين فى كل ساعة   بتنبيه ساه او بايقاظ وسنان
مكان رسا بالدين والعلم والتقى   فاربت معاليه على كل بنيان
لك الله من بيت رفيع بما حوى   من المفخم الباقى الى الزخرف الفانى
يذكرنا جنات عدن وما اعـ   ـد رب الورى فيها لابرار عبدان

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة   بزراب منوعات انيقة
فوفت بالالوان حتى تراها   كزهور تنوعت فى حديقة
تتراءى الوانها فى خطوط   وتعاريج ضخمة ورقيقة
تلك بيضاء حشو حمراء تبدو   راى عين كدرة فى عقيقة
افقها زهرة وفى ارضها فاعـ   ـجب لها زهرة الرياض الفتيقه
واذا ما نظرت جنبيك ابصر   ت بعينيك باهرا عن حقيقة
(ماكنات) بطولها قائمات   معجبات قاماتها ممشوقة
تذكر الله فى كل وقت اذا دقـ   ـت برناتها لكل دقيقة
بهجة فلة تشوق الى الجنـ   ـة نفسا بربها صديقة
كل من زارها يرى نفسه تهـ   ـتاج نحو الفردوس اى مشوقة
رضى الله عن امام البرايا   من بناها لعلية دون سوقة
من ابان الدين الحنيف به فى الـ   ـغ نهج الهدى وانفق سوقه
خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب   لكسول محاول ان يفوقه
كان لله مخلصا فحباه   من سناه صبوحه وغبوقه
جيهل ايها العلماء لشيخ   مصدر عن شريعة وحقيقة
فهو غوث فى العصر هذا وبدر   يدرك الزائرون الغ شروقه
فاته يامريد تجن قطوفا   دانيات الجنى بخير طريقة

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها :

الا نزه العينين فى خير ماقبة   لخير امام حائز خير ما رتبة
ففى سقفها او ارضها وجه روضة   ازاهيرها شتى واكوابها عذبة
تشوق من يعنو امام الهه   لجنته ترضى عبادته ربه

لمن مثل هذا الشيخ جمع حولـه   من الدين للدنيا لقى بهما نحبـه

ومن ذلك قطعة الامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ،ولكن لم اسحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما   ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لايبصرون سوى   مايبصرون كأن لم يرزقوا الفكرا
للعارفين شهود فى مقاصدهم   ويستوى عندهم ما سر اوجهرا
للجهر والسر اسرار وعندهم   فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المغتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى وهو اذاك فى المدرسة الالغية :

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد   اميلوا عنان المدح والشكر والحمد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى   يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
ترى الحسن فيه مثل روض تفتحت   به الزهر اوكالدر فى وسط العقد
فلله مثوى الشيخ سيدنا اذا   يفوح بعرف العود فى الجووالند
عليك سلام ما تقوم على الهدى   فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا :

فلله بيت شيد للديـــن والتـقى   وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت   عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوفا بالطاف ربنـا   فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثلـه ، فهنالك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى لايرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولاتغنى منجوع ، ثم ان هذا الثوى تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ ﻫ خرعلى من فيه ليلة فكادوايهلكون
وبعد فقدخوطب الشيخ من ءاخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجمهـم مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ،كمان هنالك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننانختصرفى حذفها هنا لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها :

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى   قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هنالك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها :

صدحت مـطـوقة بائل البان   ام نفحة وردت بريح البان

فهى التى تسمى «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالغية مـن اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها فى مجلد ضخم وهى التى ذكرنا بعضها قريبا فى اول هذه القوافى
وحين رجـع الشيخ من حجته كتب اليـه العلامة سيدى الطاهر بن محمد من تارودانت يهنئه

تأرقت لما شمت برقا حجازيا   بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
وذكرنى اعـلام طيبة فانثنى   بقلب لنا والوجد مازال صاليا
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتطى   مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
وساد مع الركب الكرام يقوده   زمام الهوى حتى ينال الامانيا(١)
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى   ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
فيافوز من امسى بطيبة نازلا   بخير رسول كان للضيف حافيا
يروح ويغدو فى مسارح جنة   ويجنى بها ثمر المكارم دانيا
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر   ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويغسل قلبا سودته ذنـوبـه   ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
فيا ليتنى قد نلت لثم ترابها   واحدثت لى فيه بعيدا لظماريا
وياليتنى اذ فاتنى نلت نظرة   بوجه سعيد زار تلك المساعيا
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا   على هامة النسرين بالجد ساميـا
ابى حسن بدر الهداية من دعى   الى الفوز فى جمع فلم يك وانيـا
ولكنه لبى النداء مسارعـا   وصار على متن الصبابة ساعيا
ووالى السرى حتى اذا مابدت لـه   اباطح سلع جدد العزم راميا
وعفر فى مثوى النبى جبينه   فاصبح فى ليل الغواية هاديا
هنيئا له نال المنى واحق من   يهنا من زار الطبيب المداويـا
فياسيدى ابشر بذخر شفاعة   واجر كبير لم يزل متواليا
قلمت فضاء الغرب واهتز عرشه   سرورا وما ان زال مذغبت داجيا
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن   اماما له لاريب فى ان يباهيا
وانى ممن كـان ودك عقده   فباح به دمعى ولفظ لسانيا
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا   قدومك لكن حيل دون رجائيـا
فارسلتها تمشى اليك وتستفى   بنورك ان ضلت تبث التهانيا
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى   رمانى بهم وقعه غـال باليا
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى   تملكها مازال يملأها عـيـا
عليك سلام كالنسيم اذا سرى   يحدث عن اعلام طيبة راويا

وقال ايضا يخاطبه وقد ذهـب لزيارته يستغيث به فى امر عناه

اتيتك حبوا للـزيـارة عندما   غزا صرف هذا الدهر فكرى فاحجما
ولم الف احمى منك فانصر فانه   تجمع واستعدى الحياء والجما

١) الياء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره   فكم اطلعت رؤياك للسعد انجما

وكان الشيخ بعث الى سيدى الطاهر هذا اللغز فى اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى   هو الثانى اولا ونسبة اول
وثان وثالث بجمع من ءاخر   ثلاثة ارباع لعشر فحصل
وثانيه خمس ثالث تسع اول   وثان وثالث بثلثيه تنجلى
الا فبالغير سر وفتش على الذى   ترد اليه المعضلات بمحفل
ولاسيما ان طاهرا اوعرابيا   تلقيته فانزل وبت خير منزل

جواب سيدى الطاهر

انننى فحلت من عقال الردى عقلى   واحييت ذماء كان اشفى على الويل
ووافت فؤادا قارب الحتف بعدما   عليه امير العى قد كاد يستولى
فسلت على فرط الصبابة والجوى   تروى غليل الفكر من مائها الجزل
فهشت بها ارض القريحة مثل ما   ربت بعد محل شانها الارض بالوبل
احق لها اوفى النصيب بقوله   ومن كان احياها له اجرة الكل (١)
حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها   وخص جنس الانس بالفضل ملقول
وخصك منهم بالمعارف والحجا   وبالهمة القعساء والعز والفضل
لقد كدت اذ انا جيتها فرحا بها   اطير واستعلى على العالم السفلى
ولكنها من بعد ان سر وصلها   تكلف سقبانا مقارعة البزل (٢)
فقلت لها ناديت والله ميتا   وطالبت صلدا ليس يبتل بالبذل
ولما ابت الا الوفاء وليس لى   بحكم الهوى الا امتثال الذى تملى
اجبت ولكن الفهاهة اخرست   لسانى ومالى عن مرادك من ميل
اشرت الى اسم لامسمى وراءه   نظيف على شخص له ليس بالاهل
فاوله تسع وثانيه واحد   وثالثه خمس بذلك يستجل
فمجموعها عشر وخمس وعزوها   الى المائتين ءاخرا جاء بالسؤل
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى   ولكن لما امليته ليس بالمثل
فمعذرة منى الى عفو سيدى   اذا كنت قد قابلت علمك بالجهل
وما كنت لولا ما كلفت بحبه   من العفو ان استن فى تلكم السبل
ودم سيدى للمشكلات تحلها   اذ احاد عن ادراكها كل ما فحل
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة   بتوفيقهم للرشد فى الجد والهزل
عليك سلام ما تلذذ عارف   بذكر وما اشتاق المحب الى الوصل

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى العز ينسب   وثانيه خمس اول وهو يضرب
بخمسة اسداس له اول جلا   علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

١) تلميح الى قوله تعلى : ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
٢) السقب كفلس : ولد الناقة والبازل : الكبير من الابل

الجواب :

تاملت لغزا اتعب القلب حله   وعاناه حتى بان لى انه اللوز

ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب   ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه   يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه   بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضممت ثالثا للذى تلا   فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ :

قلم البليغ يبين لغزا منبئا   عن غور فهمكم السليم الانقب
يمشى ويركب وهو امر مشكل   والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث   والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحذ الذهن   يبين لفظا فكرتى منه فى وهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه   لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجىء ان   نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه   يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما   صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما   ولا زلتما مستسهلى كل ماقن

الجواب

تاملت هذا اللغز يا ايها الخل   فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه ءاناء الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها ارباب الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ماصدر عنه وذلك قليل ، وهاك الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايغمض فيه اديب :

سعد الفقير وساعدت اوقاته   ما دام من اذكاره اقواته
بالله يفرح كل قلب ما له   غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فى ربه   فبه تتم لقلبه شهواته
من لايرى فى الكون اجمع ربه   بوجوده فهل انجلت مرءاته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها :

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها   ولازم بخلف ما اشتهته عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ   ـمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نوروجهها   وتجنى على الوصل الشهي رضابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها   فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكرسيفي :

اموسى اجمعن في الله همتك العليا   واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لـن يزال مولها   بذكر كثير كي تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده   وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا ؟

ومن ذلك ماقاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلكي الشهير :

ادخل مبارك حضرة الرحمان   بعزيمة المستوفـز الربانـي
وانس السوى حتى يكون مشعشعا   منك الفؤاد بساطع نورانـي
فالسر كل السر في ان تقتدى   في حضرة قد كنت فيها فاني
ان العبودية التي يابى الهوى   في النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا   قد مهدته شريعة الرحـمـان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى :

ولى مذهب في العشق منفردا بـه   فلست ملونا بوجد ولافـقـد
قد امتزجت روحى بروح احبتى   فلا وصل في قرب ولا فصل في بعد
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل   فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابياتا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربي الادوزى حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه   ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم   وبنتا لصلبكم فلى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد   وما كان ذاك في قضيتنا اثما

كان الشيخ قال في الشطر الاول من البيت الاخير هكذا : زففت لنا البنتين في عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد في الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما في بعض الروايات ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يـامـن لهم دول   فنظم جوهركم يسرى به المثل
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى   ومن بهم نحو دبى الدهر مرتحل
وبابكم هو باب الله من غلقت   ابوابكم دونه ما ان له حيل
ومعشرى كل اهل الله قاطبة   والله قصدى ومالى في السوى امل

ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لايزال الى الآن يطن في اذان من كانوا يعيشون في سوس سنوات ١٣٢٥ هـ ١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها في المجامع وفي الاسواق وفي المواسم ، وفي كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة المحتلين الذين نزلوا اذذاك في الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحى المغرب من ادناها الى اقصاه وهذه الغيرة الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ يأثرها عنه اصحابه قبل هذا الحين وكثيرا ماكان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاى الحسن ، فـي مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له في رحلته الحجازية جذوة متاججة في هذا الموضوع فاسمع لمايقوله في هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥هـ اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى في ءاخر الايام   هـنـاك مع فـذ من الاعلام
أن كنت من بعد صلاة العصر   في جامع الزيتون عند الحبر
اعنى به ذاك الـذى سطرته   وبرفيق القـلـب قد ذكرته
مستنـدا الى عمود الشاذلى   وهو مكـانـه لـدى الاصائل
ذاكرني في العـقـد للمحبة   لله كالعـادة فـى الاحبـة
فقال بلغن الى الرسول   متى حظيت منه بالمثول
فقال قولا الـهـب القلـوبـا   حتى تكاد منه ان تـذوبـا
وحرك الاشباح والارواحـا   وحرك الجبـال والبـطـاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف   وكنت اثناء مقامه الـمـنيف
وفازت النفس هناك بالمـنـى   واكتحلت عيناك منـه بالسنا
فقل لـه يـا ايها الرسول   غر بـنـى ملـتـك الذهول
وانها لامـة مستضـعـفـة   احتـوشتها امـم مستضعـفـة
حتى غدت كاللحم فوق وضم   من يفتح الشدق اليها يلهم
رموا وراء كـل مـا خلفتـا   وضيعوا في الدين ما اسلفتا
ونبذوا الدين سوى اطـلال   تبدو لما اسست كالـظـلال
وابتلوا كلـهم للشهـوات   كانهم قد خلقوا من شهوات

فياسهم بينهم شديد   من اجلها كأنهم حديد
بيناهم في غفلة ووسن   ليس لهم بين الورى من رسن
اذ دهمت بين الديار الجل   فالبعض في الاسرى والبعض قتل
قد زعزعت بلادهم كفار   كان لهم من قبل ذاك ثار
فاستحوذوا على بلاد امتك   وقصدهم محو لكل ملتك
حتى غدا كل بني الايمان   اسرى بوسط الدار في البلدان
ودينهم ممتهن عيانا   كما يلاقي اهله الهوانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا   وامتهنوا بيد من قد كفروا
فهاهم في صقعهم لاحولا   لاقوة غير دعاء يتلى
وما لهم وجه به يستشفعون   الى الهك ومنه يرتجون
سوالك يا خير البرايا عنده   فانت من ليس يرد وحده
فليس للمستضعفين غير   دعا اذا مس البلا والضر
فانت باب للدعا فيستجاب   فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
بلغ الى نبينا هذا الكلام   من بعد ان تقرا له مني السلام
يقول ذاك والدموع في العيون   كانما ثرت بمائها العيون
والصوت بالنحيب عال وانا   كدت اذوب لهفة وحزنا
حتى عراني الجذب في الحين كما   يقع لي حين اجيش ضرما
ثم جرى مابيننا صموت   ودأب من تحيروا السكوت
فلم يكن مني ولا منه كلام   بعد سوى مد اليدين للسلام
اذ قرب المغرب فافترقنا   وانا بما جرى احترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين   فذو نفاق مختف مكنون
وكيف يرضى مومن ان يحكما   امر بني الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لايدع مجتمعا الانادى فيه بالبراح (١) : ان الزمان قد استدار • وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو في اثناء ذلك يشترى السلاح ، فقد عدما تركه بعد موته بست عشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى التسلح لانه صاحب زاوية وقد رايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لايكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لايجدى في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطيين والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي   اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت

هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام اخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات •
ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

١) البراح كشداد : المنادي في الاسواق عادة

فهكذا ورد الى موسم تازاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان ينتهيا الناس وان يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد • وكذلك كان يوما اخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قد حان ليتكتل الناس كلهم امام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكموا في السلاح • فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فبينما يقول ذلك ، اذا الاشكر – الرئيس هناك – يتخذ كلامه سخرية اذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «اوقد استنكفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تابى ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذى هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ ﻫ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولايزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ ﻫ الى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء – ان لم تدافعوهم – من لايكتفى منكم بمال ولابارض ولابدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لايابهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعدر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لايزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولايصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال : يا عجبا ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلابد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك ياهذا – يخاطب ذلك القائل – تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء • بجوار مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى

فقلبه الاستعمار فانقل عن القوم ، قال الحاكي : لم لم يمض الا سنوات قليلة فاذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزنيت واقفا في ذلك المكان بعينه فظهر مصداق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصي تلميذه الحاج الحسن الكلول رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، وبيده البندقية وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلا كله ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه: ان قلبي لينمزق على هذا القطر ، فانني اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد اجلت بصرتي في هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولامن الناس فلامال ولارجال ولاايمان وانما انا وحدي الذي افلض الله على هذا الجيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم ــ كما قال الحاكي ــ

حضرت يوما في نزهة من اخلاط الناس في عرصة البياز في باب دكالة وكانت محلا للتنزه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشي ، فجرى ذكر ايام الاحتلال الاول وصار الحاضرون يخوضون في عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا معذورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولاكيف يحرك عركاته متى امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعض اهل الحومة الى النزهة ، فقال : اننا في تلك الجهة من حاحة الى سوس لم نوخذ على غرة ، فقد كان الشيخ سيدي الحاج علي الالغي ينادي فينا صباح مساء انذارا واستنهاضا لندافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التي يسيح اليها مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الانادى فيه بالتهيىء التام من جميع الناس للجهاد فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما عند قائدنا في تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاحيين وعلماؤهم في حضرة القائد فقام في الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبث الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له : ان جل هذا الواجب يقع على عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد : اننا ياسيدنا ــ معشر القواد ــ نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكنا اليوم يميل الى مسالمة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين،وان نراعي خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعي من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهاك ياشيخنا يدي على ان اكون اول من يموت في سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكي : فاعرض الشيخ عما جاذبه فيه القائد ، فقال : «اما انا وكل من يتبعني من الفقراء فقد هيأنا انفسنا للموت في سبيل الله ، لو فتح لنا الميدان، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم في مخالفة السلطان ايضا مصلحة» ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال : انني اوقن ان الشيخ لو تيسر له ان يحضر في ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكي : اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمني اليه فلم اكن اعرفه قبل، ولاعرفني فاحفى في السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لاازال تلميذا مغمورا في الجامع اليوسفي •

ارايت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصابحهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون الا ولا ذمة في اهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزءا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذي يعلنه ان يقتدي به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى اعظم من مكانته التي كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما في الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم متندرون على شيء ، فقال منهم قائل : هذا الشيخ قد اقبل وهو الذي ينادي بالجهاد فهل تقدرون ان لاتقوموا له اذا مر بكم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون بمولابما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لمارايت ذلك تبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله •

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ في السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولاى حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى ادرك الذي يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكي لمثل الفقيه سيدي علي بن عبد الله مارأى وقد قال لغيره : ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا في المقاومة لان عند العدو من السلاح ومن «الات الهجوم والدفاع والمحادثات ماليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال في مجالاته الخاصة والعامة حول هذه المقاومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند مايخوض فى كل شىء مؤثر ، ولكنه فى هذا الموضوع يغلب على حاله،لعمق الفكره فى نفسه بغمرة الايمان ، فلايحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلــده المعروف .

حكى لى من لااتهمه،ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزنيت معاصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكى : فوقفت ازاء باب الضريح،فاذا بى اسمع نشيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ثانيا ـ وكان ممن لايستحيى كثيرا من الشيخ ـ قال : فسألته عن سبب بكائه الكثير فقال : هجم على ان رايت تزنيت هذه مفعوعمة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسى حتى كان ماكان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها مااستولى ، حتى لا مطمع فيها لطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له : «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال : اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه فى هذا الوقت ؟ قال: ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد:

ان دام هذا ولم تحدث له غير   لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ : لماذا لاتقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فانا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له : ان تصدر امثالى فى ذلك المايبين الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لايتصدرها الا الامام الاعظم، وامامنا اليوم هو مولاى حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاى عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يامر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماء العينين قد امره ان يترك هــو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خــرق سياج ماامر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فاننا لابد ان نذهب نحن والفقراء وهم «الاف» ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لايستقيم الابالسلطان وكل من تصدر له دونه ـ خصوصا ان كان ذا شهرة ـ فانه لابد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لاتؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارىء الشيخ جائشا متلظيا متشوقا الى ان يكون فى صفوف المقاومة الا انه تتراءى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع مايغلب عليه احيانا فيفلت منه ـ على جهة الالمعية والفراسة ـ من ان الاحتلال واقع ولابد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه فى الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ فى هذه الناحية كثيرا واودعتها فى جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة فتافيلالت

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكاتبون الشيخ ويسالونه فى المقاومة فى الحدود التى كانت بينهم وبين الجزائر ، ـ وقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعــد ـ فكان الشيخ يـجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التى يكتبها اليهم :

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع مافيها من المسائل وها نحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرءة عدو الله ورسوله على بلادكم وحريمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قد فتح لكم فى بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا فى باب الجنة بان تسلمـوا اموالكم وانفسكم لله فى سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم :«الجنة تحت ظلال السيوف» وقال : كلكم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخــوانكم المسلمين فى هذه الجهة تتحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا ان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادى نون مسيرة شهر فى اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم فى بلادهم ، فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، ولاتقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولــوا : «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون فى الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمومنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض فى سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لايكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلايخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره ، والله لايهدى القــوم الفاسقين ، لقــد نصركم الله فــى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجـوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشىء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعــتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راى عدو اللــه ورسوله اجترأ على الاسلام لم يجاهد فيه باموال ونفسه ، وقد قال تــعالى

«وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله» ولم يكن شىء يوكد الله عزوجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذى قام به الدين ، وقدكان المسلمون يشتهون الجهاد فى قديم الزمان ، فهاهو اليوم فى بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه فى بلادهم فلاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ، جاءالى بلادهم فصاروايخافون منه ولو قمتم بالحق الذى وجب عليكم فىالشرع من الغارات عليه والاغزية وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشيئا،وما هو الا ابن ءادم مثلكم ، يضره مايضركم كما قال الله عز وجل «ولاتهنوا فى ابتغاء القوم انتكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون منالله ما لايرجون وكان الله عليما حكيما» وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه «ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة» «وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما» ولاتقولوا ان تركنا نتركه ، فلايجوز لكم ذلكفى الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوهفلابد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولاتقولوا هانحن معهفى الهدنة فلو انكم قمتم فى هذه السنين التى كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولاتقولوا نحن قليلون، بل انتمكثيرون عنده فقد خاف منكم لغاية ، ولكن اظهرتم له الذل لماكنتم تعاملونه فى الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم فى الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم فى جهة واحدة وجهةالمسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة ، ولاتجوز لكم المهادنة معه ، بل وجبعليكم ان تشمروا عن ساق الجد ، واجمعوا رايكم فى اهل الخير ، وتجاهدون فى سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا فى اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولاحرمنا الله منذلك الاجر بجاه النبى وءاله والبخارى ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله فى الجهاد لاغير ، وان احتجتمالينا فىشىء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذى صار الى رحمته سيدى الحاجالحسن الذى عرفتموه وحامل الكتاب الذى هو خليفتى فى كل شىء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذى خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو فى قرية (اودير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، فىعام ١٣٢٧ هـ اذراى مناما حكاه لىالشيخ سيدى ابراهيمبن صالح ، فامالى اذنى ، فقد قال : «ان الشيخ اخبرنى مشافهة انهرأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى اوديرفقال له : اننى اراك كثيرالاهتمام بامر النصارى ، فاجبته : نعمياسيدى ، فقال «ان هذاالذى وقعتفيه من الهم والغم والقلق وقعت فى مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرتاقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمرى اليه ، فاذا بنصرالله جاء بفضله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلاحرب

ومركذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوافى وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك فى حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله فى امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك فى وردهم ، وهاك من رسالة للشيخ فى ذلك ، ونص المقصود منها :

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبرفى ملكه وفى ملكوته فى المسلمين وفى اليهود وفى النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة فى الصباح ومائة فىالعشى فقد أمرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) ولايمكن ان يختم على امر فيبقى على حاله ، بللابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلابد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى انقدرتم انتبرحوا به فى اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيراوصغيرا ذكورا واناثا فى الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا فى الاضطرار اليه لان قوة الله هى الغالبة لقوتهم بلاشك ولاخلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلابد ان يرد كيدهم فى نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان ومالم يشا لم يكن»

ومن رسالة اخرى :

«.... متى اراد الله انيرد النصارى عن المسلمين فلايصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شىء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولاملجاولامهرب من الله الا اليه فقد ظهرتعدى النصارىولم يبق الا قولهتعالى : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية ردالله كيدهم فى نحورهم،تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا فى العام الاولفى ثالث عاشوراء بخدمته فىالصباح والمساء مائةلكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه فى الورد،على نيةهزيمة النصارى منبلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التى رايتها من الاستنهاض وتنبيه الناس لمايهددهم ، صاريبث فى اصحابه ـكمارايتـ مايستنهض ايضا القوة المعنوية فى كلاتباعه الذين تشبعوا بروحه ، فانالجهاد المنظم المجدىلايفيد مادام ملكالعصرفاترا ازاءه فصار يقوم بما فى طوقه فيملابه مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرابعدما راى ان المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر ، اننا من رعايامكنا الهمام محمد بن يوسف هذا الولىالذى على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد .

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فاما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى يكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختلى بنفسه على التهجد ليلا بالقرءان ، وهذا مما واظب عليه طوال حياته ، لايتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك -كماقال ملازموه كسيدى سعيد التناني وسيدى احمد الفقيه الركني وسيدى مولود وءاخرون- خمسة من القرءان بله النوافل المعتادة كالضحى وماقبل الظهر والعصر ومابعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه المقربين في كل ذلك واما الصيام فانه اقتدى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم الا انه في السياحات لايصوم النوافل غالبا الافي الإمكنة التي لايحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ماوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرةممايتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا ، لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت في الشيخ المتبكثير من من هذه النواحي ، وان لم تستوف ذلك ، وقديمر بنا في هذه الترجمة وفي تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التي يدعو بها كثيرا فقد حدثني بها كثير من اصحابه، كهذا الدعاء : «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا تصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لانكون الابك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى تتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

---

١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره . فادركت ان ذلك هو خرق العادة التي كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفور لهم ، ومن المرحومين» الى غير هذه ، ولم نسقها الا لنرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولايلتفت الى غير الله في الازمات فما يستغيث بالاشياخ ولاهو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمات ،وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل مايمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رايت منها ما رايت في الذي تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فما كان منها مرسلا كالتي يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن أصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعته الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذي جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوي» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التناني وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعي ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتي ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلاكلفة ولاتزويق كلام ، ومن اقواله ماضمنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل مايتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسالة من الزرقاني والرهوني يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهي جزء صغير .

٣ - (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئي المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدري لم ارمنه الاخطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ماكتبه في الشيخ المعدري العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب في العلم) ذكر لي ولم اره .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتها فى مبيضتها فخرجتها وحررت قوافيها فجاءت فى نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضهافيما تقدم •

هذه هى ءاثار الشيخ فى التاليف ، فرطت منه وانلم يكن متصدرا لمثل ذلك •

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها -كمارايت فيما تقدم- فى الجولان بين قرى سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسويرة لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضت عليه الغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابى السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد الرسموكى فى بوعنفير ، والفقيه سيدى العربى فى الساعدات وسيدى الحنفى فى مزوضه وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كمامر بتزكين من قبيلة كدميوة حيث زاويته ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثم فى مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فراى على عادته كلما دخل قبيلة - وكانت له فى ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت فى هذه القبيلة على يد سيدى ابراهيم البصير الركائبى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ماللعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراكش حتى بنيت زاويته فى الرميلة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يد اصحابه الذين منهم سيدى الحاج محمد البوطيبى الهشتوكى ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميلة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ فى هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ماوقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد فى الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك فى البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

مايخافه الناس من النصارى المحتلين فاظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان فى الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لايزالون الى الآن صغارا او لايزالون فى اصلاب ءابائهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض مايتعلق بهذا الموضوع •

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات فى اذاكيلول فاودير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالى كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهنالك فى قرية ازكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرا القرءان فى قرية ايفريان ، فبتنا معه فى حمى الصوابى بماسة ، ولاازال استحضر ان الحزب فى العشية يقرا بغير الوقف ثم الى المدرح حيث اجتمع فقراء كل ازاغار وفى رئاستهم سيدى محمد بن مسعود وذلك فى مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثانى فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال : (هنا ابتداناها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الغ ، فدخلنا فى اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بماعنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمن السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لابيعا قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم : «دعوا ارجاء اولادكم ليمتد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة فى مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته فى اول مرضه فارسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفى صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفى الليل تولى غسله الفقيه سيدى على بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفى الصباح اجتمع كل الجيران فصلى الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار فى مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغريبة العجيبة ، ولكل مبتدا منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

قلت لاخي احمد يوما : لماذا لا ارى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف اقلام الادباء بمايستحقه منعاه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال : لااخال الا ان السبب في ذلك هو كونه لم يذر وراءه عقبا يراعي ويفهم عن الادباء مايقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في منتداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبنات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هي تحية لاوجه الاحياء لا آثار لمايخلفه الموتى والغائب غائب دائما • وقلما يراعي من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ماقاله وهي قولة لها حظ من النظر والا فاين مايستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التي شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسماء عنها واعرقت من زفرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسيها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجد من بنات السن الادباء السوسيين عشرات في مواقف هي من موقف الشيخ بمنزلة الارض من السماء ، او بمنزلة الشسع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الا على بعض قصائد والا على رسائل مختلفة النسج في التعزية ، وغالبها لايستحق جرة قلم ، وها انذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ماينبغي ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها او بعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام الورززي المراكشي :

اخواننا في الله الفقراء المتجردين والمتسببين في زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدي سعيدا التناني وسيدي احمد الركني وسيدي محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم •

اما بعد فقد وصل نعي الشيخ رضي الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهالينا ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ،ولكن نبكي على مثل تلك الهمة التي يربي بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرارا واستنهاضا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذي رزئت به الطريقة فلاحول ولاقوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ،فالله يزيده مقاما على مقام في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم في الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورززي لطف الله به ، كتبه في ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدي محمد التادلي ثم الرباطي ثم الجديدي وهو من اصحاب الشيخ: «حيا الله تلك الوجوه النيرة منكم يااخواننا اصحاب شيخنا سيدي الحاج علي بن احمد الالغي السوسي ، وانبت الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين تتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التي يعز نظيرها اليوم ، فاعلم ياسيدي سعيد التناني اننا سمعنا بالخبر الصحيح في وفاة الشيخ رضي الله عنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفي الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لايلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافسح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها في هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصة سواء محياهم ومماتهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا في المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لايتكلم فيه مثلي الا معك ياسيدي سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها   وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدي احمد بن الخياط وللمدرس النفاعة ، سيدي احمد بن الجيلاني ، فتاسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يااخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذي جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدي سعيد ان تهذبه وان تسلك به الطريقة في مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلكم الفقير محمد بن علي التادلي عفا الله عنه •

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدي الزبير اليعمراني من رسالة :

« • • • ونعزيكم في الفقيد شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجفون دما وماكان الا فريدا في حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدي العامة في اصلاح ذات بينها ، والخاصة في تربيتها على الطريقة التي تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى • • • »

ومن ذلك ماكتب به الرجل الصالح سيدي الحسين صاحب الزاوية ازاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لاتجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد السوسي ، رضي الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فالله الله الله في الاجتماع على الله ، والعض بالنواجذ على هذه الطريقة التي من يذوق من اسرارها لايجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزي

الفسنا ونعزى كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لايكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا انني لمازرتزاوية هذا الشيخ رايت كل ماكان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاى العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لايضيع واحد منها في غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايته استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه في همة الصوفي الذى يعرف ماطلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ ءاخر حتى لسلمت له زمامي ، وجعلته في الطريقة امامي ولكن الزوجة لايكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماءواحدونفضل بعضها على بعض في الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلاتنسونا كما لاننساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرالبعد المقرين ونوصيكم على الطريقة فالمحافظة على شروطها منءاوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظعليها ، ويظهرانهالمتصل الى الغ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التناني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بنعبدالله الى ابي فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى مابيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل مايهمه في جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليكم السلام ورحمة الله، وبعدفقد وصلت رسالتك ، فقضيت في الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا في حزن عظيم ، واسى لايكيف مقعد مقيم ، حتى انني اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد مافقدت ازائي من لااجد له في النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقدصرت غريبا في بلدتناهذه بعدما صار سيدى الحاج على الى مالابد انءنصير اليه جميعا ، فقدغادرني مفردا لاانيس ولامشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت فيجوار كمايقول التهامي في رثاءولده :

جاورت اعدائي وجاور ربه   شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التي لااخوان فيها ولامعينين ، ولاجيرانفيها مخلصين محتسبين فالله يرحمه ، ويجعل لنافي امثالكم البركة في السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته :

«لعمرك ما المصيبة فقد مال   ولاشاة تموت ولابعير

ولكن المصيبة موت حر   يموت لموته خلق كثير»

وأما المراثي فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدى على بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى   يجديك غير تحسر وتفقد ؟
او قد جمعت جموع كسرى ماالذى   من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
او قد حييت حياة نوح في غنى   ايوب هل تنجو به او تفتدى ؟
او مالتك صروف دهرك حقبة   لابد تصبح في مقيم مقعد
تبا لدهر لايراعى برهة   ذمما ولا الا لاهل السؤدد
وتراه يسفل بالكرام ويعتلي   بلئام هذا الجيل فوق الفرقد
ويهم بالتنقيص والتشتيت في   اخوان صدق همة لم تخمد
لايخد عنك اذا استلان فانه   ما زال يقصده بنيل مقصد
ما راعني والدهر حبل مقرب   لابد من وضع بيومك او غد
والشمل مجتمع بمن احببته   والسعد يسعدني لعيش ارغد
الا النعي بموت شيخ ان تقل   مات الكمال به فغير مفند
شيخ الشيوخ سليل احمد منءبدا   في عصره للدين خير مجدد
ماشئت من علم ومن عمل ومن   ادب يزيد وهمة لم تعهد
وديانة تنسى اذا عاينتها   غير الاله ورفعة لم تجحد
ونصيحة قد زانها اخلاصها   وصداقة في غيره لم تشهد
لمناقب يعيي المفوه عدها   وتسرد كثرتها لسان المقصد
ءاه على تلك المحاسن انها   طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافراني :

امن حادث بكر الم فاجزعا   جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
لفقد امامالدين شيخ الرسوخ من   غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
مربي مريدى الرشد بالسيرةالتي   حوت كل ءاداب السياسة اجمعا
محط رحال القصد مطمح همة ال   ـمريدين مرعى للفضائل امرعا
زلال صفا ذوقا وبدر تضاءلت   له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ابى الحسن البراين احمد منءغذا   ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضعا
وجد الى ان بذ كل منازع   بهمة طماح العزائم اروعا
فنال منالا دونه النسر وانتهى   الى رتبة تناى منالا ومطمعا
اقام بشيد الدين دهرا مجددا   لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
طمت لجج العرفان من بحرصدره   وفتت مسك العلم ثم تضوعا
الى ان انارت من سناه جوانب الـ   ـبلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا   اصاب به ريب المنون فلجعا
فهيض جناح المجد وانقض نجمه   واصبح عرنين المكارم اجدعـــا
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر   السيادة لما ان قضى فتقشعا
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى   سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ومن ذا يرجى سائح متجرد   ليهديه او من يجير المروعا ؟
واى طـبيـب للقلوب يلـدها   بدهن الرجا والخوف طرا لينجعا؟
مضى يجتنى تمر الرضا متبوءا   من الخلد فى اعلى الفراديس مربعا
وخلف وجدا لايريم ووحشة   تكاد لها شم الذرى ان تزعزعـا
فقل للذى يبغى العلا متطلبا   لشيخ مرب بـعـده متطلعـا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان   تسير مغذا بالمقارف ضلعا ؟
«فليست عشيات الحمى برواجع   اليك ولكن خل عينيك تدمعا»
على قبره سحب التحية والرضا   من الله ماغنى الحمام ورجعا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ   ـامام فقد اسدى وارضى وامتعا
ففى مجده ـ والحمد لله ـ غنية   لمن سار يرتاد الكمال فاوضعا
نلوذ من الدهر المخيف بظله   وناوى له ان صال خطب وروعا
فلازالت العلياء تخدم بـابـه   وبارك فيه الله ركنا ممنعا

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر :

قالوا قضى العلم الامام السيد   عين المعارف والعلوم الامجد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ   ـحسن ابن احمد من غداه السؤدد
عفت ربوع المكرمات وقد زهـت   بسناه ازمانا تـــؤم وتقصد
وتعطلت درج المنابر واكتست   ثوب المذلة بعد عز يشهد
قالوا ارثه باللذ علمـت وانه   يغنى الكلام وفضلـه لاينفـد
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا   شمس الضحى تعشى الذى قديجحد؟
ماذا يفيد لمجده قولى وقـد   بلغت به اقصى البلاد الوخد ؟
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن   عنـه الليالى اذ بها يتهجـد
واسال مساجـده التى قـد طالمـا   شهدت مـواقفه اذا ما يـعـبد
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما   ارض يقيم بها الصلاة العبد
لايجحد الفضل المبين سوى الـذى   طمست بصيرته وذاك المبعد
واحسرة الـديـن الحنيف لفقـده   واحسرة الضليل من يسترشد
رحم المهيمن روحه وانا لـه   رضوانه فـى انعـم تـتـجدد
بالمصطفى صلى عليه الله مـا   غنى على ملد الغصون مغرد

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:

قد انقضى الخير وحاد الكمال   واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما   كـان متيـنـا عرضة للزوال
واعلـن الديـن الشتات بمـا   اصابه مـن ضر داء عضال
قلت احتسب يادين لا احـد   يشكيك من داء الفنى واعتلال
لما قضى الشيخ على بن احـ   ـمد امام الوقت اكرم خال
اودى فـؤاد بـعـده صبـره   فؤاد من راى كمال الجمال
قالوا وما اودى به قلت مـا   اودى به غير عيـون الكمال
ياليته يـبـقـى ونعـطـى بـه   ماعز من نفس وولـد ومـال
وقـل لـو امكن فـى حقـه   وانما (ليت) دليل الخيـال
لانـه المـوت فـلا يـرتشى   كالحكم العدل الرفيع المثال
ما الموت الا الدين مهما اتى   ميعاده يقضى بـدون مـطـال
اولا فمثـل تاجـر يشتـرى   نفائس الدر ورطـب اللئال
لذا يحوم عن بحور التقى   ياخذ منها من خيار الرجال
الدهر قـدمـا هـكـذا دابـه   تشتيت اخوان الصفا واغتيال
لم يغن عن كسرى ولا قيصر   معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا الـخـورنـق لنعـمـانه   ولا اخو الحضر نجا باحتفال
ولا حـمـى الابيض اربـابـه   ريب المنون بعد طول احتلال
ولا نـجـا مـنـادمـا ابـرش   معه بحسن عشرة واحـتـيـال
سعى الى ان نال فى المجد ما   يناله عـن ارث اصل وءال
والبدر ان تـمـت مـنـازلـه   لابـد مـن سراره وانـتـقال
قلت وقـد عايـنـتـه عـلـمـا   يرفع من فوق رقاب الرجال
وازدحـم الناس عـلـى نعشه   حتى تقطعـت شسوع النعال
العين لا يرقا لـهـا دمعـها   اما الشهيق فهو بـاد وعال
لاتعنقوا السير فقالوا اتـئـد   فانـه يـوم تسير الجـبـال
فيا لـه مشهود يـوم بما   حوى من الكرب وعظم النكال
يا هائل الترب عليـه فان   تدفنه لم تدفن حسان الخلال
اقام فـى القبر وءاثـاره   سيارة تتـلى بكـل مـجـال
وكيف لا وهو امام الـورى   وهو المهذب الغياث الثمـال
مقصد اهـل اللـه يهديـهـم   معالم الذكر الوريف الظلال
واكـرم الـنـاس ولـكـنـه   يبدا عفـاة بابـه بالـنـوال
مجدد دين الهدى بـعـد مـا   يكاد تعفوه عوادى اختـلال
قد اوتى المنشور وهو التقى   وهو الذى حاز سنى الخصال
وعـلـمـه بـحـر زلال غـدا   يقذف بالدر لاهـل السؤال
وحكمه ينسيك هـرمس مـع   بقراط فى غابر عصر وخال
اما اصطباره فنحو اولى الـ   ـعزم من الرسل بفرط المثال
ما شئت من حزم وعزم ومن   رصانة العـقـل وصدق المقال

وهمة النفس فمـا واجهـت ينقاد في الحين بكل انفعال
وفـي فـراسة يـفلـن كـان راى والمعية لا تـخـال
ومـن رئـاسة حـبـاه بهـا في الدين والدنيا اله الجلال
وفـي سياسة يقـال لـمـن يأملها املـت نيـل المحال
ومن شمائل حـكـى لطفها ورد الرياض امطـرتها شمال
ان قام في الناس بوعظ ترى محاجر الناس جرت بانهمال
او باغت المجلس اطرق من به جميعا هـيـبة واختـجال
لغير هذا مـن صفات لـوى عن عدها العى لسان المقال
من ذا يحل بـعـده مشكـلا او يدفع الحادث حتى يزال ؟
او يورد البحث على وجهه يطلب فيه النص دون احتمال
مضى ولا يمضي بنـا ذكـره حتى توارينا بـطـون الرمال
صب عليه الله في قـبـره سحائب الرحمة صب العزال
صبرا جميلا يـابني احـمـد لحادث اذال وخـز النـبـال
فرزؤكم عـم جـمـيـع الورى بالحزن من وهادها والتـلال
وفـي ابنـه مـحـمـد غـنـية وهمة تـرقـى بـه للـمـعال
هما لافلاك الـعـلا توام اطلع ذا ، وذاك خاو يـمـال
يسعى لادراك الـعـلا سعيه حتى ينال في العلا ما ينال
وبـارك اللهـم فـيـه وفـي اخوته الشم الـذرى والمنال
واغفـر لعبد الله مـن بعده فالحمد لله عـلى كـل حال
ارخ وفـاتـه بـذى حـجـة قد انقضى الخير وحاد الكمال

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليماني صهر الشيخ وابن اختـه واحد مريديه :

مضى الاخيار وانقضت الدهور وتـم الخير واتصل الشرور
مضى الصهر الوفي اخو المعالي وخالي شيخنا الليث الهصور
فوا اسفا على قطـب المزايا وحي الخيرات حوليه تـدور
ووا اسفا عـلى وجـه تقضى يسر بـه غـنـى والفـقـيـر
ووا اسفا على وعظ اذا ما يسجره تـذوب بـه الصخور
ووا اسفا لكل الناس طـرا سواء منجد وفـتـى مغـيـر
ووا اسفا لهذا القطر غابت به شمس عـلى الجوزا تنير
مصاب عـم مفظـعـه وهـادا وسهلا والجبال كـذا البحور
مضى من كان فينا خير وال اذا مـا جـاءنـا امر عسير
وخير وسيلة في كـل خير اتيناه يحقق لـنـا الـسرور
مضى من هو في الاحداث طود رسوخ في الشدائد والصبور
فان شئت العلوم تراه يبدى مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطي عطاء قدره جـم غـزيـر
او العزم اعترف بوضوح عجز عن افعال يقوم بها القدير
وليس بـمـنـكـر ذا الفـضـل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جـد في نيل المعالي الى ان حـل ساحته النذير
رثيتك عن مجامر في فؤادى يدك بها اذا اتقدت ثبير
فيا بدر التمام ويا مـنـاطـا لكل فتى الى العليا يطير
اتت سكرات موتـك لاتفدى بمال لا ولا يغني السمير
يحق لجفننا ابـدا دموع تمازجها الكآبة والزفـيـر
فيا تربا حـوى اشلاء شيخ اتدري ما حوت منك القبور ؟
رايناه عيانـا ذا وضوح تـلالأ منه وجه مستنير
وبعض مـن مـريديه رءاه فقام لـه عـلى قـرب يسير
فصبرا يابني شيخي جميلا لوقع لم يـكـن مـنـه مجير
فبارك فيكم ربـي كـثـيرا وفي الاخوان ما شيد القصور
فيا شيخي نزلت جنان عدن على جنبيك ولـدان وحـور
فلا يحصي رثاءك دو قريض وان يرث الفرزدق او جرير
سقى الرحمان قبرك مزن رحمى تلث عليه ما طابت زهور
ولاقتك الملائـك باحـتـفـال وجاورك الافاضل والصدور
عليك سلام ربك كـل حين ووقت مـا ترنـمـت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع والعين تدمع والقلوب تصدع
وتلهب النيران بين جوانحي ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
الدمع قد خد الخدود وفتها مثل الاصابع فت فيها اليرمع
أين الذين مضوا عنوا لملمة نزلت فصاروا كل حي بلقع ؟
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ ـسبازي الاشهب والغراب الابقع
لم انس حين وقفت في ربع فما اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الذى ملك الدنية كلها حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ان المصائب جـمـة لـكـنـه ما مثل رزء على بن احمد مفجع
اودى فاودى العلم وانجاب الندى ان السهام لدى المنية شرع
لم تثنها عنه المعارف والعوا رف والجحافل والبناء الارفع
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر يـم ابن الكريم الالمعي الاطوع
ضاقت بموتك الفجاج عن الورى كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا جـسـم غفير خلف نعشك شيعوا
تفديك هل نفس تفدى مثلها ان المنية بالـفـدا لاتـقـنـع

من للشهامة والصرامة بعدكم   مـا ايهما للغير بعدك مطمع
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ   ـمجد الاصيل للاله لاتربع
للشمس غور والمنير افولـه   وبقيت فردا فى دهورك تلمع

* * *

ماالبحر عندك فى الندا مااليث بعـ   ـدك فى الشجاعة ماالشجاع الاقرع؟
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ   ـبحر المحيط وما تفيض الادمع
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد   ولكل شخص بعد شخص مصرع
انّ الذى ملأ القلوب جلالـه   وهدى الانام لـه مقام ارفع
عجبا لبدر كان منزله الثرى   ولبحر اعظم فى الركية يجمع
قسما بحب الاريحى محمد   لله على قلب الاحبة موقـع
وله بشم قد مضوا كالجشتمـى   والـيـفرنـى اسوة تستتبـع
فقت سحائب رحمة ديماس مـن   يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
سل الاله على النبى محمـد   ما الورق فى اغصان ايك تسجع
وعليهم ابـدا لـدى محبة   ما الدين يجزع والصدور توجع

يعنى الشاعر بمحمد الاريحى كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتيمى ابـا العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزنيت مات الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ

وقال ايضا :

قد استوى الله على عـرشه   والله غـالـب على امـره
والملك والبقاء والـجبـرو   ت والـعـلا لله لا غـيـره
يا ايها الباكى على فقد من   علا على الشموس فى قدره
ابه فقد اودى المنون بمسن   كان امام الناس فـى عصره
ابك او اعول ذاكـرا وعظه   وجدد الحـزن لـدى ذكـره
وقل للذى وعظ وذى ادب   الـوعظ والآداب فـى قبـره
والوعظ والمجد الاصيل كـذا   الذكـر الجميل غرن فى غوره
هدى الجهول واستقاد العمى   من بعد ما غرق فى بحـره
(ليس عـلى الله بمسـتـنكر   ان يجمع الاسرار فى سره)
الدهر قد نذر ان يغدر الـ   ـكرام . بر الدهر فى نذره
فالرزء كـل الرزء موت ابى   حسن السامى عـلى غيـره
لكنه هــون ذاك بقـا   ء الشيخ مجد الدين فى مصره
مجـدد الملـة شيـخ الشيو   خ من غدا كالبدر فى دهره
محيى الهدى مهدى الندى والجدى   مردى العدا الشهير فى قطره
لازال ملحوظا بعـين الرضا   ممتعا بالسؤل فـى عمـره
والموت فـرض يحتسى كاسه   نظير ذاك الشيخ فى قصره

فالشيـخ هـون بترحالـه مصالـب الـدهر الى نشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيخ :

اخواننا فى الله والاخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة اداب وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بالله الشيخ الاكبر سيدى الحاج على الالغى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا الرزء بهو النائر الذى عندكم ، بل انموت الشيخ موت ركن عظيم من اركان الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بما يجب ان يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فماكان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قـوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية ويسددها فكم معوج قوم ، ومتاخر قدم ، وغافل ايقظ من وسن وسادر غض عماله من رسن فعزاؤنا فيه واحد ، والله على مانقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليمانى بعد نثر ونص الجميع :
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين المرحوم الذى رزىء به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد الالغى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق فى الليلة المدلهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة فعليكم يااولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالغية ، من المريدين ازكى سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالغيض وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من مصاب ذلك العزائم ونتف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جلى هاضت الاعضاد ، والست الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمـرية وعزيمته الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابياتا تكلفتها فى رثائه وان كنت لاادرك كما اهوى رثاءه :

قضى امام الدين من لايرى   له نظير فى جميـع الـورى
ما كان فـي افاقنـا هـذه   الا كمثل البـدر ان ابـدرا

كم مقلة اسالها أدمعـا بوعظـه المشهور ان ذكـرا
وكـم سفيـه رده سيدا فذا متى هذبه اكـبرا
يارب الحف بالرضا قـبـره ومن يزود ذلك المقبـرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالغية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان وعائشة وصفية وءامنة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختاروالحبيب وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال اولاده في كتاب (الترياق المداوي) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

١ – «المامول المبغى في مناقب الشيخ سيدى الحاج علي السوسي الالغي» للفقيه سيدى محمد التادلي

٢ – «الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدى الطاهر الساهري

٣ – «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود

٤ – «السر الجلي في مناقب الشيخ سيدى الحاج علي» لسيدى بريك بن عمر المجاطي

٥ – «حياة الشيخ سيدى الحاج علي» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه

٦ – «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت ءاخذه عن اصحاب الشيخ في كل مايتعلق به . كما اضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار الشيخ فيه عشرة اجزاء ، واتمنى لو امكن لي أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من غيرها على ناحية

٧ – «الترياق المداوي في احوال الشيخ سيدى الحاج علي الدرقاوي» لبيت فيه رغبة من طلبه مني ، وهو في جزء وسط

العلامة علي بن عبد الله الالغي

١٢٧٥ هـ = ٦-٤-١٣٤٧ هـ =

نسبـه :

علي بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمنة ويسرة ، حتى صار من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقيها يستحيي ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه الغى أيضا ذلك الوصف بغير تبصر وانه ممن يخبط خبط عشواء ككثير من غيره ولكن بالآثار تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم في التثقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله وءاثاره ، قبل ان تستهويك بنيات الالسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة علي بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذي خلف صنوه الاستاذ المتقدم محمد بن عبدالله في تسيير دفة الدراسة في المدرسة الالغية ، فكان خير خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم في درسه من كان شدا في درس اخيه وسار على خطته في رفع شان العلم واهله ، وفي تمكين اسمه في الغ ، وفي ترشيح اهله الى ان يكونوا بقادة معاصريهم، وفي تلقى كل من وفد للورود في مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالواردين والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ماقبله ، فكأن الغ لم تزرا بذلك الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ علي بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحي الاريحي الذي وصل بالادب الالغي الى هذه الغاية التي يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا في التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التي تدرس بها خير قيام

منحين انتول المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها ادابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وفتاوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع ، فقامت به في الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت بأحاديثها الاندية :

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق   وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كماذكرنا ثم التحق بعداخذه للقرءان بالمدرسة التانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ علىصنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو ـ فالحقه صنوه باستاذ مسجد تاباحنيفت ـ من قرى تانكرت ، وهو سيدى "محمد بن على الناهنونى ، وبه وحده تخرج في القرءان حتى اتقن حفظه ، ثمالحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الماسى القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

في دراسة العلم

تهيا للاستاذ صنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولا ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بنعلى الاعضياءى الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه باولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكونقاضية عليه لولا ان لاحظتهعين السعادة ، فاتصل به الشيخالوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرةالاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس فيمثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاه في المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من النهمين :

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة   من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل في التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده في ذلك ، حتى انهفي بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى على بوضاض الاخصاصي ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثملميفته درس من دروس صنوه ، ولامن دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان في المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولميزل على هذه الحالة ، الى ان توفى صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالدالى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ماخلفه عليه الاستاذ المرحوم في المدرسة الالغية ، فغادره الى ماخلق لاجله ، كما رايت ذلك في ترجمته •

في الاستعداد لقيادة المدرسة

في المدرسة الالغية حين توفى مؤسسها ، نبغاء اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بلاشك تدربوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر في مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه في طول حياته ، فلاشك انه راى في بعض نواح من معارفه نقصا ، فاراد ان يستدركه قبل ان يبرز في الميدان ، وينقض عليهبواشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب،فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه في المدرسة من جديد ، فاكب بمعاونته في مخض الوطاب ، وسنالقبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغب في كل مساء الى منتصف الليل ، في استفتاح المغلقات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه في المدرسة بل يبذهم بذا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسمواتلاميذه بكل جدارة •

وقد حكى لى انه كان في هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فيايدى العبيد ، مع انه يدرك انالسرقة من ابناءحام عادة مستمرة ان راعيتهم فكيف ان جعلتهم بانفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة : اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمداخت والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

أستاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسدالطب الا انصاف الاطباء ، ولاافسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوواالله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل انتحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر منجل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التي يمكن للمسابق ان يبذبها صاحبه عند الحضر في المضمار •

راينا الاستاذ على بن عبد الله ، وماالره تعليمه بعد انتمكن كل التمكن في المعلومات التي يدرسها ، وفي العلوم المختلفة التي يلقنها في المدرسة منذ

تصدر ، فرأينا ماخلبنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة .

كثيرا مايوازن طلبة المدرسة الالغية فى اسمارهم بين ماينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه فى قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين مايتلقونه عن غيره ممن يستنيبهم الاستاذ فى المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم قبل ان ينفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف مايتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه .

قال بعض الفتية الالغيين : لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة اخذها عن فلان ، سمعت ذلك باذنى ، وهذا الفتى من ابق النشء الالغيين .

وقال اخر ممن كان ربض بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ اخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهر المدرسين فى اول نصف هذا القرن انني اليوم عن ذلك الاستاذ وكانني بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اشهد من نفسى اننى استحضر كل مااخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكانني اخذته عنه الساعة او كماقال ، وما السبب فى ذلك الا ماذكرناه .

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته فى الدروس وارخاءه العنان للمباحثين سوانعرف بادىء بدء ان سهام المباحث طائشة حتى يفهم مباحثه غلطه بالتى هى احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا اوجالسه فى محفل واحد لان محافله العامة اذكان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء فى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، اوفى اى مكان اخرصادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسةالالغية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابى القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقى بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سياتى

قولة الشيخ الوالد فيه

اسمع ماقال الوالد فى هذا الاستاذ فى شعبان عام ١٣٠٥ هـ فى رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع:

وبعدهم لم يزل الفقيه … اخو العلا السميدع النبيه
يطوى الطريق معنا فى السير … ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له … محاسن الخلق فذاع فضله
علامة الدهر ونخبة الزمان … وفخر ذا العصر على كل اوان
وراية العلم عليه خافقة … وشمسه وسط سماء شارقة
اليه مرجع الصلاح والادب … وفكره قطب القريض والادب
مدرس العلم على الدوام … بالبحث مثل مخذم صمصام
لم تلهه الدنيا عن التدريس … ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنا من نسب متصل … وهو ابو الحسن سيدى على

يولي القضاء من حضرة السلطان

فى عام ١٣٠٣ ٤ عاد السلطان مولاى الحسن الى سوس ، فعاد العلماء ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب الترجمة اقتداء باخيه الذى له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صحبهركابه باذنه الى وادى نول ، ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغنى الاساكى البعقيلى من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه والناس كلهم ينتظرون نكاية بالشريف الحسين الايليغى الذى يتخلف عن حضرة السلطان ، وكان الابلاغنى من اعدائه الالداء فيتقرب بذلك فقال للسلطان حين قدم اليه الاستاذ : ان الحاج عبد الله والد هذاشيخنا وصالحنا والمتبرك به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد على بن عبد الله الالغى السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر فى الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يردد الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا من تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه من القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه فى السر والنجوى الهمه الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، فى ٢٢ شعبان الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير فى وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه ، وفى دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور .

ثم جدد هذا الظهير بظهير اخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلولى

بحاحى والقائد سعيد المجاطى ، ونص الظهير الثانى :

«يعلم من هذا الخطاب المحكم العرى السامى الذرى ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنه ، اقررنا الفقيه السيد على بن عبد الله السوسى على تولية خطه القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر فى ذلك فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن فى ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذى ضرب اليه اكباد الابل من شد لانفاط درره ازره ، وبان لايخرج فى الحكم عما جرى به العمل ، والراجح والمشهور ، انلم يكن ثم عمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما سماعا مسوى الطرفين وبان يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر فى كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتاخذه فى الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم فى الظاهر والحشا ، فان للخطة ربا يحميها وللخليقة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من الزلل ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ

وفوقه الطابع الكبير فى وسطه : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه وفى دائرته : ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا :

«خديمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلولى والقائد سعيد المجاطى ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضى مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طى كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»

والظهير الثانى الذى ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى فى تحرير المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره فى ترجمة الجد

فى رئاسة إخوانه المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على مالابد له منه من مشارفة امور اسرته فى الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لاكبوة معها ، اذا جالت المباحث فى ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه احيانا ليراقب اسرته التى يفرط ماشاء الله فى شئونها ، فقد يغادرها بين يدى بنى حام ، الذين كانوا فى زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان يركب الحزم الذى هو شنشنة راسخة فى اهالينا فى كل ما يزاولون — كما

قاله الوالد فى احدى مقالاته يوما ـ وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل :

ماحك جلدك مثل ظفرك ... فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملأ الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجا فى تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من فى جنوب سوس فى مقيم مقعد ، فاذذاك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا القاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاب المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك فى ترجمته ، فندب الاستاذ الى ان يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضا ، اتباعا لما فى الظهائر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطى والقائد مباركا البنيرانى اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القيا عليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمغارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد فى تزنيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها فى القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار :

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى ، اذناله فى قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره ، وصرفها فى مصالح زاويته ، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لاينسانا فى صالح دعواته فى خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحته طابع القائد سعيد الكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البنيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها :

محبنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى ، وخادم مولانا القائد مبارك البنيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوله ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهي امور المرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لاتقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا اكدناكما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضده الايمن ، وهو القتيل في بعقيلة .

ومنها :

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطي ، وبعدفلا تتعرضوا للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدي علي بن عبد الله بن صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام، ٦ من جمادى الاولى عام١٣١٦هـ وتحته طابع القائد سعيد الكيلولي

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البنيراني ، السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك عن التعرض للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك بالتخلي عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل ذلك فلاتلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلولي»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطي السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله ، وخادم زاويته بما يؤذيهم ، فلم تمتثل عياذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذلك عندي عظيم عجيب ، وعليه فلاتعد لمثل ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن) فانهم من خدام الزاوية،ولايبلغنا عنك مايسوءنا ولاتكلفهم بشيء قل اوجل والسلام:
كتبه اليك بـ ٢٢ ذي القعدة ١٣١٦ هـ وتحته طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطي سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فماامرناه للفقيه الشريف السيد علي بن عبد

الله الالغي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرفه على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكماتعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لاخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحته طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه،ولسنا من المتكلفين اللابسي ثوبي زور ، الذين يتعالون الى ما لايثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء مايلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البنيراني الضاريين اللذين لايرقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفزع الى القائد سعيدكلما تلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يامره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين راينا بعض هذه الرسائل بخطه فسالته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركةاشد العرك على يد الاستاذ الذي يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد انفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره :

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنوني الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ،اخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولى الحاج المهدي المنابهي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بفريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابهي مع القائدمحمد بن ابراهيم انفلوس وعما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هوالحامل للمنابهي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولي لما بين الانفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفلوسي ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعيديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلاته عناية الله فلينم في آجام الاسود ، ملء عينيه فالمخاوف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقى في روع القائد محمد انفلوس ما القى : فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ماكان على ماكان ، وان لاينتهك من الحرمات التي كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعي الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تاديبا لشيء اجرمته ، فهو الذي يتولاني بنفسه ، ولاتتولاني انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الآن تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفتل من موضعه رافع الراس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذي لايبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولاراى وجهه الى ان مات شر ميتة ، مع انه كثيرا ماينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ مالايعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد   اليه بوجه اخر الدهر تقبل

وينشد ماقاله بعض الالغيين :

اذا انسد باب من امير فان لى   من ابواب ربي الف باب مفتح
فاني متى اخلص لربي وجهتي   انل كل ما ابغي واظفر وانجح
اعرف باب الله ثم يخيب لى   رجاء وراجي الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده في بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التي لاينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولا اباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطي كان يراعي مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لايحوم حوله ، ثم لايحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لايذره وذلك بما امكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ • ويهدده اشد تهديد من بعيد ، ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التي ادخلها في ايام الكيلولي

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاخصائه : لااخاف والله الا سيدي الحاج علي ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي في الفقيه ، وان لايرجع الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا أراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمي وافتر فيما أنويه ، وقال مرة أخرى : عجبا من الشيخ فاني لااكاد على رغم انفي انخطى مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد •

ثم انه عزم مرة عزما اكيدا على ان ينفذ ارادته في الاستاذ ، قال القائد العربي الضرضوري الرأسلوادي الاولوزي ، فركبنا معه في مائة فارس ، وهو في حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لايرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا تعجبنا حين صدرنا بخفي حنين صبيحة اليوم الثاني •

جلس الاستاذ في دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل رداءه المذهب في جو الغ الصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة والبهجات في المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا بعاد يعدو الى الجالسين فقال لهم : ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفتل الوالد والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاحيين وغيرهم ، فلاقياهم ببشر وسرور كانهما لايهجس في قلوبهما منهم شيء او كانهم وفد خير ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام في دار الاستاذ ، وفي دار الوالد ولكن الاضياف فاجاهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التي صمدوا اليها ، فقد طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك في محاربة مع الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم في (دراووغ) في نفس الطريق الذي يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا في تلك الليلة امام باب ثويه والقائد سعيد واصحابه في داخله ، وعبد جميل نشيط احوذي للاستاذ قائم على رؤوس الاضياف يمد اليهم مايحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون مثل هذا العبد الاحوذي الجميل لفلان الفلاني - وعبر بعبارة لاتكتب - فلماذا لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ : فقلت له في نفسي : والله لاتريته ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته •

في منبثق الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن (دراووغ) وهم يطيرون باجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا •

كان فجاج الارض وهي بسيطة   على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية   تيممها ترمى اليه بقاتل

١) البدراريون : الجعدون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاكر القائد مباركا البنيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عنده كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له : اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لاتفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريده بادئ بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين ءامنوا ، ومن اجترح ذنبا اومس حمى فلابد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيا نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزنيت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذي خلف صنوه في مركز تيزنيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه مالاقى فانجحر القائد سعيد المجاطي في تاكجكالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد راى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبا معا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاكجكالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ماانقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لاكلام ولاما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق مايفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد مايجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكي لي القضية : فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لاودعه : هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما اردده عن ان يمس الفقيه ، واذ مسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاكجكالت هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك ءاخر عهده بداره ، وءاخر خيط انقطع بينه وبين ايالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمنتهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطارح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ماكان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لايضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «اليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغي

اريد منك ايها القارئ ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرته في حياتك وان تتذكر ان هناك ءالات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ماتلاحظه ان لم تشاهد قط معملا ءالات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا وءاخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدي علي بن عبد الله الذي افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذي افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيون النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين ، لانهما لايكادان يفرغان من اعمالهما هذه ببعض فراغ الا تواصلا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدي الجوار الا اذا تاخى الجيران مشهدا ومغيبا ؟ :

وليس اخي من ودني بلسانه ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له ان اعوزته النوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معا نظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذي يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقاة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وادبه العالي ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليها كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذي له الصدارة بعد الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ولكنه لما راى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذي يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوف ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من انس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويمين ويزود ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الا اعانة فقط ، ثم لا يتداخل فى ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هو رب المدرسة الذى ورثها عن صنوه وانه هو العلامة الذى لايجارى فى ذلك الميدان، وكذلك لايسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولاتته قبيلة المرابطين بشىء من عند جميعهم الا أمرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة فى ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لايعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى للاستاذ مكانة علية ومهارة يقتدر بها على الادارة فى مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تطلب منه المرابطون ان يراسهم فى أيام الحاحيين فقال كلا ثم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لايزالان كذلك مجتمعين فى الحضر والسفر مالم يشتغل الوالد بمريديه فى زاويته ، اومالم يسح اليهم فى اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيفهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كانهما فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالت اوفى طريقهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، اوتعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فرافقه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا .

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه ءال امتضى ان يقف لهم على عين تخرج – وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التيبيوتى المتقدم– وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولايحب ان يشتهر به ولا ان يقصده الناس من اجله ، ولكنه لايرد من يتطلبه منه الابحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا امتضى ، فقال لمن هناك : لابد ان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ماتسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع مانبنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فتراءى لئال امتضى الجشع العظيم من العالمين الالفيين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يبتسمان ،وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ءال امتضى الى الغ بعد ذلك اليوم ولاذكرا بعد قضيتهما .

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال : ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

ءال وال الحاج ابراهيم الايغشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء ءاخر اقول : ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايغشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايغشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيبات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ، ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشئونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائم الى ذات بينهم منفذا ، فقام بهم من العلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو أمور ،فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى :

هذا جزاء امرىء اقرانه درجوا   من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا مايذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لايجد فيه معينا ، اوراى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول : مامات الشيخ الا لى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى "محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عند مصلى العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغ فارادوا ان يلتهموا املاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى : فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا ما يتمصصون ولايشتكون اليوم الا من فقدانهم ما كانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشمرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لاأزال اتقلب فى كساه التى كسانيها الى الآن وقد انصرمت سنوات كثيرة قال الزكرى : ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا ءاخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أبمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين اوغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تتاخيا حياة ومماتا رحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التاخى .

ولبعض الالغيين :

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قدهيل فوقكا
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤثل حقكا

بين قضاة تزنيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال الداهم بزعازعه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتتموج به جوانب المغرب فبويع الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ ه على ايدى رؤساء القبائل الجنوبية وفقهائها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة المنتشرة ممن لابد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك ثلة من العلماء بتزنيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شفوف ورهبة وجولات اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات نثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة والى اخيه النعمة فتمشي في فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظوم في لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك في شئونهم العامة فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين : شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ ه ثم عيد عند اهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بما عرف عنه رحمه الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين .

وقد وقعت له هناك بتزنيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذه امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعة من سيدنا الفقير الصوفي فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه السكر ، فاراه مسيل الماء الذى يكف به السقف وقال : ان السكر ذاب كله من وكفات السقوف بالمطر ، ولاادرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم يستقص في السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما تداوله المقراج والبراد في حضرة سيدنا الفقير الفاني في حضرة ربه :

ان قال قد ضاعت فصدق انها ضاعت ولكن منك يعنى لو تعى
او قال قد وقعت فصدق انها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضي سيدى محمد أعمو -قاضي تيزنيت اليوم- يباسط هذا

الفقير ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك السكر انما ذاب بين حرف الكاس ورشفاته ، ام ان القدر هو الذى امل ان الذى يارى بنقط المداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين حبات السبحة وبين كاس دهاق .

بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب الترجمة مع الحاج ابراهيم الايغشاني ، وقد مرا في رجوعهما بتزنيت بعدما جلاعنها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان انجلاؤه الرهيب الاضحى من عام ١٣٣٠ ه فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان دامت امراة من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه لم حفزها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم في تلك القضية فلم ينالوه، ثم انفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا البرغوث الآن في اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشيء من الاستاذ فحين علم من اين ثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه الالغيين دائما : لو علمت ان في تيزنيت مثل هذه القضية لما مررنا بها ولكن كان امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من امثال هؤلاء الفقهاء انهم انما يريدون ان ينالوا من وراثه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له غبارا في ميدان القضاء ، لايمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقذاة تسقط في عرض عبابه :

افتقذى عرض البحار قذاة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثم الى تيمكر لم حط رحله اخيرا بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لايغب المترجم زيارته ، لم دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التى ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مايس المنابهي والقائد ابن دحان والباشا الحاج التهامي الكلاوى والقائد الكنتافي وغيرهم من ضباط فرنسا وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا في الاستحواذ على القلوب في كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى لايتكلم في المجمع العام للقبائل -كما حكى لي الاخ احمد- سواه، وسوى القائد المدني فهما المقدمان للشيخ احمد الهيبة، ولسانه الذى هو يبلغ به الهيبة ماشاء لهذه القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واقيم صنوه مربيه ربه مقامه لمادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ الشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهيبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فملا كعبه فى الرياسة وكاد يكون وحده قطبا لاينخطى في المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصي الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافراني تلميذه يسانده ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعوانه ، فقد حضرامعا في وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود تماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلا ، ولهما في ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرالى ـ كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن ـ ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت وديم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة تؤثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الا اسداء النصح لاخوانه لاغير ، ولايقصد اى شىء اخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيرا مايجعله تكاة ، يسرفى كل مايفعله من ذلك الحسو فى الارتغاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لايذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهر منه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سريرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعد الناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون •

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لايابه بما ينااه فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهيبة وخلفه مربيه ربه ـ وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل ـ كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لايريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمز عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بأن المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثاني الانادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمنة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العاروالشنار اللذين لاتبقى معهما مروءة ، ولايحفظ بهما عرض الا ان الصحراويين كئال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلة حتى ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبة الملوكى بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الارائك التى تسنمها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقى السيد ادريس منو انه فاوضه فى ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريفات الابكار الموجودات اذ ذاك في دور القصبة من بنات الشرفاء العلويين ، استقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاوضهم فى مثل هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريدها من هذه الآنسات العلويات ، فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واختلق انها منزوجة بفلان ابن عمها ، وانما اخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارع والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له فى تامصلوحت ، فقال : اونساؤهم هناك ؟ فقلت له : ان الخبر عن ذلك دون الخبر فهكذا اسطعت ان افلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول : تامل فى هذا السيد الذى اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى مايملاء فراغ وقته ، كان الايام ساعدته فى كل شىء اوكانه نال كل متمناه ولاينقصه الاماهو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ماكانوا ليبالوا وهم فى مثل هذا الطور بذوات القناع (وان بتن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني الخنذيذ الشهير ، يعد الجمال جنونا ويقول يكفى الانسان ان يجن مرة واحدة فى السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغوانى فى قصره وقد استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه فى موقف الوداع ، وكانها تقول له لمن تذرنى وراءك ؟ فساعدها من فى القصر من الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى وهو ينشد ماقاله كثير :

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه حصان عليها نظم در يزينها
نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكى مما شجاها قطينها

فمثل هذه الهمة هى التى يريدها الاستاذ فى الشيخ الهيبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلايستطيع ان يملك قبقبه ولا ذبذبه ولا كبكبه (١) • ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذى تزوج بمائة وست عشرة بالتوالى على نية امتثال الحديث تزوجو الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة • فرضى الله عن الشيخ وابنائه • وانما الحديث ذو شجون

١) تفسر الكلمات بالنسان والبطن وءالة التناسل ، واصل ذلك ....

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الاالاشراف عليها من بعيد ، ومشارفة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائـر الـدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه فى حركة دائمة لايفتر فى الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحى لتمج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديار الوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى اوحكم مما حرره بقلمه ، واحدا اواثنين اواكثر ، وكل ذلك بعبارته الفصيحة التى استمد بهافقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلايدع الـقـاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ ﻫ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لايخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لايغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارك صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى على الاوفقيرى حينا ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظاميـة وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله مـن عام ١٣٣٥ ﻫ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ ﻫ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العواشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية ليأخذا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدره فى المدرسة ، فاخذ عنه من فـى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض ، او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خير قدوة للطلبة ، وقد اخبرنـــى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه ارسله فى عواشر الى استاذ مدرسة افلا أوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى ليأخذ عنه الفـرائض ، والبخـارى سردا فى رمضان ، واين نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لايستنكف ان يأخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعهده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلومه وبمدرسته الخاصة ، فلايكاد يسلم للاخرين مكانتهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفى ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالغية مغمزا بإباء الله والشمم :

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم   من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالمى فى مبدأ امره لـم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت يأخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا فى مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلـك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبتـه ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لايوقد فى مطبخ الا اذا أوتى به من بعيد ، وشان الحرث والحصاد فى الغ ادهى وامر ، والعبيد وهـم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ماوجدوا ، لايؤتمنـون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، افترى مـن كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تنتابه فيـنـات نوبات عصبيـة تقيمه وتقعده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لينا طيبا متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعيا لجبر الخواطر بالغا اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارخاء ولايجبه من يخالف رايه فى مسالة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان مايرجع ، فربما يلاقى رحمه الله فـى امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكيك مايضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لايخرج عـن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه   لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبلى الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لايكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه مايرى ، ممـا لايتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منـه بعض المرات ثورات ، لايقف امامها واقف ، وخصوصا حيـن يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة ، فلاازال اتذكر انى فى بعض الصبية الرابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هرول الينا ، وصوته الجهورى تصتك به اذاننا فرجعنا باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمى باحجار كنالها مستهدفين ، غير ان اللهسلم فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكانلنا ذلك درسا لميزلنصب اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فى قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطرق اذانهم قول القائل :

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لايلبث ان ينهال عليهم ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتبرىء الموائد البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده فيما بينه وبينه ويشجع كل من انس منه تقدما فى فن من الفنون التى يعتنى بهاالالغيون وخصوصا علوم الدين والادب وماليها ، فكل من راى له فى ذلك اثرا محدثا مقالة اورسالة اوقصيدة اوقطعة ، يعتنى به غاية الاعتناء ويجمع عليها اهله سوماهله الا علماءنجباء متفوقون مع من وفدوا على حضرته فيلقى عليهم بنفسه مااحدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجته العذبة فان كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ،ويترنم به فيستحسن بكل اعلان ماكان مستحسنا ، ويغض عما راى من الزلل مع التلويح الى مافى ذلك من غير تصريح،حتى لايحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفترعمته والتشجيع دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا فى الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا من تلاميذه الالغيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعتنى بكل ذلك وان صدر عن اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللاثار العلمية كيفما كانت وايا كان اصحابها .

على انله وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من احدهم خروجا عن اللاحب او انس مايخل بالمروءة او يهتك سمعة المدرسة فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه فى المدرسة ، فاختلفت عليه الحبال حتى يكره الغ وماليها ، وتمنى لولم يعرف اليها من سبيل ولاورد بلا شوك ولاروضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لايمكن ان يتلى ازاءها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالغيين فى الموضوع:

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة   وقد اعتدى شاركته حيث لاتدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له   خلائق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يردها   سوى كبحها بالجذب والنهروالقهر
ومن كان ذا حزم فلابد ان ترى   له ضغطة حينا وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر   فكم نغل لابد فيه من الصبر

فعلى هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالغيين ولااعلم الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير تربية الالغيين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم من لم يصطلم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا اخر فرارا منه على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل مايقتدى به ، وفى الحديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق منا نحن الالغيين هذا الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذه المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل   ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء   فدعنى من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطىء ، اشتهر بها، لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزبه امر واستحثه ان ينهى مفسدا من المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفتل عن ظهر بغلته ان صادفه الحال راكبا ، فيقف على رجليه، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم من يد احدبني ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسالة من المسائل وقعت فيها الابحاث المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكسل عن تردده الى مكتبته مرارا اليوالى الكتب التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولايكل ذلك الى احد وان اتفق ان أرسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لينظر كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

---

١) كنت حين لبثت فى تيفجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى عددتها اذذاك ازيد من [illegible] (مواقف محجلة)

هو التال للكتاب ، او الملقى للقصيدة لم لايشعر به وقد التشب منحضر فى مبحث هوفيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة فى طريقها ، فينسل من القبة الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعتهبتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ،ثم يرجع بسرعة فيدخل من ذلك الباب فيمثل فى المحفل وشيكا ، فيشارك فى المبحث الذى ترك المجلس منه فى قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة فى الكتب الحاضرة وياتى من الكتب بمااحتيج اليه ايضا كأنه خالى البال من كل شىء الامافيه اولئك العلماء وكأنه ماقضى شغلا ءاخر خلسة وهم لايعلمون ثم يشاركهم فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقيها على المسامع واريحية الادب التى تنسى كل شىء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادى احيانا بعض من يوصيه بمايريد ، اويسأله عمالايريد اويامره بعلف البغال اوبايرادها الماء ، ثم لايقطع عنه ذلك تلك الموجات التى غمرته وغمرت كل من كانوامعه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا فى النوازل حتى ان عادته المعهودة ـ وقلمايخرج عنها ـ انه لايبت فى نازلة حتى يشاور ءاخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن محمد اليزيدى رحمه الله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطال الله عمره والعلامة سيدى الحاج أحمد الجشتيمى والفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى والفقيه سيدى محمد الجرارى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد فى حضرته من العلماء الذين لاتخلو منهم ، فلابد ان يذاكرهم فى كل نازلة يزاولها فتاتى له بذلك ان سار بقدم ءامنة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه مـن يـردها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا مايرد نوازل غيره وينقضها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه فى ذلك فتاو مراكشية للاستاذ الحاج العربى الرحمانى ، وشيخنا مولاى احمد العلمى ، فمن دونهما نقضها نقضاتاما ونكث غزلها انكاثا وقد ذكرناها فى (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه عـلى عادة اهل هذه البلاد لايتجاوز فى الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نـراه وترى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمهما الله يميلان الى انه لازكاة فى الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب فى المراجعة ولايتوسعون فى المراجع العليا ، ولايشاركون فى الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثـم لايطالبون بماليس فـى مستطاعهم ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا وفهما وتمييزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبدالله رحمه الله الذى كان ثانى اثنين فى الغ فى عصرواحد فنال الغ بهما مابلغ ، ولله در بعض الالغيـين اذ قال فى مقام ايجاز :

اأكلف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن لى بان احصى الرمال بعالج ومن لى بان احصى بعدى الكواكبا

آثار قلم الاستاذ من النثر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه ءاثار قلمه ، ولاكل اديب علامـة يفتش عن ءاثاره فى التثقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى كانت له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فامكن للسانه الـذى يدرس به ويلقى بـه مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلـك الجم الغفير مـن ءاثـار تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لايهدا بين الدواة والقرطاس ان يفيض علينا بءاثار قيمة رائعة ان قيست ببيئتها زخرت بها الكنانيش والموعمت بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارىء ان نعرض امامك من ءاثار قلمه اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من ءاثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا . ان قلم الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا مبدعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فـى الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهيبة ساله مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبـين الكبيرين ، صاحـب الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابه الاستاذ اليزيدى :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالغى فى النثر ابرع ، ولايشق لهفيه غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنگيط من يوازيه فى الترسل والاديب الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزع فى القوافى فى المغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لاينكر نظره السديد فى الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولايحيدون عن سبيله فلنكن معهم فى ذلك ، وان كان يتراءى لى وقد مرت تحـت يدى من رسائـل الاستاذ الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قدبلغ فى ادباء طبـقـته مبلغا ربما يقصردونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا اخاف اننى لم أتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا ، فى عصر غير هذا العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض ءاثارهم بحسب الامكان

لنحوك ما اخفى من الشوق اوابدي ... فياليت شعري كيف حالك من بعدي
غدونا كندماني جذيمة حقبة ... فغيظت ليالينا فاصمين بالبعد

سلام ارق من نسمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كئوسها في ابتسام ، وسناها يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له السعادة التى لاحفلته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة ... وقدره المعتلى عن ذاك يغنينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون النائى من احدهم افضل ادواته ، فقد كنت ترشفنى بقربك ماتحلولى به الحياة وتربنى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما نهضت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة التى قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل ... فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بحديث طيب ... فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وحجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما اتاملها بين ايام اخرى فاتبينها فى اثنائها كثوب فى اثنائه علم ، فاين منها يوم العرجى الذى غاب عذاله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بذى سلم ولاعيب فيها غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا فى تكدشوق اطول من ظل القناة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهب عند اقبالها بريح رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا ... سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضىء الكون لكنها متى ... تميل تديل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما واسمعهما مايروعهما واتمنى لو كنت كلى عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه وظننى من جنسه ، فافاض على من حلاه والبسنى من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تتوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتنبى ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولاينبئك مثل خبير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة نحرير) وقد تتبعتها فظهر لى فى بعضها ايضا بحث آخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملا فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد توزعت بما تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا فى المخازن الحبوب ، (ونفضت من همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفادة ، التى نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا اعادة ، واما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله واياكم كل ضير ، والسلام

واقول : ان مابين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، بعدماكتب الوفقاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لاتقابل بالردى ... ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر ... ولابات جفن العين منك مسهدا
ولازلت مسرور الفؤاد ممتعا ... بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولازلت حصنا للافاضل سيدا ... منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ، وتسمه بالخضوع والضراعة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادابه الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول المجترىء على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالغى ، وكيف اعبر عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وابغى ، الى من لايزال فى الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وصافى الاخوة ، سيدى الحاج مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفقاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ماعاينت امره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لايضاع ، فهل رايتم احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووالانا وقد تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصابيح الظلام وخدمة الانام ومصقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعى وقته علما وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، والمدرس الاتقى والاروع الارقى سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولد الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا وءاخرا وطاب ، سيدى البشير بن المدنى ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لايلحق له غبار ، فى مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمد ابن الحاج محمد اليزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاجبالى من لايغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرا الجميع كتابك وهم يديرون الكاس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته ، فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشا سيدى الطاهر بن محمد :

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود   وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له   وان تناولـه الآساد والسود
ياخير اخواننا فى الله ياعلما   يهديه تهتدى الصيد ا لاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة   فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت   منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم   ما غمنا زمنا فيومها عيـد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة   قد فاض فيها عليك الامن والجود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة   الى يديك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على   روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يابدر الكمال ويا   من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ماقاله لله دره ، ولافض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداه مما تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرانها بلذة اية لذة

وواثق بالليالى الخادعات لـه   يغتر بالبيض لايخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقلـت لـه   هل يطلب النحس الا كل مسعود

وبعد فلاباس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمـان والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلـفـة وفيها مـن النقص والزيادة والتحريف مايسمى مسخا لانسخا ، ولكننا اتقنا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم ءاخر صدر من الاستاذ عبد العزيز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل هذه المشادات التى كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة كل حر ورقيق» :

علامة العلماء واللج الذى   لاينقضى ولكل لج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجماح فى ميدان الافادات، وماجبل عليه من انشاء مامنشؤه المعاداة، المحفوظ بن عبد الرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحـال بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فيك الاغايـة الكمال والصفاء ، وزننته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فانى مانقضت مبرمك ولاعزمت فيه بشىء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى مافيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يـوم الحساب والعرض على ان جميع مارقمته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا فى هذا الآن اختلقته وافتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لو اجيز لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا فى امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ،ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضى دائرة اطلاق ، ولاينبغى للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظهـا الا ان يسأل عنـه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بما ظهر له، وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لاتبقى قضية على فصل ابدا ، كما نص عليه القرافى فى (فروقه) واما ماذكرت من مخالفتى ففيما مضى وان الحامل لى على ذلك جاه المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وارضاه لكمال دينك ووفور علمك ، ان لاتتعرض لسخط الله وغضبه باسخاط من رباك وعلمـك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولى، زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك والهمر اياك

ولقد لصحتك ان قبلت نصيحتي   والنصح اغلى مايباع ويوهب

قال تعالى : «ولكن لاتحبون الناصحين» اقول وحليي عطل،ونطقي خطل؛ مكره اخاك لابطل ، واما ماذكرت اخيرا فانى فيه تابع لك ولامثالك مـن كبار العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فانى مساعد عليه ولاملام والسلام غبار نعلك العبيد المجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضله من ايدى الغفلات اسره «امين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فـــي المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتي نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفي حوالى ١٣٤٠هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراثوالده يدان ، منهو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام منوالد يحسب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيذك انتشتغل بمالانتيجة وراءه وان تلقى العلم ظهريا ثمتحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه،لم يفرط فى العلمقط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت انتكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منـك بارقـة لجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابة ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجدمنفقدالعلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطـلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتـى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتي لكاحملها للفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراكش ، ولاتنسنا مـن الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانـت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالفيون امسبغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواق نصها :

اعاطى ا كؤس السلوى نديمى   وبى مابى من الوجد العظيم

وابدى فى منادمتيه انـــى   بجنات وقلبى فى جحيم

وادمج فى الحديث انا سليم   وما يدرى مرادى بالسليـم

واكثر عن نبيى الله موسى   لما لى معه فى لفظ الكليم

واجرى ذكر مكة فى حديثى   لما للقلب من معنى الحطيم

اريه ان قلبى فــى نعيم   وقلــبى بالصبابة فــى اليم

واخبره باني الخـلـو صدقا   ولكن من سوى الوجد الصميم

واظهر انثــى جلد ، وغـمـز   بجانب مقلة يعفو رسومـي

اشامه الدبور لـكـى الاقى   تفافلـه فانعش بـالنسيم

واجرى وصف بيض الهند لكن   مـرادى لحظ سوداء الفميم

احدثه ولصدى عين نـجـد   باخبار الفوارس من تميم

ويذكر ليـث خفـان لسانى   وما يعنى سوى ظبى الصريم

ويتحفـه عـن اخـلاق لطاف   بالطف من نسيم فى وسيم

فيحسبها لقيس وابـن قيس (١)   واين النجم من مرقى النجوم

وكيف ولا تليق لغير فـرد   عديم فى المـجـادة للقسيـم

خضم العلم يزيد نور هـدى   يفئ بغيهب العصر البهيـم

ابى الحسن العظيم اسما وقدرا   فزره تزر عظيما فـى عظيم

من اللائين ان جادوا يجودوا   بما يغنى عن الغيث العميم

تقى ابدا بروق الوعد منهم   ويخلف كـثـرة برق الغيوم

وهم ما هم ذكاء فى وقار   كمشبوب على الطـود العظيم

فكم احيت قـرائحهم علومـا   عظاما وهى فى عظم رميـم

اذا اقـلامهم وشت نظيـمـا   تضيف لباقل عبد الـرحيم (٢)

فيشهد والـنــواظـر شاهدات   حلال السحر فى ذاك النظيم

ويمـرح سالـم الاذواق فيـه   ويبهج بيـن جنات النـعـيم

زكوا لما زكوا اصلا ، اينشا   قويم الظل الا مــن قويم ؟

اذا نعم الاديم كـذاك يـاتى   شراك قـد مـن ذاك الاديم

ومـا يـرضون الا بـاعتصار   اذا ما الغير يرضى بالشميم

علت بمـقـامهم رتـب المعالى   وكم ربع تعالى بالمقيم

تغالى فى حلى تلك السجايا   مغالاة العواطل فى النظيـم

سجايا بل ريـاض صافحتها   مبللة الـزهـور يـد النسيم

فهن ارق من خجل تسارى   بلحظ الصب فى الوجه الوسيم

والطف من مسارقة العذارى   باطراف الحواجب غمز ريـم

* * *

ابا حسن ومثلك من يوالــي   على بعد المدى نصح الحميم

لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،   الى وصاة لـقـمان الحكيـم

وصاة لو مشيت على سناها   لكنت بها على قدم عظيـم

وصاة كنت لو انـى عليها   عـلى متن الصراط المستقيم

١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم ، والنجم الاول نبت معروف

٢) عبد الرحيم : القاضى الفاضل وزير صلاح الدين ، واليه تنسب الطريقة الفاضلية فى الادب

ولكن كيف – وا اسفا – ولفي، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف – واعجزاه – دبـغ – وليس بنافع – حلم الاديم (١)
عل انى – ولم اقنط – لارجـو قريبا رحـمـة الله الـرحيم
ابوز – لا ورب البيت – ما قـد اشا ؟ والله ذو الفضل العظيم

رساله اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن علي وهوياخذ بالمدرسة الادائية :

«من علي بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته،وبعد فلاباس ولله الحمد وبيد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشات لـلاخ الاديب سيدى محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١٥ بيتا يبثت له فيها عظم نعمة الله عليه ليشكرها ومطلعها :

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف اماثل مجد

واجابني بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف عنكم معشر طلبة اذاى ، وان لايبعث اليكم سريات القصائد ، علما مني بعجزكم عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولـة فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معى ايها القارىء اذ ا‌هذه الرسالة ، لترى كيـف تبعـث الهمم ، وتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لتنظر الى المقامات الحريرية بغير العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع اليوسفي ،فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع عام ١٣٤٩ ﻫ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب أمرا أمرا حين اختبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فـى المعيار للونشريسى على انها لاتقرا فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معـك من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قـد توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد اتصل كل واحد منهم بمدرسة اوبشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة بعد فينة ، وهو ذلك الاديب الاريحى الذى نعلم منه انه اجتماعى لايطيب لـه

(١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلمة ، وهي الدودة التي تفسد الجلد قال:
فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقي دائما فى كل ناحية ، فكيف يرتـاح لسكون فى عزلة اوانفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقـوا شذر مذر ، وآخرهم الاديب البوزاكارنى الذى ترك بمغادرته الغ مقام الادب خاليا وثغره شاغرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياتـه الاخيرة ، وفارس الادب الذى يقبل بالحلبة كماشاء ويدبر ، وقداندفع أيضا هذا الاديب الى من لايعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ ﻫ قبل وفاة الاستاذ بقليـل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التى ذكرنا ان الاستاذ صار اليها ممايلاقيه ممن لايعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المضاهى فى تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لااسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطة بى من ورائي وأمامى

نزيلك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من البلاد
وما يممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتـي وزادى

من لااسميه مهابة واجلالا ، ولااحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا :

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى وإياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التى لايعدوها السرور والنضرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك • وجليل خطابك • مؤكدا على وصول كتاب القائد ساعة القدوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير انه كما قيل :

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى فى مصابه، بسيدى عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به – كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم – وليتـعـز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذقال : «ليعز المومنين فى مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخى ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولاانى تركت الشعر ترك السقب لفرسه ، والرال لتريكته (١) لقلت فيه فالله لذلك اهل بيدانه لاطاقة لناالبوم الابالترحم عليه ؛والاستغفارله؛ فالله برحمه ويغفر له ، مغفرة عزما فهو الغفور الرحيم

واما عبيدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛ التى كلها مذاكرات ومنافحات :

يااليت شعرى والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* * *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟

فهاانذا ملقى فى زاوية الاهمال ، غيرمنظور الى لابعين الاجلال ولابعين الاذلال، منتبذا عن الناس، سمير الهم والوسواس؛ فلاراتب ولاجارى، ولاانيس ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا :

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان

فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لولم القه ، لعجزى عن بره ، والله لقد صدق من قال : :

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر

فلقد طرقنى سيدى محمد اليعمرانى اذ طرقنى ، فلو مات احد من الحياء لمت الالم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، فالى الله والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى اننى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ريالا قراضا ثم انه اشترى بها من الشعير خمسا وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى عنده معزولة فى بيت منذ شهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمعت على الانتقال ، كان اخر امرى معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهو لى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى اوامر بشىء ، اوعلموا بذلك ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واياما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

---

١) السقب كفلس : ولد الناقة ساعة يولد ● والغرس بالكسر : مايخرج مع الولد كالمخاط ● والرال : ولد النعام ● والتريكة كالسفينة : البيضة ان خرج منها الفرخ
٢) بمكيال سوق الخميس الوفقارية

المدنى أعانه الله على ماهو بصدده ، وأمده بدائم مدده ؛ واراك سيدى فى جميعهم مايسرك ، وأؤكد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة فلامندوحة له عنها. فاكثر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصبح له السرد استقلالا وفى الملأ ● وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع ● اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى»

فاجابه الاستاذ :

آخى وصريحى ، ومريحى وسنيحى ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض، مؤديا فى ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أومفترض ، مجددا من معالم الدين ماالدرس، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال؛ قار البال؛ فار البلبال؛ ذلك السيد السند؛ والصدر الاوحد؛ انيسى وجليسى، وهزبرخيسى، وكاف كيسى ، ورئيسى وخنديسى؛ من اذاغاب عن القالب فهو فى القلب حاضر؛ لايخلفه فيه سواه مابين باد وحاضر ؛ الغريب بين اهله ، والحائز خصل السبق فى الكمالات على تؤدته ومهله، الشريف العفيف؛ والاحوذى السرى المنيف، مولاى عبد الرحمان ابن مولاى الشريف محمد :

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم الندية والسجايا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسال الله لناولكم التوفيق لمايرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى، آمين آمين ، انه على مايشاء قدير ؛ وبالاجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والراتع من هضاب الفصاحة فى كل مربع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعزما اهواه ، ووقفت على تفصيله وجمله ومالم به من ألم راقمه بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن ● وغيب عن الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ، لمحبوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لماذكرت فى كتابك انه لا مجانس ولا مجالس ، ولاجارى ولاراتب ولا مأوى، بقول من قال :

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لايبقى على حال؛ ومحاول اوحاله على غارب الارتحال :

الدهر لايبقى على حالة   لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه   فاصبر فان الدهر لا يصبر

ورحم‌الله البحترى اذ يقول :

تنكر العيش حتى ان اكدره   ياتى نظاما وياتي صفوه لمعا
وآنست من خطوب الدهر كثرتها   فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار ، وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى فى مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال   واللطف موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) مايستقربه كل حاضر وباد ، ولايرضى به ادنى الاوغاد ، بله افضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا   تكلف شيء فى طباعك ضده
والطبع املك ، قال حازم :

من يسمع الجفوة من خل ولم   يغضب لها فانه كمن جفا

* * *

متى تسد معروفا الى غير اهله   رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا :

من صاحب الانسان فى العسر كما   صاحبه فى يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره   فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ماانمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منى بينك ، قول حازم :

يازمنا جفا المنى من بعدما   قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبيه وقد   افرط حتى بلغ السيل الزبى
انأيت يادهر المنى من بعدما   ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى   كم قلت فى تامله : ياهل انى؟

والسلام عليكم ورحمة الله

---

١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبيين ماوقع

وشعير القراض على‌ماعهدت ، وما ظهر لكانه الملحة فيه فاخبر به ولدنا محمدايفعله به بلاتراخ ، والخلق اذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او اخوتكم‌او قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالغى»

نتف من قوافيه

واما شعره فهاك منه‌قصائد لطيفة،وقطعا منتقاة،مما نراه امامنا متراكما كثبان يبرين ، فمن ذلك ماقابل به وفدا افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى‌البشير الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب :

لله يوم خميس جادلى بلقا   من كنت من بينهم قبل اللقاء لقى
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت   فاستاصل البعد من ارواحهاالرمقا
وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى   من وشى برد التهانى كل ماخلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن   قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده   والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد   فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت انصفهم الحق الذى لهم   وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه   صنع البشير الذى بفضله سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الــــــه قد حباه من الاخلاق ما عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده   ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها على روى اخر على عادة الادباء الالغيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم‌يجيبهم الوافدون ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعرور يجرى برذونا قطوفا ، وكم‌كهام مفلول تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ :

شنف باخبار من احيا اذا ذكروا   مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربعهم وقل اذا سالوا   عن عبدهم : هام فيمن قبله اسروا
فاعجب لصب‌بمن‌شدوا الوثاق‌فلا   من لديهم ولا فداءهم ذكروا
كانهم مارعوا حق الوداد له   وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فعفوا   ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعللها   بالوصل والعطف‌منهم‌بعدما هجروا

فهدلهم من لحاة العصر قد قرعوا   ابواب عطف وباب الوصل قد نظروا

فمالهم لزموا بـــاب اشتغالهم   عنى ومضمار شوقى وسطه حضروا

رعاهم الله قد راعوا ببينهم   روعى وهم فيه ان غابوا وان حضروا

قطرت دمعا بلا عين فكان دما   وغبت عن هذه الاقطار مذ قطروا

جالدت جند الهوى جهدى وحاربنى   حرب البسوس ودارت بيننا عبر

كانوا منى القلب لكن زاده ولها   بالسفر أن يمموا سوقا هى الظفر

لله دهر تقضى كلــــه غرد   بوصلهم ووقوت كلها سحـــر

وفوا فماشاب فود الوصل فيه ولا   شاب صفاء الهدى من بيننا الكدر

منى عليهم، على متن الصبا، وعلى   ذاك الزمان سلام طيب عطر

وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله :

هذى نجوم الدجى ام هذه درر   لابل قواف اجادت سبكها الفكر

هذبها طبع مولانا الامام كما   هذب طبع نسيم الروضة السحر

لفك كما افتر ثغر الزهر قلده   جواهر القطر لما زارها المطر

فى طيها كل معنى كاد يشربه   بحسنه الواعيان السمع والبصر

لاسحر الاالذى ضمت لطافتهـــا   او ما تضمن فى عين المها الحور

ماكنت احسب قبل ان اشاهدها   ان البطائق روض زهرها الفقر

وقال مرحبا بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد وفد عليه ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله   وشفيت من الم الضنا بحلوله

اهلا بوفد قل من اكـــرامـه   ان صرت عبد مبشر بوصوله

اهلا بمن احيا القلوب قدومه   فتبرجت بولائـــه وفضولــه

اهلا بمن اغنى ضياء علومه   عن نور بدر الجو عند افوله

اهلا بمن خرق العوائد فضله   وسما بفضل فعاله واصولــه

اهلا بشهم جل وقت نضاله   عن ان يسام حسامه بفلوله

شرفت عبدا بالزيارة لم يزل   لك فى المحبة مخلصا كفصوله

ان الكمال جميعه لك مـنـــة   فالشعر يقصر عن بلوغ فصوله

والله رب العرش يمنح كل ما   تـــرجوه مـــن اقبالــه وقبوله

ويثيبك السر العميم فتنثنــى   احظى امرىء قد سر عند قفوله

باجل خير الخلق صلى ربنا   ابدا وسلم دون حصر حصوله

فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر :

شعر زرى بالعقد حسن نظامـه   وزها على الحسنا بحسن كلامه

فرحابه فلقد ازال الهم عن   قلب المتيم بعد ستر غمامه

ما الروض فى ازهاره ما الدر فى   اصدافه ما البدر ليل تمامه

الى اخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى :

ياواردا عمت الدنيا مفاخـــره   وغم اعـداءه فيهـا مئاثــره

وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه   ان غاب عنى فما غابت اواصره

اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ   ـــباهى ، وسهلا بوفد سر سائره

لله طلعتك الغرا وسيرتك الـــ   ـــسرا ودهر بك انجابت دياجره

قدمت فى طلب العليا وانت لها   كفؤ وازكى فتى طوعا تصاهره

مهر الفضائل صبر انت باذله   والصدق من شرطها وانت ماهره

والحلم ان ضيم يوما انت ناصره   والعلم ان كان اجنى انت هاصره

سر هكذا فالعلا تدنى مقادتها   لمن تدين لها منــه عناصره

لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى   ان تستحيل امرأ غر مفاخره

منحتك الود منحا لا اعتصار له   والود فى الله ما ترجى اواخره

منى عليك سلام زان ناضره   روض اشتياقى وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ:

ياقادما فضله فى العلم والعمل   قد كان اسير من طيف ومن مثل

وسيدا عمت الدنيا صنائعـــه   انخ فقربك اضحى غاية الامل

وواردا جد مذ ان كان شب الى   انذب فى حفظ شمل الدين من خلل

احييت بالوصل حيا قد نزلت به   نزول قطر بقطر سيم بالخلل

ان ساد قوم بجمع المال والخول   فانت سدت الورى بصالح العمل

لازلت ياخير طب ماهر فطن   تشفى برايك ما بالدين من علل

يانجل عبد العزيز ياامام هدى   لم يرض مذ شب ان يرعى مع الهمل

هجرت مالوف اوطان دعتك الى   ما ليس يرضى به الرحمان من عمل

فقابلتك القلوب بالرضا وبما   يعليك من طيبات الذكر عن زحل

اصفيتك الود فى الرحمان حين صفت   منك الخواطر من غش ومن دخل

عليك منى سلام الله ماطلعت   شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبنى فى بعض وفاداتى على الغ من الحمراء اعوام ١٣٤٢هـ

يحق على للمبشر انـكـم   قدمتم من الاحسان افضل ما خلع

يعين ان عاينت شخصك لى المنى   وقلبى حاظ بالذى قبل قد ولع

طلعت طلوع البدر فى حندس الدجا   الا فاعجبوا للبدر فى الغرب قد طلع

نزلت نزول الغيث فى وسط مجدب   فازهر روض العلم والفضل قد نبع

فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى   وشاد له ركنا قضى الجهل ان خضع

وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت   اوابدها ما ان يقال لها (هدع) (١)

١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال ، كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تقيبت في جمع الكمالات معرضا   عن العرض الفاني وما هالك الهلع
فشمر وجد السير ان الذي تريـ   ـده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك انت الوارث السر فاشكر الـ   ـاله الذي يحميك من كل ماقذع
فلا زلت يامختار في كل مايزيـ   ـن قدرك مختارا جماع العلاجمع
عليك سلام من قريب يحب ان   يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له :

ان لم تكن كابن مقلة   في الخط جد بابن مقلة
وخط في الخد خطا   اخدوده عين عقلة
وارض بخطة عجز   فما لها عنك نقلة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى   فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في   عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

ولقد خاطبه سيدي محمد بن مسعود المعدري بقوله :

تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي   اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
ابو حسن مأوى المكارم كلها   ولا غرو في جمع المكارم في علي
فمهما ذكرنا من خصال فضائل   فليس لها الا ابو حسن علي
فلو اطنب المداح في مدحه فما   عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلي

فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل   ورث المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذي   قرن الفضائل منكم بفواضل
لاتكب في ميدان تدريس وكن   وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدي محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها :

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار   ووجهك ام شمس دهت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت   انـاملها وهنا بروضة ازهار
وخلقك هذا ام خلوق تعطرت   بارواحه لبات صقع واقطار
ونظم لئال في نحور خرائد   ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تفتق من روض البلاغة نورها   ورقت به الالفاظ رقة اسحار
اذا احتست الاذواق كأس رحيقه   سكرنا حلالا ما رزئنا باوزار
يقلد جيدي من فرائد لفظه   باطواق مدح منتقى ذات اخطار

١) يعني الامام محمد بن ادريس الشافعي

واني ورب البيت لولا اعتقاده   وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهاد وهادها   وغنت بها الاطيار في ملد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها   جداولها كالايم (١) في حين ادبار
وتصبح في برد قشيب منمق   وشته يد الوسمي وشيا بازهار
وينشق منها كلما هب ريحها   شذى العنبر الشحري فاح بمعطار
باحسن من شعر يعز على ان   ارى رقمه في غير صفحة افكاري
فاقسم بالفضل الذي حزت خصله   وبالشرف العد المشيد بايثار
وبالادب الغض الذي كان بعض ما   منحت وما اعطيت من رفع اقدار
وبالود مني قد منحت صميمه   فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لقد فقت يا ابن الاكرمين فما ارى   لفضلك ندا عند نزع لاشعار
أسال اله العرش حفظ مقامك الـ   ـسمي من الاسواء طرا واغيار
بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ   ـاله عليه والاجلة انصاري

وقال الاستاذ ايضا فيما كتبه لطلبة مدرسته معاجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم ان يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم في بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده بظفره ، فلا يستهجنن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناء الكلل وربيبوا الحمامات حتى غدوا كما قال الشاعر :

خطرات النسيم تجرح خديـ   ـه ولمس الحرير يدمي بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عادتهم ان يقوموا بكل ضروريات اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليمكن له ان يوالي لهم الدراسة وهذا ماكتب به الاستاذ :

اريد من خير اخواني وصفوتهم   حمل حجار غدت تضر بالعملة
لازال في صالحات السعي سعيكم   ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صلى الاله على   مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ماأتموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما   يجازى به احبابه وسط القبر
واعطاهم من فضله الغمر كل ما   يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفوني مئونات الحصاد وظللوا   باوجههم وجهي كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله   او النقص والرجحان في كفة الصبر
الاهكذا الايثار ، لاكالالى تغيـ   ـبوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذاك تقوم السوق والناس بين من   يراح له والدالجين الى الخسر

١) الايم مخفف الايم بالتشديد : الافعى

ولو لم تعف بالمكاره جنة الـــــ ـخلود لساوى الضب فيها معالبر
عليكم سلام الله ياخير من سموا لتحصيل مايؤل الهنا ساعةالحشر

وبعد فقد ءان لنا ان نكتفي من ءاثـار قلم الاستاذ بهذه النماذج الـتـي سقناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الـذي يعبل كل شيء ، وهذا كله كما يراه القارئ لايخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد التوسع في كل ماقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فـي (جـوف الفرا) فاننا ماعدونا هناان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الـروضة الاريضة ولكن لانحسب ان القارئ يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار براعة يراعه ، فالحمد لله الذي يسرنا لهذا اليوم ، ونسأله تعالى ان ييسرنا لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارئ بين التراجم الامداح الكثيرة التي يخاطب بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخــذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة علي بن عبدالله في اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا والاصيا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار فكثرة اصحابه وثبات مركزه في الرئاسة ، وشفوفه في المكانة الاجتماعية ، وفتاويه واحكامه التي تعج بها سلات الرسوم من كل القبائـل المتاخمة لالـغ المفصحة كل الافصاح عن مكانته في الافتاء والقضاء ، وهذه التموجات الـتـي لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هي من اثرتلاميذه الذين يتتابعون طبقا عـن طبـق كما أن الترحم عـلى الاستاذ الـذي يعليه كـل منصف عندما يـذكر الكرم أو البخل في الغ ، تحمل الناس على أن يـرددوا اسم الاستاذ ، وان يجعلوه ءاخر الكرماء السعيديين ـكما يقول الاخ احمد رحمه اللهـ وهذه كافية غاية الكفاية في مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب :

فعادوا فأثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

ولكن استاذيته التي وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذي تفرعت عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا في ءاثارهاالتي لاتخفى في الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقـدكربت اعناقهـم ان تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا عللا بعد نهل حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ ءاب اليه قريبا حين ظهر له رأي العيـن الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا في ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهـم في المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا اخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه ايضا ، ثم لانذكر الامن اشتهر منهم بعلم اوتدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانتـه في الرئاسة اومركز آخر ، وأما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتنكب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر بالمدرسةالالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد ان فارقها لانه على كل حال ممن أخذوا عنه، وهذا هو شرطنا، وعلى الله التكلان

فلنتتبعهم بالقبائل ، فنبدأ بءال الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الايفشانيين والوفقاويين والتاكنزيين والتيغشيتيين بالمرابطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالايسيين ثـم الامانوزيين والكرسيفيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيريين ، ثم الرسموكيين ثـم السملاليين ثـم البعقيليين وما اليهم كالتازروالتيين ثم المجاطيين ، ثـم الافرانيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثـم الازاغاريين ثـم التاغاجيجتيين ثـم التامانارتيين ومن اليهـم كالاموكاديريين والاقاويين ، ثم الساموكنيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سترتب ايضا ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هـــذه القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم :

١ ـ الاستاذ عبد الله بن محمد الالغي
٢ ـ صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغي
٣ ـ صنوهما احمد بن محمد
٤ ـ الاستاذ محمد بن علي
٥ ـ الاستاذ المدني بن علي
٦ ـ الاستاذ الطاهر بن علي
٧ ـ الاستاذ الحسن بن علي
٨ ـ سيدي صالح بن احمد
٩ ـ صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
١٠ ـ النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
١١ ـ النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
١٢ ـ النجيب سيدي احمد بن محمد التاهالي
١٣ ـ الشيخ محمد بن عبد التهالي
١٤ ـ السيد محمد بن الحاج بلقاسم
١٥ ـ العم سيدي ابراهيم بن احمد
١٦ ـ سيدي موسى بن الطيب
١٧ ـ صنوه المرحوم سيدي البشير

١٨ ـ الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
١٩ ـ الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
٢٠ ـ الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى
٢١ ـ سيدى على بن الحاج احمد التيفشيتى
٢٢ ـ سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
٢٣ ـ الاستاذ سيدى البشير صنوه
٢٤ ـ الاستاذ عبد الله بن مسعود التيبيوتى
٢٥ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٢٦ ـ الحاج مسعود الوفقاوى الاستاذ الكبير
٢٧ ـ النوازلى سيدى محمد بن مبارك الوفقاوى
٢٨ ـ سيدى المحفوظ بن الهاشمى
٢٩ ـ سيدى احمد بن بوهوش التاويبى الايفشانى
٣٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناى الايفشانى
٣١ ـ صنوه سيدى محمد بن الحسن
٣٢ ـ سيدى محمد بن مبارك التاويبى الايفشانى
٣٣ ـ سيدى الحسن اخوه
٣٤ ـ سيدى الحسين بن صالح التاكنزى

الايسيون

٣٥ ـ الاستاذ سيدى المكى اليزيدى
٣٦ ـ سيدى الطيب اليزيدى
٣٧ ـ الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
٣٨ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
٣٩ ـ الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
٤٠ ـ سيدى محمد بن عابد اليزيدى
٤١ ـ سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
٣٢ ـ سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
٤٣ ـ سيدى محمد بن الحنفى الفيلالى الحضيكى
٤٤ ـ صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكى
٤٥ ـ سيدى الحسن بن البشير الحضيكى
٤٦ ـ سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسيفيون ومن اليهم

٤٧ ـ سيدى محمد بن بومليك

٤٨ ـ سيدى محمد ـفتحاـ بن عبد السلام الكرسيفى
٤٩ ـ سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

٥٠ ـ سيدى الحسين التانفيلتى
٥١ ـ الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ ـ بلقاسم الانامرى التيملى
٥٣ ـ سيدى محمد بن بلا الانيلى
٥٤ ـ سيدى محمد المسناتى
٥٥ ـ سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ ـ سيدى احمد بن محمد الدويملالنى
٥٧ ـ الاديب سيدى محمد الكثيرى
٥٨ ـ صنوه احمد

الرسموكيون

٥٩ ـ العلامة على بن الطاهر
٦٠ ـ اخوه عبد الوهاب
٦١ ـ الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ ـ سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ ـ الاستاذ ابراهيم التازيلالتى

السملاليون

٦٤ ـ سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ ـ الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ ـ سيدى احمد بن محمد الورحمانى
٦٧ ـ الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ ـ الفقيه عبد الله المافامانى
٦٩ ـ الحسن بن عبد الله
٧٠ ـ الفقيه سيدى محمد التيقيى
٧١ ـ العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ ـ الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ ـ سيدى عبد الله بن محمد الورحمانى
٧٤ ـ سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعقيليون

٧٥ – الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمي
٧٦ – سيدى علي الباعقيل القاسمي
٧٧ – الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكماري
٧٨ – السيد الحاج الاحسن الباعقيلي ثم البيضاوي
٧٩ – احمد بن صالح الايفيرموسي
٨٠ – النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ – الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطي

المجاطيون

٨٢ – الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتي
٨٣ – الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريبي
٨٤ – سيدى جامع بن همو الازوتيفي المجاطي الشهيد

الافرانيون

٨٥ – العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ – الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهير
٨٧ – صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ – الاستاذ احمد بن صالح من بني عدى
٨٩ – سيدى احمد بن صالح الشكوكي
٩٠ – الاديب سيدى الطاهر الناصري
٩١ – الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ – النجيب ابنه المهدى
٩٣ – سيدى محمد السلامي التاغونيتي
٩٤ – مولاي صالح التانكرتي
٩٥ – الفقيه سيدى الحسين التيمولائي
٩٦ – صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

٩٧ – الاديب الكبير مولاى عبد الرحمان البوزاكارني
٩٨ – الفقيه سيدى الحسين التاطاروستي
٩٩ – سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ – سيدى محمد السلامي المقدم التاكاتني

١٠١ – صنوه سيدى علي
١٠٢ – سيدى محمد بن علي اوبالوش
١٠٣ – صنوه سيدى عمر
١٠٤ – محمد بن ابراهيم المانوزي الاخصاصي
١٠٥ – سيدى محمد بن مبارك الاكيسلي
١٠٦ – الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

١٠٧ – القاضي سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
١٠٨ – سيدى الحسن اخوه
١٠٩ – سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوي
١١٠ – سيدى محمد بن الحسن الموساكناوي
١١١ – الاديب محمد بن الحسين بوكرع
١١٢ – سيدى محمد بويشوارين الساحلي
١١٣ – النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

١١٤ – سيدى محمد المرسي المعدري
١١٥ – سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسي

التاغجيجتيون

١١٦ – سيدى ادريس بن الحسن
١١٧ – سيدى محمد بن مبارك الموش
١١٨ – سيدى ابراهيم بن محمد
١١٩ – صنوه سيدى احمد بن محمد
١٢٠ – القائد الحاج احمد اضارضور

التا مانارتيون

١٢١ – سيدى اليزيد الخلاسي
١٢٢ – الحاج عبد الله اليزيدى
١٢٣ – سيدى الطيب اوباحو
١٢٤ – سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديري
١٢٥ – سيدى ابراهيم بن محمد العنتري
١٢٦ – سيدى سعيد بن علي العنتري

١٢٧ ـ القاضي محمد الهاشمي الافاوي

الساموكنيون

١٢٨ ـ الاستاذ سيدى العربي الساموكني الشهير
١٢٩ ـ الفقيه محمد بن محمد بووازى
١٣٠ ـ سيدى الحسين بن احمد
١٣١ ـ سيدى محمد بن احمد الحافظ
١٣٢ ـ سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولابد ان يفلت من احصائنا هذا بعض نجباء آخرين ، ولكننا في الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتخلنا النجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقي بعد الانتخال في ايدينا بعد ذلك من رايتهم امامك الآن ، ولاشك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا في ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمة، فكل من يقدر ان يكتب ما في ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ماكتبه غيره القوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ماجعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما في ضميره باللغة العربيـة كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التي اخذها وكانت له يد متمكنة في بعضها • واما المتفوقون فهم الفطاحـل العلماء الاجلة وهم في هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتمم مرادنا في ترجمة كل مقدار خطواته في الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن افلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التي تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على انك لاتدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حـق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذقال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى ، قال أولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الحظوة العظيمة في علمه وفي رئاسته وفي قضائه في كل ماتمسه يده ، فكان في مقام يغبط فيه ، وفي منزلة تتطاطاونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح في كل ارجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد، ويقر بمقامه العـظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ واشادة للحق وهدا للباطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيرة تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط مايغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخي احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من اراني عنه ماكنت اجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفيي من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التي قضيتها منذ غادرت الغ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمهما اللـه معا : ان الاستاذ هو آخر من يتقبل في الغ اى ضيف جاء ولايكاد يجيب بابه دون اى احد رآه ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الـغ كـرم لاحقيقة ولامجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذيـن لايعدون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالغيين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لاتزال مسترسلة ـ كماترى ـ بعدمامضى زمن كادت فيه الغ تاتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجيلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الغ شرها فالتامت القلوب وانطفات الحزازات ، وتركت تلك الفظيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولادها! فبعدان رزىء الاستاذ بفلذة كبده ؛ وبعد أن جوذبـت الحبـال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبر اذنه ، فعاد الالغيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذى لاتخلو داره من علماء يزيديين أو افرانيين او صحراويين أو سملاليين أو اخصاصيين أو بعقيليين او تمليين أوصوابيين او تامانارتيين ، ولايكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا آخر ومن اريحيته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربى على ذلك تلاميـذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جـاء الوفد الافراني الذى يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدني الناصري وصنوه الاديب الطاهر بن المدني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافراني احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي البزيدى والفقيه الحاج أحمد بن محمد البزيدى وأخيه عبد الرحمن والفقيه أوالشلح الايسي والتوانلي الحاج أحمد من آل بريك الوفقاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبوزيد البوزاكارني شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد البزيدى ، والاديب محمد بابه

الصحراوى ، فيتسابقون جميعا فى القصائد ثم تاتى حلبة اخرى من الالغيين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابنى الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغه المدنى ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيسيوتي وعبد الله بن ابراهيم الالغى وادباء المدرسة الالغية ، فتتلاطم امواج القريض فى دار الاستاذ وفى دار الايفشانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ فرى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد ان توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولمكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التى ستستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب

هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبته الى ءاخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لايخرج من شديد منها الا الى ماهو اشد ، فعزم عزما اكيدا ان ينزوى فى داره وان يطلق هذه المجامع وكانه شاهد الصخرة قد تدهرجت من قنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر فايقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ماكان خطر له يوما رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تذره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدات من بنى عمران فجرفت كل ماامامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقت الحملة ملاقت فى قبيلة ايت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضاؤلا مخجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين وقد ظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان لاغيرة ولا ايمان ، ولاقصد حسنا وان كل ذلك انما هو من اجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المغرضين كالقائد المدنى وامثاله ، ثم لم يرزءوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأوهم كما زعموا فقال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزيمتى وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع من ذلك الزحف الذى كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة ـ ١٣٤٥هـ ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القربة ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده ـ ومعلوم ماللمجد من نفقات باهظة ـ وقد خلت الاهراء ونفدت الذخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧هـ بخروج املاك ايشت من يده وهى التى كانت تمده بتمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر فى هذه المسغبة ان يشترى من الحبوب مثل الناس مايزيده الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم امثال الاستاذين الالغيين

اخبرنى الاخ احمد قال : حرث الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تخير المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يفد الا الاراضى الهشة ، فصار الاستاذ فى مقيم مقعد ، فاجتمعت معه فى دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تاثره فقال : ماذا يلاقى الالغيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان تستهموا لتنظروا من هو المنحوس فينا ؟ ـ قال ذلك تواضعا وهضما للنفس ـ ثم قال : ولكن واحياءاه ، ربما يقع السهم على جانبى وما يدرينى ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم ؟ فصارت عبراته تنتثر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة ـ وكان ذلك منه يؤثر غاية التاثير ـ ثم صار يقول : ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلات تترى فما ارعوينا وزلزلتنا النذر ونحن فى اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ : فحصلت لنا منه رحمه الله موعظة اثرت فينا غاية التاثير ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحما مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قال الاخ : كذلك كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا مايهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ به الناس ، حتى انه فى مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لايقدر اى انسان ءاخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجالسه وهذا هو كرمه الحق حتى فى المساغب وتلك همته التى تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به فى كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذى بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة المشهورة اذذاك اذيالها ، ففى يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل على الحاضرين فى سكوتهم على العادات المستهجنة التى ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء فى الملاعب ثم قال : ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم فى الملعب؟ فمالنا أيها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف من اين اتينا ؟ فيالّلمصائب ويا للرزية ، فقد صبت علينا الكوارث من كل جانب ، بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا فى الذنوب التى نسدر فى غلوائها

غيرمبالين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المنوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل الى لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد ان يجلس بين الناس تاثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير ان يدعو للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذي قلب ذائب وذي نفس متطايرة فبقي له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيقصم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك في المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر : فقال لى ابى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: الا تزالون في موالاة الدروس ؟ أتركوا ماانتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعوني ــهكذا بهذا اللفظــ يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جاش وهمته هي هي في كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثاني ، فزار ضيعته بتالات نستعيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدني للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شئون الاسرة ، والآخرون يواظبون على دراستهم ، قال : ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال : لاتطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت انا واياهم فانا في عصر وفي ناس وأنتم في عصر آخر وفي ناس آخرين ، قال : ثم حثنا على المتابعة وان لاتزيل الستر عن دارنا ، فقال : ان قدر الله ان تقسموا مابايديكم فلايطلعن احد على ماعندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافراني وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافراني والرئيس أحمد بن ابراهيم الايغشاني وسيدى سعيد الاعضياوي والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم في عشية الخميس ازداد مرضه وفي يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه مايجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ،فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لاانتشار له في هذا العالم وذلك في بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيىء لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافراني في نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب ابيه وأخيه الاستاذ سيدى محمد في وسط القبة التي تتداعى اركانها كأن تداعيها من هيبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتتسع لحضراتهم اركانها

مراثيه

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزىء أهله وتلاميذه منه برزء وقع عليهم بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن علي : فمرت شهور ولم تظهر مرثية له كأن الغ الادبية غير الغ بل كأن الارض بدلت غير الارض او كان الوفاء الذي تدل عليه المراثي عاد بلقعايبابا ينعق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر الافراني بلبل الشعر الصداح ، وصدى الادب الذي لايكاد يفرغ من قصيدة الغية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضي الاستاذ الوالد بلامرثية ؟ قال فاجابني بأن مايقال له في هذا الموضوع يقال لكل اديب الغي ثم كان ذلك سبباعلى أن القى الاستاذ الافراني هذه القصيدة الرائية الآتية كما قال ايضا في الموضوع الاديب الكثيري ، ثم بعد ذلك قفاهماقاضي اقا سيدي محمد الهاشمي الفاسي بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثي ، مع انه كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تابى حرفة الادب الا أن تدرك صاحبها في الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، او بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكثرت الاعتذارات الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافراني :

امن حادث بكر جرى منه ما جرى جرى دمعك القاني فقرح محجرا
فبت بليل نابغــي مسامرا كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى له كبدا حرى وقلبا تفطـرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد لصبرك عزما ايــدا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى مدامع تهمى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد مولــه تحير لايدري اماما ولا ورا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الغيث في محل هم الاسد في الوغى
هم الغوث في ازل هم الشهب في السرى
فذكرني بيتا لحسان هاج من جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خيــار المومنين تواردوا شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا»
الم تر ما غال العقول وارمض النـ ـفوس ، واقذى كل عين واسهرا
مصاب ينسي كل صاب مرارة ورزء اهان المــرزيات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى به يهتدى باغي الهدى حيثما سرى
ابي الحسن القرم الرضا خير من اضا بانواره افق العلـوم ونـورا
خضم بامواج المعارف يرتمي وروض بازهار المعارف نـورا

١) عدياء : قصاراه وهو بالتصغير

همام له فى المجد همة سيد ... بصير اذاماورد الامر اصدرا (١)
كريم له عند المكارم هشة ... كما شمت برقا فى الغمامة امطرا
يفيض بانواع المعارف والندى ... على كل عاف رائحا او مبكرا
على بابه فى كل يوم تزاحم ... كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
ومن علمه او كفه يقبس الغنى ... عن المزريين الجهل والفقر من عرا
فكم من عم فى مهمه الغى حائـر ... رأى سره البادى السنا فتبصرا
وكم طالب يبغى المعارف امه ... فاصدره عن علـمـه متبحرا
هو الشيخ كل العصر معترف له ... بمن سواء من تربى ومن قـــرا
هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه ... بغير حجاب منجدا ام مغورا
هو البحر من اى النواحى اتيته ... انالك درا دون من وجوهرا
هو البدر اشراقا هو الدهر همة ... هو البحر معروفاهوالليث مجترى
هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما ... هو العلم الاسمى لمن ضل فىعرا
هو الصارم المسلول انصال اوسطا ... لدىالحرب ابصرت الهزبرالغضنفرا
غدا ذكره اسرى من الشهب والصبا ... ومن مثل والليل والطيف فىالكرى
فكم طرقت اخباره سمع راغب ... فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
لقد افعم الارجاء اضواء بره ... وعطر ريا علمه المدن والقرى
فمن ظن ان العصر ضم نظيره ... فقد ظن اخت الشمس خاب من افترى
فقل لحسود ظل ينكر فضله ... اذا كنت ذاعينين فانظر لكى ترى
وللمدعى هيهات ويك الى الندى ... تجاريه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
تجمع فيه كل فضل مفرق ... على غيره كالصيد ضمنه الفرا
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى ... وكم جائر اردى وكم مفتر فـرى
وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى ... وقد صار فيه اليوم ادكن اغبرا
وحمحمت الجرد الجياد وضرجـت ... دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
وجالدت الابطال واشتجر القنا ... وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وصمت بصوت المرعـدات مسامع ... وافحم بالذعر اللسان فبربرا
وسيئت ظنون واصطككن فـرائص ... ودارت عيون خيفة وتـحـيـرا

١) قال النابغة الجعدى :

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الناس اصدرا
ولاخير فى حلم اذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

٢) هذا ينظر الى قول المتنبي :

كثرت حول ديارهم لما بدت ... منها الشموس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت ... على الجو اطراف السنابك عثيرا (١)
فلا تبصر العيـنـان الامضرجا ... جريحا والا مستميتا معفـرا
جلا فيه كرب الدين لله دره ... بصادق باس لايحل التاخـرا
له وثبات ، او ثبات كـانـمـا ... يعاطي لدى الهيجا مداما معصفـرا
يرى الكفر ان العز بالله لابما ... يلقبه الجهال جندا وعسكرا
وان جموع الكافرين وان طغت ... سترجع عند العزم جمعا مكسرا
فبيض وجه الدين بالجد ناصرا ... عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (٢)
وقاتـل اعداء الهدى بشهامة ... اذاقت مرارات الردى من تنصرا
وجاهدهم فى الله حق جهاده ... فاوجب رضوان واجرا موفرا (٣)
الى ان دعاه الله بالفوز والـرضـا ... فلباه مسرورا بما كان احضرا
فخلف صيتا طائـرا ومفاخرا ... مدى الدهر تستدعى الثناء المعطرا

١) البيض بفتح انباء : جمع بيضة وهي المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل

فلولا الريح اسمع من بحجـر ... صليل البيض تقرع بالذكور

والشطر الثاني ينظر الى قول المتنبي :

عقدت سنابكـهـا عليه عثيرا ... فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا

٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الىماجاءفى قصيدةلابراهيم السكتاني السوسي فى الامير "محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا ... وماج بحر الحرب جحفله المجـر
به يتقى فى معمعان الوطيس ان ... تمرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجاء حق قيامها ... ودارت رحاهاوالتظى وسطهاالجمر
وقد صابرالشجعان حتى لوى بهم ... الى العجز رغما مطمن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا ... وكدست الموتى وضاق بها البـر
وجف من اوساط الحلوق لعابها ... وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانثنـى ... عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر
هنالك مولانا يضىء جبيـنـه ... حبورا كأن طافت براحته الخمر
يقاوم فردا ثابت الجاش مقدما ... كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايعه العزم الوطيد وقائـم ... من المشرفيات البواتر والمهـر
الى أن يرد الجيش ادبارهم وقـد ... تقسمهم حد المـهـنـد والاسر

والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

٣) حكى لى القائد اناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة ولم يقدر احد أن يتقدم لياتى بشلوه الا الفقيه سيدى على بن عبد الله ، فقد غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه .

الا انما تلك المكارم لا الالى ... يعدونها شيزى وقعبا مقوبا (١)
واعقبنا حزنا يزيد وعبرة ... تفيض ووجدا لايزال مسعرا
ولكننا نلقى المقادير بالرضا ... وتسليم امر كان حتما مسطرا
مضى شيخنا الحامي الذمار مطهرا ... مبرأ مايخفي وما كان اظهرا
سأبكيه ما ناح الحمام هديله ... وان كان يبكيه بكاء مزورا
وتندبه عين اليراع معي وان ... جرى دمعها احوى ودمعي احمرا
وتبكيه عين المزن في الروض اذحكت ... شمائله الازهار طيبا ومخبرا
واني اعزى المجد فيه فانه ... ابوه الذى يحميه ان يتهورا
واندبه للعلم والدين والندى ... وخابط ليل جائعا متحيرا
واندبه للمشكلات يحلها ... ببرهان صدق بادها او مفكرا
واندبه للدرس في الدست اذ غدا ... يقلده من فيه عقدا مجوهرا
وللوعظ تهمى العين من رقة به ... اذا قام فيه مغريا ومحذرا
واندبه للطالب العلم يجتني ... من ادابه او ماله متخيرا
وللمعتدين الظالمين يكفهم ... عن الظلم كفا يردع المتكبرا
وللدين والدنيا وللفضل والعلا ... وللبشر والترحيب بالضيف ان طرا
وللسادة الابناء ابنائه ومن ... أضيف له معنى فحاز التصدرا
وللجلة الاخوان والجيرة الالى ... حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا ... بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
فلارزء الا دون رزئكم فلا ... يكن حظكم في الصبر ادنى واقصرا
ولاتهنوا للحادث النكر انه ... اذا جل رزء كان بالصبر اجدرا
ففي الله للعبد المنيب كفاية ... تقيه اذا ابدى الزمان التكشرا
لما جزعي ؟ والموت حتم وانما ... مدى كل حي ان يموت فيقبرا
اما زار طيف الموت كل منبا ... كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
فلا ملك تحميه عدته ولا ... عليم ينجيه من الموت مادرى
فاين ذوو التيجان من كل امة ... الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
واين الكرام الشم من برمك ؟ اما ... تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
دعا الكل داع لايرد لمصرع ... يلازمه حتى يوافي محشرا
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى ... وان عاش احقابا ولكن ليعبرا
فتبا لها لم تصف الا تكدرت ... ولم يحل فيها العيش الا تمررا
وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها ... اذا هو بالزهد ارتدى وتازرا
وجد حبال السوف اذ جد جده ... لزاد معاد فاتقى وتبررا
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة ... تسر اذا لاقى نكيرا ومنكرا

١) القعب بالفتح : اناء اللبن والشيزى : عود تصنع منه القصاع
قال الشاعر : تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل في اصحاب قليب بدر : وكم ذا في القليب قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن ... مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله ... فانك اهل ان تجود وتغفرا
وان الرجا في جنب عفوك شافع ... كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة ... تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
وان تتلقاه برضوانك الذى ... يبيح له مثوى كريما ومنظرا
بجاه رسول الله من جنبه حمى ... حصين يجير الملتجي وان اجترى
عليه صلاة الله قدر كماله ... على عد ذرات الوجود واكثرا
واصحابه والتابعين ومن تلا ... ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرانى ، وقدتتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب ثم ضم الى ذلك مايالف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة التى تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الغ الامثال علماء كل هذا العصر الذين لايطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هى ، فضلا عن ان يخوضوها لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التنانى الذى يقول : انني وامثالي يحرم في حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا الهزيمة لاننا سرعان ماننكشف في المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلى بين الرصاص تذكر عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ، وكامثالها من المواقف التى اشتهرت عنه في ايت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثيرى :

الدهر بعد تعرف يتنكر ... فسلامة من باسه تتعذر
ماافتر عن اسنانه الا بدا ... متجهما عن نابه يتكشر
فاذا تذلل لامرىء يوما غدا ... من بعد اى تذلل يتنمر
واذا أتى عفوا واصفى موردا ... غما فقليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه ... واذاله من بعد ما يتصدر
ورزية تمرى ضروع مدامع ... كل الرزايا عندها لا تذكر
عمت وخصت كل ذى ادب فما ... تلقاه الا حائرا يتفجر
ياعاذلى ومؤنبى فى عبرتى ... ان الرزايا فى الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من ... عيش يرجى او منى تتذكر ؟
طم المصاب وعم ابناء الورى ... فتحيروا من وقعه وتحسروا
من للمحابر والمنابر والعلا ... والضيف في ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغي ... كشف الخفايا لبسها لايبقر
كم من غوامض قد جلاها فكره ... لولا ثقوب شعوره لاتشعر

١) لاينكت : لايعد

نشر العلوم افادة واجادة … واشادة عن همة لاتفتر
من للحمى يحميه من لعوارف … ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمنت … من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعى الله ياروح العلا … فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك فى امتثال اوامر … فلقيت رحمة ربنا تستبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الـ … ـمولى تعالى جله تستغزر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما :

موت العليم مصيبة لن تجبرا … لاسيما من فاق فى العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعينا … ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حييت سيادتكم على … خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى … اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قـ … ـط حسبت ان البدر يقبر فى الثرى
غبتم فاشخصنا العيون الى السما … أشخاص من سلب القوى متحيرا

وثانيتهما :

لتبك همًا فى الارض من كان اغيرا … على العلم والاسلام مثلك فى الورى
لتبك على موت الذى الدين زعزعت … بفقدانه اركانه فتقطرا
لتبك على فقد المحلى بكل ما … يزين الفتى حلما وعلما منورا
ابى الحسن الالغى شيخ زمانه … ومن فاق كل من غدا متبحرا
همام يفيد المرء فى جلسة من الـ … ـمعارف ما لايستفيده اعصرا
عليم كريم لايمل جليسه … اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف … وعلم الغزالى فى لسان القبعثرى
فماذا عسى ابديه من وصفه وان … غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
ابا حسن ابكيت اعيننا كما … اذبت بنا كل القلوب تحسرا
اجود بدمعى قائلا ومؤرخا : … (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف نسختهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو اهله ، ولكنه راى الرقعة فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب بما طوقوا به اخر الدهر ، حين اعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة اوقطعتين كالاستاذ الأقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله السملالى كان أيضا من الراثين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمراثى

وهى :

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاى ابى الحسن الالغى ، الاخ الفقيه المدرس النفاعة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشمائل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل، الاديب الاريب، سيدى محمد والنجيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوافى العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولاتفريط ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بذى الحجة ١٣٤٨ هـ».

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثر وفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى التاريخ

قولة الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذو المآثر العالية ، والمفاخر الصمدانية• الكاتب المجيد البارع، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع •وقد نزعت اليه اللطائف من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفائز من الاجادة بأى نصيب• ابو الحسن سيدى على بن الحاج عبدالله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد السماوكنى -كما فى الحضيكى- التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فى بلده عن أخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، وأحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون شنشنتهم كتب الادب واللغة فبها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو فى نفسه قوى العارضة • لايطمع الفتح ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يد الطوع، وامنت باقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وانْ له فى ميدان الراية ؛ وقد

البث له مابصرشمرا ؛ وتجده عند الاختبار صخرا، وعند الانتشاق شحرا، (١) فمن ذلك قوله يخاطبني :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن   واروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن
ومن قل شكرى عن عوائد بره   ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله   ويتل على آرائه : حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى   واحلى بعيد الجهد والكد من وسن

وذلك جواب لقولي فيه :

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القنن
الى قدم الشيخ الهمام ابي الحسن
سلام خديم لايريم مع النـوى   على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة   ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطـن
ابى المجد الا ان تكون سريه   نقيبا وان يتل عليك : حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت   لديك وعدها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها   عبير مديح اشهى للصبى من وسن (٤)

وذلك في جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ.

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميدع من زرت مآثره   بروتق البدر بل بروتق الشجر
ابى علي مرعسف اليراع اذا   ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على   عد الرمال وعد الرمل والدرر

فاجاب رحمه الله فقال :

مولاى من قد زرت بطلعة القمر   طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت   لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر   على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر مالم اكن (٥)   أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قد جبلت على   احياء ميته يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت   شمس وما زين عين العين بالحور

١) المراد بالشحر شحر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ، وقد جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسنوه من الروائح الى عنبر هذا المكان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشحرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا
٢) خات العقاب يخوت خواتا : كان لجناحه دوى
٣) ملحضيض : من الحضيض ، على لغة بلحارث بن كعب
٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه ، مع انها غير موزونة
٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا مايقع مثل هذا في البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفي رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ

هذا ماترجم به الاستاذ الرفاكى صاحب الترجمة ، وقد اتت اقواله كلها على اختصارها اجمالا لمابيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ثم صار يلقنها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجاني الالغى على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولايزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه التعصب الذى يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رأيتها ، كما أن الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدى المدنى الافرانى ، واستطاع الكل ان يتمشى جنبا لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن • والمترجم تلقن التيجانية من مراكش •

قولة المؤرخ علي بن الحبيب فيه

ومنهم اللوذعى الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم ، والفضل العميم ، صاحب القلم السيال ابو الحسن سيدى على بن عبدالله الالغى ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضى الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما في ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بين قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن   واروى بغاة العلم عذبا بـلا اسن

الى ءاخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاكى له»

ومما كتب به الى والدى : «علم الاعلام وامام معتقلى الاقلام ، ومن له بكل فن مولاقول الاحقاء اى الامام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحسيب ، سيدى الحبيب السكراتى ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلاباس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالتكم ، ماتضمن كل سول ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيت فاحيت هناك ساكنى القصبة   واسترجعت اعظما بالشوق مغتصبة

١) كذا من خطه

فالله يبقيك ويقيك ويرقيك ، ومن بحر عناية لبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرتـه سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة، وعلمت في ذلك انني والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهدي فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم   ان التشبه بالـكـرام ربـاح

نصها :

مولاى انى وان شطت بى الدار   وحكمت بالتنائي عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى   قلبى صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا   واثارت فلها في العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما   لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهـل   يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقى مابقيت على   عهد يجل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوقى ما   لخيل ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا   دة تتاح لـه بالعـز انـوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ   ـابناء دارتـه والـكـل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علـ   ـيا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلـعـت   شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهي من بنات افكاري احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلبه لاينطوى على نكر ومكر :

له شرف قد جل عن ان يناله   غوائل ايدى الحادثات قـدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه   كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائـل   فمنهم جثوم حـولـه وقيـام

اخذ العلم عن اخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ،وهو الذي بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة في تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة،فيهما يتمارسون وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه؛ اذاذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، اوالكرم فهو العامر لفنائه، أو العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله قصائد خاطب بهاأدباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر ، (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال : ولصاحب الترجمة يهجو «ال (فصك) : دشرة من مداشر جزولة قوله :

أتيت لامر حافز (فصك) وهي بلـ   ـدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قـومـا برابر يدعو   ن انهم فى العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا   صنائعهم ليست صنائع عربان
أماتوا الندى فاقبروه واحيوا الـ   ـمناكر فهي العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا فى نسائهم   حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم ار مثل حالهم فى خشونة الـ   ـمعاش وفى اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتعبوا انفسهم فى تحصيل العلم عند والدهم الى ان حصلوا منه كفاينهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجـازوا فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولايقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذلتى على اتعاب نفسى   ورعيي فى الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالى   فاهون فائت طـيـب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدى محمد بن عبد الله على حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مدارك الرجال :

الاديب سيدي محمد وستقرا ترجمته انشاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرءان حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده يقول له انني أريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لمايراه الاستاذ من عدم هذا النوع من المعرفة عند الالغيين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة به ، وقلمايتعدى الى حرف المكي اوقالون الاعند البعض منهم ثم لايلبث ان ينساه فاراد من ولده هذا أن يحيي ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس أماني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دووكادير لقضاء اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا فى الدار ، حين رجع الاخ سيدى محمد من قبيلة اداوزيكى اول عام ١٣٣١ هـ فكان يجاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة ـلسبب من الاسبابـ ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى فى ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم الزلاف

اللهيب الى الهشيم ، فرضى حكم احمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعا لاولياء الدم ثم قتلت احدهما وهو مبارك الكسيمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة فقكه الله ولا يظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا ـ أخال ـ حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد المّ والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من اجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولا من اخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايغشانى وآخرون ـ كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا) ـ فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت اول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولا تود بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها ـ والمقصود بين اولاد سيدى المدنى ـ فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترائيا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثثت بعض اولادها ان ياتى به لننسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر لـم ولدت للاستاذ من الذكور : العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سياتى ان شاء الله ، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ مازال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابنى الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدنى وغيره ، ورقية عند سيدى احمد بن الحسين الاعضباوى ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايغشانى ثم ماتت

فهذا ما اعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بينناو بينهم ما بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة فى عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المعسول)
فى منفاى بالغ فى واسط عام ١٣٥٨ هـ
ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثانى فى بقية ابناء عبد الله بن سعيد
من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثانى)

الفهارس خمسة :

1] فهرس المترجمين في هذا الجزء
2] الفهرس العام
3) فهرس القوافي
4) « الرسائل
5) « الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهـرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

٨٠ سيدى عبد الله بن سعيد التاهالى
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله بن سعيد الالغى
١٢١ سيدى محمدبن عبدالله بن سعيد
١٢٢ سيدى على بن أحمد بن عبدالله
١٢٥ سيدى عبد الله بن أحمد بن عبدالله
١٢٧ سيدى حسين بن عبدالله بن احمد
١٢٨ سيدى آحمد بن على بن احمد
١٣١ سيدى عبدالله بنموسى بنمحمد الارخطيرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزى
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد التيبيبوتى
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم التيبيبوتى
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد أول فقيه في المرابطين
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقهى
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبدالله الزاوى
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله الزاوى
١٤٧ سيدى محمد بن احمد السميدى
١٤٨ سيدى محمد بن بلقاسم التيبيوتى
١٥٤ الحاج على التيبيبوتى
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالغى
١٦٠ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى
١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
٢٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى

الفهرس الثاني

الفهرس العام

مقدمة بين الامس والغد
ع بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٢ خطبة الكتاب
١٥ تحية الغ بقصيدة بائية كبرى
٢٣ اسم الكتاب التام
٢٥ وصف الغ الجغرافى
٢٨ قرى الغ كلها
٢٩ بعض العادات الالغية
٣٠ عاشوراء
٣١ ليلة المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحداقة ــ العواشر ــ الختان
٣٥ الحصاد ــ والدارس وما اليهما ــ الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع ــ الحدادة
٣٧ التجارة ــ الدباغة والحذاءة ــ الاكافة
٣٨ الحبالة ــ الشباكة ــ نساجة الصوف
٣٩ الخياطة
٤٠ الرفاءة ــ الخزافة ــ الحجامة
٤١ معدن النحاس ــ العلم والتديين والاخلاق العامة
٤٣ اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم
٤٦ قصائد فى بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالغية
٥٣ رجز فى تشحير الاتاى
٥٤ المعتاد فى اول السنة الفلاحية ــ الالبسة
٥٥ الفرش ــ المعتاد فى المساجد
٥٧ المعتاد فى المدرسة الالغية
٥٨ دور المرأة الالغية
٥٩ الامثال الالغية
٦٠ الالعاب الالغية ، ذكرفيها ١٤ نوعا
٦٣ ماقيل فى وصف الغ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

٧٨ اسماء المذكورين فى (الفصل الاول)
٨٠ الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد التهالى
٨١ النطفيات التى اسسها فى القفار وهي ١٢
٨٣ وثائق واقوال المؤرخين (حوله) .. ..
٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك ، وهو فصل طويل لابد ان يقرأ ليعرف الشيخ حق المعرفة
١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بئال الشيخ بعده
١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله اول نزيل فى الغ من ايمور احد اولاد الشيخ
١٢١ سيدى محمد بن عبدالله ، الولد الثانى للشيخ
١٢٢ سيدى على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٥ سيدى عبد الله بن احمد ، اخو من قبله
١٢٧ سيدى الحسين بن عبد الله بن احمد ، ولد من قبله
١٢٨ سيدى احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٣١ سيدى عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخضيرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم ولد من قبله
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد ، اول فقيه فى ال الشيخ عبدالله بن سعيد
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان ، الفقيه ولد من قبله
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد ، الفقيه
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد
١٤٧ سيدى محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد
١٤٨ العلامة سيدى محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
١٥٤ سيدى الحاج على التيييوتى ابن عمه لحا ، الفقيه
١٥٦ سيدى الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد ابن عبدالله بن سعيد ابو الاعلام
١٥٩ قصيدة فى رثائه
١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبد الله ، ابن من قبله
١٦١ مبتداه
١٦٢ فى مدرسة تانكرت
١٦٢ فى مسجد قريته (مدرسا)

١٦٣ في المدرسة البومروانية
١٦٤ المدرسة الالفية تؤسس
١٦٥ قوام المدرسة
١٦٦ الاستاذ في مدرسته الجديدة
١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
١٦٨ العشرة الاولى
١٦٩ العشرة الثانية
١٦٩ الاستاذ وطلبته في وادي افران
١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
١٧٢ قصيدة في التعزية • فيه
١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى الغ
١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجزحولها
١٧٥ اثاره • نظما ونثرا
١٨٠ الاخذون عنه
١٨٢ مراثيه
١٨٣ قولة علي بن الحبيب فيه
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي
١٨٥ موضع ولادته
١٨٦ في المكتب
١٨٧ في مدرسة تانالت
١٨٧ في مدرسة المولود
١٨٧ في مدرسة تازاروالت
١٨٨ في مدرسة تانكرت
١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدي سعيد المعدري
١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
١٩١ في مصاحبة شيخه المعدري
١٩٣ محاورة لطيفة (بينه وبين ابيه وقد ردهمن عندالفقراء الى القراءة)
١٩٤ في مدرسة ادوز
١٩٦ في فض النوازل وقسم التركات
١٩٧ في التجارة
١٩٨ في مدرسة فوكوض معلما
١٩٩ في المدرسة البومروانية
١٩٩ العزم على المشارطة في المدرسة الونقاوية
١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (لالقاء نظرة على احوال المترجم)
٢٠٢ في التجريد وخرق العادة
٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
٢١٠ السياحات
٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدري
٢١١ في جبالة
٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جبالة
٢١٥ في فاس
٢١٨ في محاورة الشيخ كنون
٢٢٠ في سلا
٢٢٠ بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه
٢٢١ سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ
٢٢١ يزور اهله
٢٢٢ لطمة ترده الى اهله بالكلية
٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
٢٢٤ قطعة نظمية يوم تاسست زاويته
٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
٢٢٩ اثر الحياة الجديدة (في المترجم)
٢٣٠ الشيخ يسيح الى أقا
٢٣١ يراجع التدريس
٢٣٣ ينهض بهمة علية الى ماهو بصدده
٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
٢٣٧ يؤدي فريضة الحج
٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
٢٥٧ انتهاء وصفه كل مامر به وصفاشافيا
٢٥٨ محور حياته
٢٥٩ عمله في سياحاته
٢٦٠ عمله في زاويته
٢٦١ نتف من اخلاقه
٢٦٤ الشيخ في انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
٢٦٨ بعض اقوال المثنين عليه
٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
٢٧٣ قول المؤرخ الاكراري فيه
٢٧٤ بعض الامداح في الشيخ الى رقم ٢٩٩

٢٩٩ بعض منظومات بعث بها الشيخ
٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
٣١١ مؤلفاته
٣١٢ وفاة الشيخ
٣١٤ مراثى الشيخ والتعزيات فيه
٣٢٤ اولاده
٣٢٤ الكتب المؤلفة فى الشيخ
٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى
٣٢٦ خطوته الاولى
٣٢٦ فى دراسة العلم
٣٢٧ فى الاستعداد لقيادة المدرسة
٣٢٧ استاذ المدرسة
٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
٣٢٩ يولى القضاء من حضرة السلطان
٣٣٠ فى رءاسة اخوانه المرابطين
٣٣١ مراسيم رسمية حواليه
٣٣٣ فى كلاءة الله بين الزعازع
٣٣٨ فى شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالغى
٣٤٠ بين قضاة تزنيت فى عهد الهيبة
٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال فى الكفاح
٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
٣٤٩ ءاثار قلم الاستاذ من النثر
٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه واليه
٣٦١ نتف من قوافيه
٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
٣٧٧ مراثيه
٣٨٣ قولة الرفاكى فيه
٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس الثالث

فى القوافى

يذكر فيه القائل • مع الشطر الاول • ان دل ءاخره على قافية القصيدة • والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية • وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشارقة

الهمزة

٦٣ الشاعر الافرانى — بانت فبان جميل الصبر اسماء
٦٦ الحسن بن على الاغى — اهل بوفد الخصب وفد سماء
٦٧ المؤلف — ماذا رأى من لم يكن بالراءى
٢٧٨ محمد بن مسعود — باكربها لمرابع الزهراء
٢٧٩ محمد بن الطاهر — لاحت فاعشت اعين البصراء

الباء

١٥ المؤلف — اليكم بنى امى اليب ركائبى
٢٨١ محمد بن مسعود — اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
٢٩٥ موسى بن الطيب الاغى — الانزه العينين في خير ماقبة
٢٩٨ الشيخ الالغى — وما اسم ثلاثى الى العز ينسب
٢٩٩ الشاعر الافرانى — وما اسم تراه كلما سار يركب
٢٩٩ الاستاذ على الالغى — قلم البليغ يبين لغز منبئا — الاثقب
٣٠٠ الشيخ الالغى — بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها
٢٤٨ بعض الالغيين — اكفكف من مداليراعة مرغما — واجبا

التاء

٧١ المؤلف — الغ المعارف والاداب بلدتهم — الامارات
١٥٥ المؤلف — الفجر بالنور وزهر الربا — الذكيات
١٧٢ لبعض الالغيين — نعزيك لاانا جهلنا مقام من — الموتا
١٧٩ الاستاذ محمد الاغى — اذا اودع الله الانامل حكمة — جلت
٢٧٦ محمد بن مسعود — متى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن — البشرية
٢٩٣ الشيخ الالغى — وفيت بما تهوى جزيت جزاء من — قرته
٢٩٩ الشيخ الالغى — سعد الفقير وساعدت اوقاته

الحاء

٦٥ بعض الالغيين — ابواب الغ لكل ءات تفتح
١٧٨ الاستاذ محمد الالغى — اذا ماهب من افران ريح

٢٨١ محمد بن مسعود
٣٣٤ بعض الالغيين

ياسيدا من نوره الوضاح
اذا انسد باب من اميرفان لى — مفتح

الدال

٦٦ محمد بابة
٢٣٨ محمد بن مسعود
٢٩٠ الحسن الركنى
٢٩٠ الحسن الركنى
٢٩٦ الطاهر الناصرى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣١٧ الاستاذ على الالغى
٣١٨ محمد بن الطاهر
٣٥٠ الاستاذ على الالغى
٣٥١ الاستاذ على الالغى
٣٥٢ الشاعر الافرانى

عرج بتحت الحصن يامن سادا
ليهنا الورى طرا يابلاك السعد
ابو حسن نجم به السار يهتدى
الابلغ الشيخ المربى بورده
الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
ولى مذهب فى العشق منفردا به — ولافقد
هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى — وتفقد
قالوا قضى العلم الامام السيد
لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى
بقيت سليما لاتقابل بالردى
ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود

الراء

٦٤ محمد بن الحاج
٦٦ المؤلف
٧٠ المؤلف
٧٤ المؤلف
١١٥ المؤلف
١٧٦ الاستاذ محمد الالغى
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٣ الاستاذ على الالغى
٢٩٦ محمد بن مسعود
٣٢٠ موسى بن الطيب
٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدى
٣٢٣ الحبيب البوسليمانى
٣٤٦ بعض الالغيين
٣٦١ الاستاذ على الالغى
٣٦٢ الشاعر الافرانى
٣٨٤ المؤرخ الاكرارى
٣٨٤ الاستاذ على الالغى
٣٨٦ الاستاذ على الالغى

اياساكنا ارضا هى الارض وحدها — والبصر
ما الغ غير شعوره فى شعره
نعمة الالغى فتح — داره
يقولون صبرا انه بك احدر
لله رحلتنا الى ايمور
بدت لى احبتنا عبرة — يعتبر
ياسبعة من سعد سبعة جمعهم — الامر
سلام كما المسك والعنبر
عليك سلام ياكريم معنبر
لله سيدنا الشيخ الامام وما — البصرا
مضى الاخيار وانقضت الدهور
قد استوى الله على عرشه — أمره
قضى امام الدين من لايرى
اذا انت لم تكبح رفيقك مرة — لاتدرى
شنف باسماع من احيا اذا ذكروا
هذى نجوم الدجا أم هذه درر
على السميدع من زرت مآثره — الشجر
مولاى من قدزرت بطلعة القمر
مولاى انى وان شطت بى الدار

٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٥ الاستاذ على الالغى
٣٧٧ الشاعر الافرانى
٣٧٩ ابراهيم السكتانى
٣٨١ محمد الكثيرى
٣٨٢ الاقاوى القاضى
٣٨٢ الاقاوى القاضى

ياواردا عمت الدنيا مفاخره
وصالك هذا ام بداصبيح اسفار
جزى الله آخوان الصفاء بكل ما — الحشر
أمن جادت بكرحرى منه ما جرى
واعظم مقدام اذا اشتجر القنا — المجر
الدهر بعد تعرف يتنكر
موت العليم مصيبة لن تجبرا
لتبك فما فى الارض من كل اغيرا

الزاى

٢٩٩ الشاعر الافرانى

تاملت لغزا اتعب القلب حله — اللوز

السين

٤٦ مساجلة
٧٥ المؤلف
٤٥ لبعض الالغيين

بسيسك يازهراء خير بسيس
الاليت شعرى هل ابيتن ليلة — سكسو
فكه مصاحبك الالغى ما الفت — فاس

العين

١٥٩ الشاعر الافرانى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
٢٨٩ محمد بن مسعود
٣١٧ الشاعر الافرانى
٣٢١ احمد اليزيدى
٢٩٤ الشيخ الالغى
٢٩٤ الشاعر الافرانى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع
اذارمتم نظما مقفى محبرا — الوسع
سلام كما ازدانت بصوب مرابع
امن حادث بكر الم فاجزعا
الدهر يفجع والصدور توجع
بشير وطاهر ونجل لطيب
انفح نسيم الروض والروض ناصع
يحق على للمبشر الكم — خلع

الغين

٦٣ الشاعر الافرانى
٧١ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود
٢٨٣ الشيخ الالغى

نسيم الصباهبى بنشر ربا الغ
اذا احتفلت اداب من كان فى الغ
نسمات الرضا وروح سلام — الغ
أقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى
اياطالبا سر المعارف فى الغ

الفاء

٦٤ محمد يحيا اعلاتى

ياأهل تحت الحصن انعم فوقه — يشرف

٦٤ محمد بن الحاج بالغت في الارشاد يامن ينصف
٦٥ البونعماني لله ماقد هاج ذاك الموقف
١٨٢ الشيخ الالغي فمن للعلا والمحاسن والوفا
٢٨٤ محمد بن مسعود ذق من كؤوس ودادهم فتصافى

القـاف

٨٤ المؤلف لمن جفنة قد أقبلت تتألق
٢٨٢ محمد بن مسعود ليهنكم ياءال الغ مفاخر — شرق
٧١ المؤلف الغ فرد وس لمن منيته — رائق
١٧٩ الاستاذ محمد الالغي فتارة ذو سرقة
٢٩٢ الشيخ الالغي ابا حسن زرنا على عجل ومن — فرق
٢٩٢ الاستاذ على الالغي اجيب بجثماني وقلبي لديكم — فرق
٢٩٥ لبعضهم هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
٣٦١ الاستاذ على الالغي لله يوم خميس جادل بلقا

الـكـاف

٣٤٠ لبعض الالغيين وان اخاك الحق من كان مثنيا — فوقكا

الـلام

٣٦ لبعض الالغيين وكم عانس بكر تخطت زواجها — الاهل
٦٨ المؤلف الغيث في مارس بعد — الجميل
٧٣ المؤلف حنانيك الغ المكان الجميل
١٦٩ الاستاذ محمد الالغي ايابن القطب احيا الدين جهرا — جهلا
٢١٣ بعض الالغيين وما مخبر عن الفتى مثل نفسه — الوصل
٢٢٤ الاستاذ على الالغي بيت اتيح الخير من وجهاته — القالى
٢٩٣ الشاعر الافرانى هنيئا لقلبي والهناء على مثل
٢٩٨ الشيخ الالغي فما اسم رباعي الحروف ترى الذى — اول
٢٩٨ الشاعر الافرانى اتتنى فحلت من عقال الردى عقل
٢٩٩ الشيخ الالغي تاملت هذا اللغز ياايها الخل
٣٠٠ الشيخ الالغي لله دركم يامن لهم دول
٣١٨ سيدى عبد الله الالغي قدانقضى الخير وجاد الكمال
٣٥٠ الاستاذ على الالغي فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا
٣٦٢ الاستاذ على الالغي اهلا بمن رجل العنا بنزوله
٣٦٣ الاستاذ على الالغي ياقادما فضله في العلم والعمل
٣٦٤ الاستاذ على الالغي انلم تكن كابن مقلة
٣٦٤ الاستاذ على الالغي تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي
٣٦٤ الاستاذ على الالغي لله درك من امام عادل

٣٦٤ الاستاذ على الالغي اريد من خير اخواني وصفوتهم — العملة

الميم

٦٥ ابن العتيق ياأهل تحت الحصن ان يقع النوى — زعيم
٦٩ المؤلف ياطيب الغ في الربيع فما — نسيم
١٨٠ الاستاذ محمد الالغي انشئوا ياخير قوم
٢٩٢ الاستاذ محمد الالغي اباحسن منى سلام عليكم — سلام
٢٩٧ الشاعر الافرانى اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالغي جزاك اله العرش خير جزائه — جزما
٣٥٤ المؤلف أعاطى اكؤس السلوى نديمى
٣٦٢ محمد بن الطاهر شعر زرى بالعقد حسن نظامه

النون

٤٧ الشاعر الافرانى ان الموالد انت من شجعانها
٢٨٣ محمد بن مسعود حي ربع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف الغ بسيط بلقع مقفر — عين
١٧٩ الاستاذ محمدالالغي سلام عليك ياعلى الشقيق والبنى — الغصن
٢١٦ محمد بن مسعود ورءاهم شيخ بزاوية وقد — الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود مالى سواك وسيلة لله ثم — الصمدانى
٢٨٠ محمد بن مسعود قفا بالمطى في اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود سقى الله الحمى من تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسادتى الغر العظام الشان
٢٨٣ محمد بن مسعود انفاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ — ابي الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود وافت توصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد الا ابلغ الشيخ الامام أبا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ انت خير الشيوخ في الاقران
٢٩٢ الاستاذ على الالغي ابا حسن تمم مسرة عيدنا
٢٩٩ الشاعر الافرانى خليلي دلانى على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالغي ادخل مبارك حضرة الرحمان
٣٦٤ الاستاذ على الالغي عليك اماما اعجز اللسن في اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكرارى سلام يخوت ملحضيض الى القنن
٣٨٧ الاستاذ على الالغي اتيت لامرحافز (فصك) وهي بلدة — احسان

الهاء

١٥ المؤلف لى همة عالية فذة — منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود تلك شمس القلوب بانت فتاهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسيدا اطلعت بالسوس طلعته — تيها

الياء

٦٩ المؤلف — لله الغ ومرءاها ومحياها
٣٠٠ الشيخ الالغى — اموسى اجمعن فى الله همتك العليا
٢٩٧ الشاعر الافرانى — تأرقت لما شمت برقا حجازيا

الالف المقصورة

٢٩٣ الشاعر الافرانى — ابا حسن هذا غداء جميعكم — الضحى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى — ان جسن الخط زين للفتى

الاراجيز

٤٦ لبعض الالغيين — املوا علينا من حديث املو
٥٣ الشاعر الافرانى — هذا وانى قد رايت رجزا
٦٩ لبعض الالغيين — اوصاف الغ متنافيات
١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته — متبعا شقيقه محمدا
١٩٠ منها — قد كنت فى غياهب الغباوة
٢٠٨ منها — تركت ما سوى الاله جهرا
قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من٢٣٨ الى ٢٥٧
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى — اتعبت فى تملك التصريح
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى — تكلف الاسفار للاوطار

الفهرس الرابع
فى الرسائل والوثائق والظهائر والمراسيم الرسمية

سيدى عبدالله بن سعيد الايموى
وثائق وظهائر من ٨٣ ـ الى ٩٠ ثم من ١١٢ ـ الى ـ ١١٥
سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام ـ ١٧٦ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٩
سيدى على بن عبد الله العلامة الاديب
رسائل فى هذه الارقام ٣١٦ ـ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٦
ظهائر ٢٩ ٣ـ ٣٣٠
الشيخ الالغى
رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ـ١٩٠ـ١٩٥ـ٢١٣ـ٢١٦ـ٢٢٥ـ٣٠٧ـ٣٠٩ـ٣٠٩ـ٣٠٩

غير الالغيين :

سيدى الحسين الزرهونى ٣١٥ — سيدى الزبير البعمرانى ٣١٥
سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤ — سيدى عبد العزيز الادوزى ٣٢٣
محمد بن عبدالسلام الورزازى ٣١٤ — محمد بن المحفوظ التازيماتى ٢٩١
سيدى الحبيب البوسليمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس
في الالفاظ الشلحية التي وقع فيها حرف مشدد

إدْبْنَيرَانْ	إيغْرَم	تَافْ كَّاغْتْ
أَسَاكَا وَاصَّانْ	إيسَافْنْ	تَاطَّارْ وسْتْ
أَسِيفْ مْقُّورْنْ	إينْشَّادْنْ	تِيسَّا
أَشْ كَّاوْرْ	إيسْقَّالْ	تِيتُوضْفُويِنْ يتْشْ بِّوْنْ
أَضَارْ أُو كَلِّيد	إيخْفْ وِينْدْ كُّونَا	تِيتِّيوْتْ
أَفْلَا أُو كْنْتْس	أَيْتْ أُومْرِّى	تِيزْرَا إيفُولُّوسْنْ
أَكْرَّام	أُوبَاحُّو	حُو كَّا
أَكْنِي إيغْدَّان	أُوبَا لُّوشْ	دْرَا وُّوغ
أَمْلْن	تَازْمُّوزْنْتْ	دُّو كَادِير
أَمْتِّضِي	تَالَاتْ غْزِّيفْنْ	دُو تْنْمْرُّوت
أَنْبْدّ نْتُّومْلِيلِيْنْ	تَارْكَانْتْ ضْلْمَاطّ	دُّونْمْلَالْنْ
أُوجُّو	تَامُودّ يزْتْ	الرْكَّادَة
إيغْدْ إيفِّي	تَابُّورْ يشْتْ	مَامَّاشْ
إيغْشَّانْ	تَاغُّونْتْ	حَيْدُة بن مَّايْسْ

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل

كأن لم يكن الغ بلادى التى بها — سريت صغيرا بين شتى المسارب
كأن لم يكن أصلى ومنبت نبعتى — ومجمع اخوانى ومغنى أصاحبى
كأن لم تكن لى أرضها خير مرتقى — سموت بها فوق الذرى والمناكب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	انخت العيش	انخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية ـ صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	جفنة
٤٥	٢٠	اغدايقي	اغد ايقي
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية ـ البادييـن	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية ـ شطئه	شاطئه
٥٣	١٣	فـى الحاشية الضفاديـع	الضفادع
٦٠	٧	يتتساوون	يتتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤوس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية ـ الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزرته	وحزرته
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولايعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصل
١١٧	٢٢	شاود	تـاود
١٤٥	١	سيدى	سيـد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرر	فكان يحـرر
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل١٢١٠هـ = ١٢٩٦هـ
١٤٧	٩	أتقن ـ اشتهر	أتقنوا ـ اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	الفادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحـــو	فتحوا
١٨٣	٧	عصابة	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفظر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما راى كمن سمع	وما راء كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية الترجم	فى ناحية والتمرجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بدارهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كـثير
٢٢٧	٧	الشيح	الشيخ
٢٢٧	٣٣	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرانهم	ظهرانيهم
٢٣٣	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايمى اوكادير	فى ايمى اوكادير
٢٤٠	١٣	الجـارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابتدورا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	ووليت	وووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يـدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	آن يزيره	أن يزيره
٢٦٤	١٤	... القواد	وكذلك القواد

			صواب
٢٥٠	٣٣	الادوزى	التازيمانتى
٢٦٨	٥	يخفف	يـخـف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غـــير	مـن خير
٢٨١	٢٣	بلا مزح	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	لـه ـ طب	لاه ـ طـاب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافـــا
٢٩٠	١٦	السارى	السار
٢٩٤	٢	الانزاضى	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلـعـا
٣٢٣	٤٢	ذك	دلك
٣٢٥	٢٠	اخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	ان يغمر	ان يغمز
٣٤٥	١٢	اوتى	اتـــى
٣٤٥	١٧	يكر	يـتـكـرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية تينجدا	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة آنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون، سيدى اليزيدى	سيدى اليزيدى، التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بقلة	بقللة

هذه هى الاغلاط التى وقفنا عليها • وقد يكون هناك آخرى • فالقارىء النبيه لاتخفى عنه